الجمهورية الجزائريـــة الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليـم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينـة

كليـة الآداب و العلـوم الإنسانية

قسـم اللغة العربية

شعبـة اللغة العربية و الدراسات القرءانية

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية و الدراسات القرءانية

الموضـــــوع

الإعجـاز البيـاني للآيـات الكـونيـة في القرءان الكريـم

إعـداد الطالـب :

خـالـد بـن عميـور

تحت إشـراف:

الدكتـور : عمـر بوقرورة

السنـة الجـامعية

1421 - 1422 هـ

2000 - 2001 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــداء

﴿ ربنـــا تقبـــل منـا إنـــك أنـــت السميـــع العليـــم ﴾[1]

- إلـى كـــل باحـــث عـــن الحـــق و الحقيقـــة،
- إلـى أهلـــي أولا، و إلى عشيـــرتي الأقربيـــن،

ثـم إلى كـــل مـــن بلـــغ.

أهـــــدي هذا البحث المتواضع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقـــدمـــة

الحمد لله الذي خلق الأكوان بقدرته و أنزل الكتاب بعلمه و حكمته. و الصلاة و السلام على خير خلق الله محمد ابن عبد الله، و على آله و صحبه أجمعين. و أسأل الله العلي القدير أن ينير لي طريق العلم و الحكمة بقبس من هديه و نفحة من توفيقه حتى لا أزيغ إلى باطل. و أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، و أسأله الفقه في الدين و علم التأويل.

و بعد :

فإنه لشرف عظيم للباحث أن قدر الله له الإنتماء إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، و لقد كان ذلك أمنية رجوت من خلالها التخصص في دراسة العلوم الإسلامية بإعتبارها الطريق الأسلم لفهم الإسلام و حسن تطبيقه.

و لقد زاد هذا الشرف عظما أن اختصصت في قسم اللغة العربية و الدراسات القرآنية. فقد كنت مقتنعا منذ الصغر، و ما زلت مقتنعا أن امتلاك ناصية اللغة هو مفتاح كل علم، و باب للوصول إلى مجاهيل الحياة و مغاليقها، فهي الحاوية لتراث الإنسانية منذ أن نزل الإنساس على الأرض إلى اليوم.

ليس هذا فقط بل إنها الحاوية للوحي الإلهي كذلك، فلا يستطيع أحد أن يعلم مراد الله تعالى إلا إذا تمكن من اللغة التي نزل بها تمكنا يقارب في مستواه ذلك المستوى الرفيع الذي نزل به هذا الوحي الإلهي.

ل لكن الوحي الإلهي حينما يعرض حقائق الوجود لا يعرضها في إطار جاف ممل، و لكنه يعرضها في إطار فني جميل، تقبل عليه النفس كما يقبل عليه العقل، تقشعر منه الجلود، كما تحار فيه الألباب **﴿ الله نزل أحسن الحديث كتبا متشابها مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله ﴾** .[1]

و لقد حارت عقول العلماء و الباحثين في سر هذا الجمال الفني البياني في كتاب الله تعالى.

و إنما الباحث واحد من الناس الذين يتأثرون لسماع كتاب الله تعالى. و لا أظن أن الناس يتأثرون لسماع أي كلام مهما كان جميلا و مهما كان مضمونه رفيعا، كما قد يشدهم سماع أي مرتل لأي آية

---

[1] الزمر، آ: 22.

من كتاب الله تعالى، و ما ذلك إلا لأنه في هذا الكتاب سرا دفينا و لغزا محيرا، هو ما يعبر عنه الباحثون و العلماء بالإعجاز البياني للقرآن الكريم.

و ليس هذا البحث إلا مجرد محاولة لاستكناه هذا السر و تلمس هذا اللغز، و لقد انصب على مجموعة من آيات الكتاب كان لها أثر كبير في نفس الباحث، و هي : الآيات الكونية القرآنية.

فكم أبقى مشدوها لحظات أمام مثل قوله تعالى : ﴿ **فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس، و الليل إذا عسعس، و الصبح إذا تنفس** ﴾ [1]

ليس فقط للموسيقى الرائعة التي تنساب من خلال الألفاظ، و لكن كذلك للظلال التي تتركها في الفكر و النفس، و كذلك للصور البيانية التي تخلع الحياة على الجماد... فأظل أتأمل معاني هذه الآيات التي تسبح بالفكر في عالم النجوم و هي تشرق، و هي تتلألأ ثم تختفي، كل ذلك وسط هذا الليل الأسود الذي يظل كالعبد قائما يعس بينما الناس نيام إلى أن يأتي هذا الصبح و كأنه شخص ميت قد عاد إلى الحياة فإذا هو يتنفس...

و كم هي كثيرة أمثال هذه اللوحة الفنية الرائعة التي تصور جانبا من الكون، نجدها مبثوثة هنا و هناك في كتاب الله تعالى، توقظ في النفس روح التفكر في الوجود بين الفينة و الأخرى و نحن نقرأ القرآن الكريم.

و يهدف هذا البحث إلى جمع هذه اللوحات إلى بعضها، و محاولة الخروج بلوحة قرآنية متكاملة لهذا الكون، ثم تسليط الضوء على مواطن الجمال التي تبرز للباحث من خلالها.

أو بعبارة أخرى يهدف هذا البحث إلى دراسة الآيات الكونية في القرآن دراسة موضوعية، و ذلك بحسب المواضيع الكونية في القرآن، و محاولة تصنيفها تصنيفا يبرز نظرة القرآن إلى الكون، ثم دراسة هذه الآيات من حيث أسلوب التعبير الذي استعمل فيها، و إبراز مواطن الجمال و الدقة في التعبير و التصوير و التناسق فيها.

و في الأخير فهو يهدف إلى مايلي :

- رفع مستوى الذوق الجمالي لدى عامة الناس الذين ابتذل عندهم معنى الجمال و الفن، و نزل إلى دركات سحيقة و انحط في مهاوي الفساد. فالرجوع إلى القرآن الكريم يرفع هذا الذوق و يسمو به إلى مستويات لم يصل إليها فن من قبله و لا من بعده.

---

[1] التكوير 15-18.

- إيقاظ روح التفكير و التفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى في كونه الفسيح الأعظم، و هذا سبيل سليم للتفكر في عظمة الخالق سبحانه و تعالى، و قد قال الرسول- صلى الله عليه و سلم فيما يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنهما : (**تفكروا في خلق الله و لا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا له قدره**)[1] .

- حث الإنسان المسلم على التأمل في هذا الكون و محاولة استخراج أسراره و سننه و قوانينه لتسخيرها في وجوه الخير التي جعلت لها.

- التأكيد على فضيلة التجديد في المعاني عند وصف الكون في القرآن الكريم، مقارنة بما كان سائدا في الجاهليات القديمة، و أثر القرآن في دفع الإنسان إلى البحث الموضوعي المتجرد من الذات و الخيالات و الأفكار المسبقة.

و لقد تطلب مني هذا البحث اللجوء إلى مناهج البحث العلمي الضرورية لتحقيق أهدافه، و لعل أهم هذه المناهج التي اعتمدت عليها :

المنهج الوصفي : و لقد استعملت هذا المنهج العلمي على وجه الخصوص حين الحديث عن معنى كلا من : الإعجاز، البيان، الآيات، الكون، كما تناولته حين الحديث عن الظواهر الكونية التي تناولتها الآيات القرآنية الكريمة.

المنهج التاريخي : و قد استعملته حين الحديث عن تطور الدراسات البيانية عموما، و دراسات الإعجاز البياني خصوصا، كما استعملته حين الحديث عن تطور نظرة الإنسان إلى الكون قبل القرآن و بعده.

المنهج التحليلي : و قد لجأت إليه في الجانب التطبيقي من البحث حين سعيت إلى تحليل الآيات الكونية في القرآن و استنباط مواطن الجمال و الجلال فيها.

و لعل من نافلة القول أن هذا البحث ليس هو أول دراسة للآيات الكونية في القرآن، لكن الشيء المميز فيه أن الدراسات السابقة لهذه الآيات إما أنها قد تناولتها عرضا في إطار تفسير القرآن أو تناولتها لذاتها لكن من الناحية العلمية البحتة.

---

[1] ذكره : أبو حامد الغزالي في: إحياء علوم الدين، دار الثقافة ، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط : 1، 1411 هـ، 1991 م ، ج : 6 ص : 44 . و قد خرجه حافظ العراقي في هامش الكتاب فقال : " رواه أبو نعيم في الحلية و الأصبهاني في الترغيب و الترهيب و الطبراني في الأوسط و البيهقي في الشعب."

أما هذا البحث فقد جاء ليتخصص في دراسة هذه الآيات الكونية من الناحية البيانية الجمالية الفنية على وجه الخصوص.

لذلك فقد استفدت من الدراسات السابقة لهذه الآيات، و اعتمدت عليها، و حاولت التأليف بينها للوصول إلى الهدف المنشود ...

فاعتمدت على كتب التفسير القديمة منها و الحديثة، فمن القديم أخذت تفسير ابن كثير بإعتباره عَلَما على مدرسة التفسير بالمأثور، و قد كفاني أمر تخريج الروايات و الأقوال و كفى بذلك نعمة.

و أخذت بتفسير الكشاف بإعتباره عَلما على مدرسة التفسير بالرأي، فكانت لآرائه اللغوية و البلاغية فائدة كبيرة في هذه الدراسة البيانية.

أما المعاصرون فقد أخذت من تفسير الظلال لسيد قطب ما أعانني في دراسة جانب التصوير و التناسق و الموسيقى في الآيات الكريمات، كما أخذت من" التحرير و التنوير" للطاهر بن عاشور كثيرا من النكت البيانية التي زادت الدراسة دقة و سدادا.

كما رجعت إلى كثير من الباحثين المعاصرين الذين ركزوا على الجوانب الكونية في هذه الآيات كالدكتور الجميلي صاحب الأبحاث المتنوعة في هذا الميدان، و الدكتور حسب النبي صاحب كتاب "الكون و الإعجاز العلمي"، و الدكتورة هند شلبي صاحبة كتاب "التفسير العلمي ..." و الدكتور الزنداني كذلك صاحب الأبحاث المختلفة في هذا الموضوع.

كما رجعت إلى كتب البلاغة و البيان القديمة و الحديثة لإعتمادها في الدراسة الأسلوبية للآيات.

أما الخطة التي اعتمدت في هذا البحث فقد سرت فيها بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة و بابين و خاتمة.

أما المقدمة فنحن الآن بصددها ، و قد جعلتها لعرض البحث وبيان أهميته ، و خطته ،و أهدافه

أما الباب الأول : فقد قسمته إلى فصلين : فصل لغوي تحدثت فيه عن أهم المصطلحات المكونة لعنوان البحث، و هي : " الإعجاز"، " البيان"، " الكون"، أما لفظة "القرآن" فلشهرتها و لكثرة ما ألف فيها أضربنا الحديث عنها. أما الفصل الثاني فقد جعلناه للجانب التاريخي في دراسة الإعجاز البياني و قد كان هذا الفصل لدراسة تطور هذه الدراسات و كيف كانت و إلى أين وصلت و مناهج مختلف الدارسين في ذلك، و في هذا العرض توطئة للقارئ إلى الباب الثاني الذي يحتل الجانب التطبيقي، كما فيه فائدة للباحث في الأخذ بما يراه مفيدا له في بحثه من الدراسات السابقة و البناء عليها.

أما الباب الثاني و هو الباب التطبيقي فقد قمت فيه بجمع الآيات الكونية من المصحف الشريف، ثم قمت بتصنيفها إلى مواضيع مختلفة ثم رتبتها من الناحية الزمنية فنتجت لي ثلاثة مراحل في حياة الكون هي : مرحلة الخلق، ثم مرحلة الوجود، ثم مرحلة الفناء و البعث. فجعلت من كل مرحلة فصلا. فكان الفصل الأول لدراسة الإعجاز البياني في وصف بداية الكون، و الفصل الثاني لدراسة الإعجاز البياني في وصف بنية الكون و الفصل الثالث لدراسة الإعجاز البياني في وصف نهاية الكون.

ثم ختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم نتائج هذا البحث.

و لقد واجهتني في كل ذلك صعوبات بسبب :

- **جدة الموضوع** : فالقدامى لم يهتموا بهذه الآيات الإهتمام اللائق بها، و لما بدأ هذا الإهتمام اعتمدوا فيه على فلسفة اليونان و خرافات الهنود و على الإسرائيليات. أما الباحثون المعاصرون فقد ركزوا على الجانب العلمي فيها دون غيره، أما الدراسة البيانية لهذه الآيات على حدة فهذا ما لم نعثر على أثر إلا شذرات هنا و هناك.

- **تعدد مشارب البحث** : فهو من ناحية بحث في البيان، و من ناحية بحث في القرآن و من جهة أخرى بحث في الكون، و في المحصلة هو بحث في الإعجاز، و على الباحث أن يجمع كل ذلك في موضوع واحد. فكان الباحث يرى نفسه أحيانا كرجل فيه شركاء متشاكسون كل منهم يحاول أن يجذبه إليه، و الباحث مضطر إلى أن يرضي الجميع، فلا بد أن يرضي أصحاب البيان، كما لا بد أن يرضي أصحاب القرآن، كما لا بد أن يرضي أصحاب الكونيات، و الأكيد أنه لا بد أن يرضي أصحاب الإعجاز، و إرضاء الجميع غاية لا تدرك، لكن لا بد مما لا بد منه !!.

- **المراجع** : فهي قليلة و بعيدة عن متناول اليد و خصوصا المصادر الأصلية، و الكتب الحديثة. أضف إلى ذلك أن مثل هذا البحث يحتاج إلى مراجع علمية و لا نكاد نجد منها إلا مؤلفات أعجمية أضطرت الباحث إلى الرجوع إلى المعاجم و قواميس الترجمة، و أحيانا كنت أضطر إلى نحت الألفاظ نحتا و اختراعها إختراعا لعدم توفر كتب عربية تناولت مثل تلك القضايا و المصطلحات المتعلقة بها.

- **مشكلة التفرغ** : إذ أن الباحث غير متفرغ تماما لبحثه، فجزء كبير من الوقت تستنفده الوظيفة، و جزء لمختلف المشاغل و الإرتباطات الشخصية، زد على ذلك البعد عن الجامعة. كل ذلك حال دون إعطاء هذا البحث الإهتمام اللائق به.

كل هذه المصاعب و غيرها كانت حائلا أمام كمال هذا البحث، و ما الكمال إلا لله وحده... لذلك فإننا نلتمس العذر على الهنّات الهينات التي قد يمر بها نقاد هذا البحث و قراؤه.

و إن وجدوا فيه إختلافا أو تناقضا فما ذلك إلا لأنه من عمل بشر، و قد قال الله جل جلاله : ﴿ **و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾.

و لكن حسبي أنني بذلت الجهد الذي استطعته، و أسأل الله أن يجعله لي في ميزان حسناتي، و الحمد له أولا و آخرا.

و لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أعانني على هذا البحث من أعضاء المجلس العلمي للمعهد على حسن توجيهاتهم، و للمشرف على ما بذله معي من جهد و صبر، و لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم عضوية اللجنة و صبرهم على قراءة البحث ،و لكل من ناولني كتابا من أمناء المكتبات و لكل من ساهم من قريب أو من بعيد في هذا البحث.

و أسأل الله التوفيق و السداد للجميع ... آمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البـــاب الأول

مبـــاحث نظـــرية

- الفصل الأول: المبحث اللغوي
- الفصل الثاني: المبحث التاريخي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــل الأول

مصطلحـــات و مفـــاهيـــم

1- الإعجاز

2- البيان

3- الآيات

4- الكون

5- الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرءان الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــل الأول

مصطلحـــات و مفاهيـــم

في هذا المبحث سنحاول -بإذن الله- استقصاء المعـاني اللغوية و الإصطلاحية لأهـم ألفاظ عنوان هذا البحث، كل على حدة ، كـل منفصلـة عـن الأخـرى. ثـم نجـمع بينها محاولين إعطاء تعريف لـ "الإعجاز البياني في الآيات الكونية في القرءان الكريم".

ا. الإعجاز:

أ- في أصل اللغة:

إن الألفـاظ في اللغة العربية - كما في سائر اللغات - تتغير دلالاتها عبر الزمن بفعـل تغيـر الإستعمال، و لقد كان للفظـة الإعجـاز معاني في أصل اللغة العربية ، ثم أصبحت لها دلالات أخرى، و مما ورد عنها في المعاجم:

ما قاله الجوهري في صحاحه:

" أصل هـذه الكـلمة مـن "العـجـز " و هـو مـؤخـرة الشـيء، و العجـز : الضعـف وأعجزت الرجل : وجدته عـاجزا ، و أعجـزه الشـيء، أي فاتـه. و "التعجـيز": التثـبيط، و كذلك إذا نسبته إلى: العجز، و "عـاجز فـلان": إذا ذهـب فلـم يوصـل إليـه. و "المعجـزة " واحدة معجزات الأنبياء ، و "تعجزت البعير: ركبت عجزه.."[1]

و قال الزمخشري:

"طلبته فأعجز و عاجز: إذا سبق فلم يدرك، و" بنو فلان يركبـون أعجـاز الإبـل": إذا كانوا أذلاء أتباعا لغيرهـم ، أو يلقون المشاق، لأن عجز الإبل مركب شاق".[2]

أما عند صاحب اللسان فنجد عنده :

"و معنى الإعجاز : الفوت و السبق، يقال أعجـزني فلان أي فاتني، و منه قول الأعشى :

فذاك و لم يعجز من الموت ربه و لكن أتاه الموت لا يتأبق[3]

---

[1] اسماعيل بن حماد الجوهري "الصحاح"، " تاج اللغـة وصحاح العربية " تحقيق أحمد عبـد الغفور دار العلـم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط: 3، 1404 هـ 1984م ، ج: 3 ، ص : 883 - 884.

[2] الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر : "أساس البلاغـة" ، تحقيق، عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنـان ،ط :/ س : / ، ص : 294.

[3] إبن منظور، لسان العرب،، تحقيق عبد اللهعلي الكبير و آخرين دار المعارف، القاهرة، مصر، ط : /، س:/، ج : 4، ص : 2817

أما في القرءان الكريم فقد ورد اشتقاق هذه اللفظة في قوله تعالى : ﴿ و يستنبؤونك أحق هو، قل إي و ربي ، إنه لحق و ما أنتم بمعجزين . ﴾ [1] و ورد في تفسيرها : "أي لستم بمعجزين الله بهرب أو إمتناع من العذاب، بل أنتم في قبضته و سلطانه."[2]

كما ورد اشتقاقها كذلك في قوله جل جلاله : ﴿وما أنتم بمعجزين في الارض و لا في السماء ﴾ .[3] و ورد في تفسير هذه الآية الكريمة : "أي لا تفوتون من عذاب الله ، و ليس لكم مهرب في الأرض ، و لا في السماء . قال القرطبي :" لو كنتم في السماء ما أعجزتم الله" [4] .

و " الإعجاز" مشتق من المعجزة، و قد عرفها سيد سابق بقوله : إنها أمر خارق للعادة يجريه الله على يدي نبي مرسل ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته [5].

و قال محمد الصالح صديق : " المعجزة هي أمر خارق للعادة ، خارج حدود الإنسان المعروفة ، يجريه الله تعالى على يد أنبيائه ، مقرونا بالتحدي و دعوى الرسالة ، وطلب المعارضة ... و تأتي من جنس شيء اشتهر عند المرسل إليهم كاشتهار السحر في عهد موسى، و الطب في عهد عيسى ، و البلاغة في عهد محمد عليهم الصلاة و السلام." [6]

و لم ترد في القرءان الكريم هذه اللفظة بهذا المعنى، و إنما كان التعبير عن المعجزة بلفظة "الآية".[*]

---

[1] سورة يونس، الآية :53.

[2] الصابوني: صفوة التفاسير ، قصر الكتاب، البليدة دار الشهاب ، باتنة، ط:5، 1411هـ - 1990، ج:1، ص: 557.

[3] سورة العنكبوت الآية 22.

[4] نفس المصدر ج:2 ، ص: 456.

[5] السيد سابق : العقائد الاسلامية ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط : / ، س:/ ، ص: 208.

[6] محمد الصالح صديق : مقاصد القرءان دار البعث، قسنطينة ، الجزائر ، ط :2، 1403هـ - 1983.

[*] ذكرت مشتقات لفظة "المعجزة" في القرءان 17 مرة، أنظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرءان الكريم، دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي، المدينة :/، مصر، ط :/، س :/، ص : 446، و راجع معنى "الآية" فيما يلي.

ب – في الإصطلاح :

أما في اصطلاح علماء القرءان الكريم ، فإن إعجاز القرءان الكريم هو أنه كتاب فوق طاقة البشر ، فلا يستطيعون المجيئ بمثله ، فهو معجزة تدل على صدق الرسول محمد صلى الله عليه و سلم.

وقد أقام الله الحجة على إعجاز القرءان الكريم بواسطة التحدي إذ قال : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن ياتوا بمثل هذا القرءان، لا ياتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[1]

وقال : ﴿ فلياتو بحديث مثله إن كانوا صدقين ﴾[2].

و نلاحظ في هاتين الآيتين أن التحدي متعلق بجميع القرءان الكريم . و لقد تحداهم الله بعد ذلك بالإتيان بعشر سور منه فقط إذ قال : ﴿أم يقولون افتراه . قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين (13) فإن لم يستجيبوا لكم فاعلم أنما أنزل بعلم الله (14) ﴾[3] .

ثم تحداهم بأن ياتوا بسورة واحدة من مثله ، فلم يستطيعوا ذلك . قال جل جلاله : ﴿ و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله. و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين ﴾[4].

و قال كذلك : ﴿أم يقولون افتراه . قل فاتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين ﴾[5].

---

[1] سورة: الإسراء ، الآية :88 .

[2] سورة :الطور، الآية : 34.

[3] سورة : هود ،الآية : 13-14.

[4] سورة :البقرة، الآية :23.

[5] سورة : يونس، الآية : 37.

ج - وجـوه الإعجـاز :

مع اتفـاق العلمـاء على كون القرءان الكريم معجـزة ، إلا أنهم قد إختلفوا في تحديد حقيقـة الإعجـاز فيـه ، و تعددت آراؤهم في و ضع اليد على مكمنـه و موضعـه ، و أشهـر الأقـوال و الآراء في ذلك مايلي :

1- الصـرفـة : قـال النظـام المعتزلي "إن الله صرف العرب عـن معـارضـته ، وسلب عقولهـم ، و كـان مقـدورا لهـم ، لكـن عـاقهم أمـر خـارجي فصـار كسـائر المعجزات".

و هو قول فاسـد بدليل قوله تعـالى : ﴿قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن ياتوا بمثل هذا القرءان ، لا ياتون بمثله ، و لو كان بعضهم لبعض ظهيـرا ﴾[1]. فإنـه يـدل على عجزهم مع بقـاء قدرتهم، و لو سلبوا القدرة لم يبق فائـدة لاجتماعهم ، لمنزلته منزلـة إجتمـاع الموتى.

و الإجمـاع منعقـد على إضـافـة الإعجـاز إلى القرءان ، فكيـف يكـون معجـزا غيـره ؟![2].

2- التأليف الخـاص به : و هـو بـأن اعتدلـت مفرداتـه تركيبـا ، و زنـة ، و علـت مركبـاته معنًى ... و اختـاره الزملكاني في :" البرهـان في إعجـاز القرآن."

3 - الغيـوب المستقبليـة : و لم يكن ذلك من شأن العرب ،كقولـه تعـالى : ﴿قل للمخلفين من الاعراب ستـدعون إلى قوم اولي بأس شـديد ﴾[3] . و قـوله في أهـل بـدر : ﴿ سيُهـزم الجمع و يولون الدبـر ﴾[4] .

---

[1] سورة: الإسراء، الآية: 88.

[2] الزركشي:البرهان في علوم القرآن، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعرفة ،بيروت، لبنان، ط: 2 ، 1391 هـ - 1972م ، ج: 2، ص: 93- 94 .

[3] سورة: الفتح، الآية: 16.

[4] سورة:القمر، الآية: 45.

و قوله : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا ﴾[1] . و كقوله : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾[2]. و قوله : ﴿الم غلبت الروم . . . ﴾[3] و غير ذلك مما أخبر أنه سيقع ، فوقع .[4]

4 – إخباره عن قصص الاولين : فقد أخبر عن سائر المتقدمين حكاية شاهدها و حاضرها ، و قال: ﴿تلك من انباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا ﴾ .[5]

5– إخباره عن الضمائر : من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾[6]. و قوله : ﴿وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ، و يقولون في أنفسهم لولا يعدبنا الله ﴾[7] و قوله : ﴿و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، و تودون . . . ﴾[8]. وكذا أخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبدا .[9]

6– النظم : و صححه إبن عطية و قال : "الذي عليه الجمهور و الحذاق أن التحدي إنما وقع بنظمه ، و صحة معانيه ، و توالي فصاحة ألفاظه، فأي لفظة منه تصلح أن تلي سابقتها، و يتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك ، من أول القرءان الكريم إلى آخره، و البشر معهم الجهل و النسيان و الذهول ، و معلوم بالضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك .

---

[1] سورة : الفتح، الآية: 28.

[2] سورة : النور، الآية: 55.

[3] سورة : الروم، الآية:1–2.

[4] البرهان (المصدر السابق) ص 95 .

[5] سورة : هود، الآية: 49.

[6] سورة : آل عمران الآية 122.

[7] سورة : المجادلة، الآية 8.

[8] سورة : الأنفال الآية 7.

[9] البرهان، ص : 96.

و الصحيح أن الإتيان بمثل القرءان الكريم لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ، و لهذا ترى البليغ ينقح الخطبة أو القصيدة حولا ، ثم ينظر فيها فيغير فيها، و هلم جرا ، و كتاب الله سبحانه لو نزعت منه لفظة ، ثم أدبر لسان العرب على أحسن منها ، لم يجد [1].

7- الإعجاز شيء لا يمكن التعبير عنه : و هو اختيار السكاكي في "المفتاح" [إذ قال] : و أعلم أن شأن الإعجاز عجيب ، يدرك و لا يمكن و صفه ، كاستقامة الوزن ، تدرك ، و لا يمكن و صفها ، و كالملاحة ، و كما يدرك طيب النغم. و قال بندار ابن الحسين الفارسي و كان بحرا في العلم و قد سئل عن موضع الإعجاز من القرءان الكريم فقال : "هذه مسألة فيها حيف على المفتي ، و ذلك أنه شبيه بقولك : ما موقع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موقع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته، و دللت على ذاته ... و ليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه ، و أسراره في كتابه ، و لذلك حارت العقول و تاهت البصائر عنده." [2]

8-إستمرار الفصاحة : و هو قول حازم في "منهاج البلغاء" : إن الإعجاز فيه من حيث استمرار الفصاحة و البلاغة من جميع أنحائها في جميعه... و كلام العرب و من تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة و البلاغة من جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير و المعدود ، ثم تعرض الفترات الإنسانية ، فتقطع طيب الكلام و رونقه ، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه ... و هو قريب من قول الزملكاني و أبن عطية."[3]

9- الإعجاز متعدد الأوجه : و هو قول أهل التحقيق : أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحدة على انفراد ، فإنه جمع كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع إشتماله على الجميع ، بل و غير ذلك مما لم يسبق[4].

---

[1] نفس المصدر ص : 95

[2] نفس المصدر ص : 100

[3] نفس المصدر ص : 101

[4] نفس المصدر ص : 106

10- الإعجاز العلمي : و هو وجه من أوجه الإعجاز التي قال بها الباحثون المعاصرون، ومضمونه أن القرءان الكريم قد إشتمل على العلوم الحديثة التي لم يكن الرسول - صلى الله عليه و سلم - و من حوله يحيث بها علما في ذلك العصر.

11- الإعجاز النفسي : فالقرءان الكريم يستولي على نفس السامع و القارىء مهما كانت كثيرة الجدل ، و من استقرأ أحوال العرب عند نزول القرءان الكريم يجد العجب العجاب فما أسلم عمر الإ بتأثير القرءان الكريم و كذلك سعد بن معاذ و بن أخيه أسيد بن حضير ...بل و معظم من أسلم كان لهذا الأثر سبب فيه.[1]

12- الإعجاز التشريعي : إذ يرى كثير من العلماء و الفقهاء المعاصرون [2] أن القرءان قد اشتمل على تشريعات و أحكام دقيقة متناسقة تحقق الهدف الذي شرعت من أجله بدقة متناهية، و لا تتناقض و لا تتضارب مع بعضها على كثرتها و شمولها لمختلف جوانب حياة الإنسان، بما يستحيل على رجل أمي في الصحراء كمحمد صلى الله عليه و سلم ان يشرع مثلها و يخرج عن ما ألفه قومه من تشريعات و تقاليد جاهلية رعناء.

* و لعل أهم ما يهمنا في هذا البحث من هذه الأوجه هي :

- الوجه الثاني : أي التأليف الخاص بالقرءان الكريم، فهو من و سائل البيان التي أعجز بها البلغاء .

- الوجه السادس : أي النظم، و لعله جزء من الوجه الثاني، بإعتبار أن التأليف أوسع من النظم، وهذا أذا فهمنا النظم يتعلق بجانب اللفظ فقط، لكن إذا فهمنا النظم هو الجمع بين اللفظ و المعنى، فيكون هذا الوجه أوسع من سابقه.

- الوجه الثامن : أي إستمرار الفصاحة فيه، خصوصا و نحن نريد أن نتناول الآيات الكونية التي تتناول ظواهر الطبيعة ، و معروف أن من يتناول مثل هذه الظواهر غالبا ما يغرق في الحديث عن التفاصيل الدقيقة مستعملا مصطلحات خاصة بكل جانب من جوانب دراسة الكون، لكن القرءان الكريم، له أسلوبه الخاص في التعبير حتى عن مثل هذه الظواهر الجامدة .

و نشير إلى أن الدرسات التي تناولت الوجه العاشر أي الإعجاز العلمي سنستفيد منها في دراستنا هذه من باب أن أصحابها قد بحثو في معاني الآيات الكونية كثير، و لهم فهومهم

---

[1] محمد عدة مختصر علم أصول اللفقه الإسلامي،دار الشهاب باتنة،الجزائر، ط:/، س: /، ص: 34.35

[2] محمد بن سعد الدبل : النظم القرءاني في سورة الرعد، عالم الكتب، شبرا ، مصر، ط : /، 1981م ، ص : 28

فيها، و ما يهمنا نحن في ذلك هو كيف كان تعبير القرءان الكريم عن تلك المعاني، و الأساليب التي إستعملها في تصويرها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- البيـــان :

أ - في أصل اللغـة :

ورد في " لسـان العرب " : البيان : الفصـاحـة و اللسن، و كلام بين : فصيـح، و البيان : الإفصاح مع الذكاء، و البين من الرجـال : السمح السان، الفصيح، الظريف، العالي الكلام، القليل الرتج.[1] و الرتج : الإنقطـاع في الأفكار و الكلام.

و قـال الجوهري في " الصحاح " : فلان أبـين مـن فـلان : أي أفصـح منـه و أوضـح كلاما. و البيان : ما يتبين به الشيء من الدلالة و غيرها .

و بان الشيء بيانا : إتضح فهو بينا . و أبنته أنا : أي أوضحته . [2]

و على هذا فالبيان في أصل معناه اللغوي هو التعبير عما في النفـس مـن خواطـر و أفكـار، و هو خاصية تميز بها الإنسان عن غيره مـن سـائر أنـواع الحيـوان.[3] و يرتقـي فيـه بعض الناس على بعض بفصاحتهم و ذكائهم وضـوح كلامهم .

و كأن هذه اللفظة مشتقـة من البين و هو البعـد كما قـال كعـب بـن زهـير في أول بردته :

بانت سعـاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول.[4]

فالبين عكس الإختـلاط فالأمـور كلمـا اقـتربت إختلطـت، فكـأنهم رأوا أن الكـلام الواضح الذي لا اختلاط ولا لبس و لا تداخل فيه لا يصلح أن يعبر عنه إلا بلفـظ يـدل علـى البعد و هو " البيان " المشتق من " البيـن " .

أمـا في القـرءان الكريـم فقـد وردت هـذه اللفظـة في القـرءان الكريـم بمعنـى النطـق و الكلام، كما في قوله تعالى : ﴿الرحمن، علم القرءان، خلق الإنسان، علمه البيان .﴾[1] و في قوله : ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين و لا يكاد يبين ﴾[5]

---

[1] إبن منظور لسان العرب : تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف، القاهـرة ، مصر، ط :/ ، س: / ، ج : 1، ص : 407، و كذلك الزمخشري أساس البلاغة، ص : 35، مادة : ب - ي - ن.

[2] الجوهري : تاج اللغـة و صحاح العربية، ج : 5، ص : 3082 - 3083 .

[3] د. شفيع السيد : التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، ط : 4، 1415هـ ، 1995م، ص : 15

[4] ذكره الجرجاني في دلائل الإعجـاز، موفم لنشر، الرغاية، الجزائر، ط : / ، 1991م، ص : 35 .

[5] سورة الرحمن، الآية 1 - 4 .

[6] سورة الزخرف : الآية : 52 .

كما وردت فيه بمعنى الفصاحة و البلاغة و رفعة المعنى و جماله كما في قوله جل جلاله : ﴿الر، تلك آيات الكتاب المبين﴾[1] و قوله : ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، و هذا لسان عربي مبين﴾[2]، و قوله : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾.[3]

أما في الحديث الشريف فمن أشهر الأحاديث التي وردت فيها لفظة البيان : قوله صلى الله عليه و سلم : (**إن من البيان لسحرا.**)[*] رواه البخاري، و معناه أن المتكلم بهارته يسلب عقل السامع حتى يخيل إليه الباطل حقا، و الحق باطلا ! و في رواية أخرى أكثر تحديدا و تفصيلا لمناسبته، و أوضح دلالة على ما نحن بصدده أن الرجلين الذين قدما على رسول الله صلى الله عليه و سلم هما الزبرقان بن بدر و عمرو بن الأهتم . فقال الزبرقان : "يارسول الله، أنا سيد تميم، و المطاع فيهم، و المجاب منهم، آخذ لهم بحقهم، و أمنعهم من الظلم، و هذا يعلم ذلك." يعني عمرا. فقال عمرو : " أجل يارسول الله، إنه مانع لحوزته، مطاع في عشيرته، شديد العارضة فيهم ." فقال الزبرقان : "أما إنه و الله قد علم أكثر مما قال، و لكنه حسدني شرفي."

فقال عمرو : "أما لئن قال ما قال، فوا لله ما علمته إلا ضيق العطن [قليل الصبر، بخيلا] . " زمر المروءة [قليلها]، أحمق الأب، لئيم الخال، حديث الغنى."

فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم لما إختلف قوله.

فقال : " يارسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، و غضبت فقلت أقبح ما علمت، و ما كذبت في الأولى، و لقد صدقت في الثانية."

فقال الرسول صلى الله عليه و سلم : (**إن من البيان لسحرا، و إن من الشعر لحكمة.**) [1]

فالكلمة هنا جاءت بمعنى حسن التصرف في الكلام و القدرة في أداء المعنى.

---

[1] سورة يوسف، الآية : 1-2 .

[2] سورة النحل، الآية : 103 .

[3] سورة العنكبوت، الآية : 49 .

[*] وجدته عند مالك بن أنس : الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط :/، س :/، ج : 2 ، ص : 986، و ذكره كذلك عبد الفتاح لاشين البيان في ضوء أساليب القرءان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط : 2، 1985م، ص : 7 .

[1] د/ شفيع السيد، التعبير البياني، ص : 15- 16.

ب – في إصطلاح علماء البيان :

ظلت هذه الكلمة تحمل هذه المعاني العامة أمدا طويلا دون أن تستأثر باهتمام خاص من جانب اللغويين و أهل الأدب حتى جاء القرن الثالث الهجري حين ألف الجاحظ كتابه : "البيان و التبيين" مدفوعا في ذلك بتغير المناخ الفكري في المجتمع العربي نتيجة إختلاط العرب بغيرهم من الأمم و أصحاب الثقافات الأخرى ، فكأنما أراد أن يكشف عن طبيعة فن الكلمة عند العرب، و يبرز تقاليده و خصائصه في خضم أساليب التعبير التي أصبحت تموج بها الساحة الأدبية آنذاك.[1]

و في كتابه ينقل لنا أقدم تعريف معرف عن البيان و هو لجعفر بن يحيى إذ يقول : "قال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعنك، و يجلي عن مغزاك، و تخرجه عن الشركة، و لا تستعين عليه بالفكرة، و الذي لابد منه أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقد، غنيا عن التأويل."[2]

أما الجاحظ ذاته فقد أشار إلى المعنى العام السابق للبيان بقوله : "و الدلالة الظهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز و جل يمدحه، و يدعو إليه و يحث عليه، بذلك نطق القرءان، و بذلك تفاخرت العرب و تفاضلت أصناف العجم."

ثم يقول : "و البيان إسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، و هتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ذلك البيان، و من أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيئ بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."

و هذا لا يعني أن الجاحظ كان قاصرا في فهمه، فلعله قال هذا الكلام يريد أن يشمل به البيان بمعنى التوضيح، و البيان بمعنى البلاغة معا في قول واحد، خصوصا و قد نقل في كتابه قول جعفر بن يحيى المذكور أعلاه، و الذي يقصد فيه أن البيان هو البلاغة و الفصاحة، و يأكد ذلك كذلك نقله لعبارة العتابي حين سئل عن البلاغة فقال : "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة و لا حبسة و لا استعانة فهو بليغ." و ذكر أن المقصود منه : "إفهامك حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء." [3]

---

[1] المصدر السابق، ص : 16 .

[2] د. أحمد مطلوب : فنون بلاغية – البيان – البديع، دار البحوث العلمية، مدينة الكويت، دولة الكويت، ط : 1، 1395هـ، 1975 م، ص : 13 .

[3] د. شفيع السيد : التعبير البياني، ص : 17 .

أما ابن و هب في كتابه "البرهان في وجوه البيان" فيأخذ بنفس المعنى العام و الخاص في وقت واحد، فالدلالات عنده أربعة :

- بيان الأشياء بذواتها [أي ما يسمى لسان الحال]
- بيان الإعتقاد [لعله يقصد به وضوح الفكرة لدى صاحبها]
- بيان العبارة و هو النطق .
- بيان الكتاب أي الخط .

و في حديثه عن بيان العبارة : يتحدث عن المعنى الخاص للفظة، فيذكر مواضيع بلاغية كثيرة، كالخبر، و الطلب، و الإشتقاق، و التشبيه، و اللحن، و الرمز، و الوحي، و الإستعارة، و الأمثال، و اللغز، و الحذف...

و قد سار الرماني على نهج سابقيه فجعل البيان أربعة أقسام كذلك : كلام، و حال، و إشارة، و علامة .

و أعلى مراتب حسن البيان في الكلام عنده : "ما جمع أسباب الحسن في العبارة، مع تعديل النظم، حتى يحسن في السمع و يسهل على اللسان، و تتقبله النفس تقبل البرد."

و سار ابن رشيق كذلك على منهج سلفه، لكنه أراد أن يضيق من معنى البيان شيئا، فقال : "هو الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة..."، وقد حصر البيان في : المجاز، والإستعارة، و التشبيه، و الإشارة، و التجنيس.[1]

أما الجرجاني فقد جعل البيان و الفصاحة و البلاغة و البراعة أمرا واحدا، و كل ذلك يقوم على أساس النظم، إذ يقول في بداية كتابه "دلائل الإعجاز" : "ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا و أبسق فرعا، و أحلى جنى، و أعذب وردا وأكرم نتاجا، و أنور سراجا من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ، و يصوغ الحلي و يلفظ الدر و ينفث السحر ، و يقري الشهد و يريك بدائع الزهر، و يجنيك الحلو اليانع من الثمر و الذي لولا تحفيه بالعلوم، و عنايته بها و تصويره إياها لبقيت كامنة مستورة، و لما أنبتت لها يد الدهر صورة، و لاستمر السرار بأهلتها، و استولى الخفاء على جملتها..."[2]

و يقول في ربطه بين البيان و النظم : "ومن البين الجلي أن التباين في هذه الفضيلة...ليس بمجرد اللفظ. كيف ؟ و الألفاظ لا تفيد حتى تألف دربا خاصا من التأليف،

---

[1] د. أحمد مطلوب : فنون بلاغية، ص : 15 - 18 .

[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص : 19 - 20 .

و يعمد بها إلى وجه دون وجها من التركيب و الترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر، و أبطلت نضده، و نظامه الذي عليه بني، و فيه أفرغ المعنى و أجري، و غيرت ترتيبه الذي بخصوصه أفاد كما أفاد... نحو أن تقول : "قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل" : " قفا ذكرى من نبكي حبيب" أخرجته من كمال البيان إلى محال الهذيان." [1]

و قد سار ابن الأثير على منهج الجرجاني الجديد الذي يرى البيان أساسه النظم في الكلام، ليوصل إلى المعنى المطلوب دون تخصيص البيان بوجها من البلاغة دون آخر فهو يشمل جميع فنونها التي جعلها ثمانية إذ يقول : "...فعليه بالنظر في كتابنا هذا، و تصفح لما أودعناه من حقائق علم البيان، و نبهنا عليه من أصول ذلك و فروعه، على أن الذي ذكرناه من هذه الآلات الثماني هو كالأصل لما يحتاج إليه الخطيب و الشاعر، و معرفته ضرورية لابد منها، و ههنا أشياء أخر هي كالتوابع و الروادف، و بالجملة فإن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون ." ، و يعتبر بن الأثير أن هذه الفنون مجرد آلات جامدة لا تنفع شيئا أذا كان صاحبها عاجزا أن يبث و ينفخ فيها الروح من قريحته، أذ يقول : " و ملاك ذلك كله الطبع، فإنه إذا لم يكن ثم طبعا فإنه لا تغني تلك الآلات شيئا، و مثل ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد و الحديد التي يقدح بها."[2]

و مع مجيء السكاكي زادت لفظة "البيان" ضيقا في المعنى، أطذ عرفه في " مفتاح العلوم" بقوله : " ... إراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه." و حصره في " التشبيه و المجاز و الكناية."[3]

و على هذا المعنى سار تلامذة السكاكي كالقزويني، و سعد الدين التفتازاني... فأصبح " البيان " من يومها علما ثالثا سوى علمين أخرين من علوم البلاغة هما علمي : المعاني، و البديع. إذ يقول القزويني في " تلخيص المفتاح " : " أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الإحتراز عن الخطأ في تأدية المعني المراد، و إلى تميز الكلام الفصيح من غيره... وما يحترز به عن الأول – أعني الخطأ – هو علم المعاني، و ما يحترز به عن الثاني – أعني التعقيد المعنوي – هو علم البيان، و ما يعرف به وجه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال و فصاحته هو علم البديع."[4]

---

[1] الجُرجاني : أسرار البلاغة ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط : /، س : /، ص : 2.

[2] د. أحمد مطلوب : فنون بلاغية، ص : 19 – 20 .

[3] د. عبد العزيز عتيق : علم البيان ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، ط : /، 1405هـ – 1985م، ص : 31 – 32.

[4] د. شفيع السيد : التعبير البياني، ص : 20.

و نرى أن هذا الحصر و التضييق في معنى البيان لا مبرر له، فالإبانة عن المعنى لا تنحصر في التشبيه و الاستعارة و الكناية فأساليب البديع المختلفة تزيد المعنى و ضوحا و جلاء كما أن الكلام لا يبين عن مقصود صاحبه إبانة كاملة إذا كثرت فيه الأخطاء المعنوية التي يحترز منها بعلم المعاني ، و هذا هو ما أشار إليه العلماء السابقون للسكاكي المذكورون آنفا. و هذا المعنى الوسط بين معنى " البيان " القديم الذي هو الدلالة بكل أشكالها، و معنى " البيان " الضيق الذي جاء به السكاكي، هو المعنى الذي نقصده في هذا البحث، أي " البيان " الذي يشمل مختلف وجه البلاغة التي يوصل بها إلى تأدية المعنى أداء كاملا، من معاني و بديع و بيان.

و هذا هو المعنى الذي سار عليه أكثر الدارسين المحدثين في ميدان الدرسات البيانية، الذين سنشير إليهم في المبحث التاريخي أمثال : أمين خولي، و سيد قطب، و عائشة عبد الرحمن، و محمد عبد الله دراز...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 – **الآية** :

أ– **في أصل اللغـة** : هي الإشارة و العلامـة

قال الجوهري : "الآية : العلامـة، و الأصـل أوية بتحريك، قال سبويه : موضع العـين من الآية واو، وقال الفراء : هي من الفعل فاعلة، و إنما ذهبت اللام، و لو جاءت تامة لجاءت آيـيـة، و لكنها خففت.

و جمع الآية : آي، و آياء، و آيات، و أنشد أبو زيد [1] :

لم يبقى هذا الدهر من آيائه غير أثافيه و أرمدائه

و آية الرجل : شخصه، تقول : تآييته علـى تفاعلتـه، تآييتـه، علـى تفعلتـه، إذا قصـدت آيتـه و تعمدته، قالت إمراة لإبنتها :

الحصن أولى لو تأييته من حثيك الترب على الراكب" [2]

أما في القرءان الكريم فقد وردت كلمة "آية" فيه 365 مرة [3]، و قد جاءت بثلاثة معان هي:

1. **الآية بمعنى العلامة** : وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ **إن آية ملكه** ﴾[4] أي علامـة ودليـل ملكه، وكما في قوله جل جلاله : ﴿**قال ربي إجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا**﴾[5] أي علامتك. و يدخل في هذا المعنى الآية بمعنى المعجزة كما في قوله تعـالى : ﴿**قال إن كنت جئت بآية فأت بها أن كنت من الصادقين**﴾[6] و قوله تعالى : **فَـاتيتهم بآية** ﴾[7]

2. **الآية القرءانية** : وهذا معنى جديد إستحدثه القرءان الكريم، و لم يكن للناس به علم من قبله، و هو المعنى المقصود في عنوان هذا البحث،

---

[1] هو أبو زيد الأنصري (119هـ – 210هـ) سعيد بن أوس بن ثابت. عن الزركلي : الأعلام، ج : 03، ص : 92 .

[2] الجوهري : تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط : 3،1404هـ، 1984م، ج : 06، ص : 2275 ، 2276 .

[3] محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرءان الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط : /، 1364هـ ، 1945م، ص : 103-108 .

[4] سورة البقرة ،الآية : 248.

[5] سورة مريم، الآية : 10.

[6] سورة الأعراف، الآية :

[7] سورة الأنعام، الآية : 35.

قال الجعبري : "حد الآية، قرءان مركب من جمل و لو تقديرا ذو مبدأ أو مقطع مندرج في السورة.

و قيل : "الآية : طائفة من القرءان منقطعة عن ما قبلها و ما بعدها."

و قيل : " هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها، و على عجز المتحدى بها."

و قال بعضهم : "صحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع، كمعرفة السورة."

و أكد ذلك الزمخشري بقوله : " الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه."

وقال السيوطي : "ومما يدل على أنه توقيفي ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق عاصم عن زر عن ابن مسعود انه قال : " أقرأني رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة من الثلاثين من آل حم قال يعني الأحقاف ."

و قال ابن العربي :" ذكر النبي صلى الله عليه و سلم أن الفاتحة سبع آيات، و سورة الملك ثلاثون آية، و صح أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران." [1]

و ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و علمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم .إنك أنت العزيز الحكيم ﴾[2] و كما في قوله كذلك : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا، وإيي فاتقون. ﴾[3]، و كما في قوله: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم، و يعلمهم الكتاب و الحكمة، و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. ﴾[4].

فالآية القرآنية هي إذا وحدة محددة شرعا من القرآن الكريم.

---

[3] السيوطي : الإتقان في علوم القرءان، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط : / ، 1368. ج : ، ص : 68.

[2] سورة البقرة، الآية : 129

[3] سورة البقرة، الآية :41.

[4] سورة الجمعة، الآية :2.

3. الآية الكونية :

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبن لهم أنه الحق ﴾[1] وكما في قوله : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾[2] وقوله : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾[3] فالآية الكونية هنا هي ما بثه الله في الكون والوجود من مخلوقات تدل عليه، و على وجوده ووحدنيته.

يقول سيد سابق تحت عنوان الطبيعة تؤيد وجود الخالق : " إن وجود الله حقيقة لاشك في أمرها ولامجال لإنكارها وكل ما في الكون شاهد على هذا الوجود الإلهي، ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقا ومدبرا ... فالعالم العلوي وما فيه من شموس وأقمار ونجوم وكواكب، والعالم الأرضي ومافيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، والترابط الوثيق، والتوازن الدقيق ، الذي يؤلف بين هذه العوامل ويحكم أمرها، ما هو إلا آية وجود الله ومظهر تفرده بالخلق ." [4]

كما قد تأتي الآية بمعنى المعجزة، كما في قوله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾

وما نقصده في عنوان البحث بالآيات الكونية في القرآن ، هي تلك الآيات القرآنية التي تناولت مظاهر الكون والطبيعة بالوصف ، ومع أنها كثيرة في القرآن ومتعددة المشارب والموارد، فمنها مايتحدث عن الآفاق والسموات ومنها ما يتحدث عن الأرض ومنها ما يتحدث عن الأنفس ﴿ في الآفاق وفي أنفسهم ﴾[5] ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وفي السماء رزقكم وما توعدون. ﴾[6]

---

[1] سورة فصلت آية 53.

[2] سورة يس ،آية 97.

[3] سورة الإسراء، آية 12.

[4] سيد سابق ، العقائد الإسلامية ص ، 39 .

[5] سورة فصلت ، آية 53.

[6] سورة الداريات، الآيات: 20 - 21 - 22.

بسبب هذا التنوع وبما أن المجال لا يتسع لدراستها جميعها في هـذا البحـث فسنقتصر على جانب منها و هو ما تدل عليه كلمة " **الكونية** " بمدلولها الحديث. و هو الكون الأعظم المتمثل في هذه السموات بمجراتها و نجومها و كواكبهـا و أقمارهـا بمـا فيهـا الأرض كعنصر منها [*]

و الآيات في هذا الموضوع كثيرة فقد اوصلها الدكتور محمد الحبال و الدكتـور مقـداد الجواري إلى 113 آية [1]

و لعل سبب كثرتهـا هـو كونهـا ذات علاقـة كبـيرة بعمليـة الخلـق الأولى، ووضعيـة المخلوقات في الكون الآن و مصيرها في المستقبل ، و هذا كله له علاقة كبرى بقضيـة العقيـدة و الإيمان التي تناولها القرآن الكريم بإسهاب.

و عموما فإن الأغراض البيانية التي يقصدها القرآن الكريم من هذه الآيات الكونية هي أغراض متنوعة منها ما سنذكره الآن .

الأغراض البيانية للآيات الكونية في القرآن الكريم :

أنزل القرآن الكريم إلى الناس ليبين لهم حقيقة أنفسهم و دورهم في الكون. و ليجنبهم الضلال في متاهات الشك و الكفر و الشرك ، وليأخذوا الدروس و المواعظ من كل ما يحيـط بهم في هذا الوجود.

قال تعالى : ﴿ **هذا بيان للناس و هدى موعظة للمتقين**﴾[2].

و ليس هذا القرآن كتابا مختصـا في علـم أو أكـثر مـن علـوم الطبيعـة كـالطب و علـم الفلك مثلا ، و لكن وردت فيه آيات مباركات تناولت كثيرا من مظاهر الكـون و ذلـك و الله أعلم- للمقاصد التالية :

1 – تعزيز معاني و أركان الإيمان با لله و اليوم الآخر :

و ذلك لتثبيت العقيدة في النفوس ، وربما يكون هذا من أهـم أسـباب حديـث القـرآن الكريم عن الكون.

فالقرآن ينطلق من المحسوس ليصل إلى المعقول ، ينطلق من الكون و الطبيعة ليصـل إلى العقيدة و الإيمان.

---

* أنظـر تعريف "الكون" في المطلب الموالي.

[1] محمد جميل الحبال ومقداد مرعي الحواري" العلوم في القرآن " دار النفائس، بيروت، لبنان، ط : 1، 1418 هـ، 1998م ص:70.

[2]- سورة آل عمران ، الأية : 138.

فهو يدعو العقل البشري إلى النظر في آفاق الكون ، أرضه و سمائه و ما بين الأرض و السماء ، ليتبين أن هذا الكون المتغير مجرد حادث آيل إلى الفناء و الزوال ، و أنه لابد له من محدث هو الله تعالى.

يقول جلّ جلاله :﴿ إن في خلق السموت و الأرض و إختلاف الليل و النهار، و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة، و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الارض، لآيات لقوم يعقلون .﴾[1]

و نجد القرءان لأجل ذلك يربط في موضوعات كثيرة، و بصيغ و أساليب متنوعة و بليغة بين قضايا الكون و شؤون العقيدة، و لا يكاد يخلو ذكر حقيقة إيمانية من ذكر حقيقة كونية تسبقها أو تليها مباشرة، و القرءان الكريم يزخر بكثير من الأمثلة، نذكر منها البعض على سبيل الإستشهاد :

قوله تعالى : ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من مني تمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر و الانثى، أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى﴾[2]

و قوله جل جلاله : ﴿ فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب و الترائب، انه على رجعه لقادر﴾[3]

و قوله عز و جل : ﴿ و هو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾[4]

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 164 .

[2] سور القيامة ، الآية : 36 - 40

[3] سورة الطارق ، الآية : 5 - 8

[4] سورة الأعراف ، الآية : 57 .

و قوله : ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء، و يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون، و إن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين، فانظر إلى أثر رحمت الله كيف يحي الارض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى، و هو على كل شئي قدير﴾[1]

فالقرءان قد جعل الطبيعة و عناصرها المختلفة، سموية كانت أو أرضية حية أو صامة، مجالا لتحقيق أغراضه الكبرى و مقاصده الخطيرة، و في جملتها تلك التي هي من أصول الدين كإثبات الخالق ، و توحيده و تنزيهه عن الولد، و الدلالة على صفاته، و كالبعث و النشور و نحوها.

و كان يستدل على تلك الحقائق المهمة بأضخم ما في الطبيعة من عناصر و هما السموات و الأرض ، كما كان يستدل على ذلك أيضا بعناصر الطبيعة الأخرى و ظواهرها كالطير و السحاب و الماء و الزرع و الشجر و الليل و النهار و نحوها و أنه كان يلون الإستدلال بهذه العناصر [إستثارة] للأحاسيس و تحريكا للنفوس و العقول و بالتالي تحقيق المقاصد الكبرى المذكورة أعلاه. و القرآن الكريم إذ يستدل بالمحس على ما هو غير محس من الحقائق فإنه يجعل الطبيعة مجالا واسعا لتقويم سلوك الإنسان في الحياة، و حثه على الإيمان و الإبتعاد به عن الكفرو الضلال و النفاق، و ذلك بصور رائعة ، و تشبيهات بديعة و أمثال معبرة.[2]

2- إظهار قدرة الخالق عزّ و جلّ و التذكير بعظمته سبحانه و تعالى :[3]

فقد إختصت كثير من آيات القرآن الكريم بالحديث عن الكون بغرض إبراز قدرة الله تعالى ، حتى أن كثيرا من العلماء يسمونها بآيات القدرة، و قد وقع ذلك في سور عديدة و بأساليب مختلفة.

---

[1] سورة الروم ، الآية : 48 - 50 .

[2] د . محمد جميل الحبال ، و د. وميض رمزي العمري . : الطب في القرءان ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 1418 هـ - 1997 م ، ص : 30 -32 .

[3] نفس المصدر : ص،25.

و ذلك كقوله تعالى : ﴿ قل من رب السمو ت و الأرض قل الله. قل أفتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا . قل هل يستوي الاعمى و البصير، أم هل تستوي الظلمات و النور، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم. قل الله خالق كل شيئ و هو الواحد القهار(16) أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا، و مما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله. كذلك يضرب الله الحق و الباطل. فأما الزبد فيذهب جفاء. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض. كذلك يضرب الله الأمثال (17) ﴾[1]

و قال : ﴿ أو لم يرى الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (77) وضرب لنا مثلا و نسي خلقه، قال من يحي العظام و هي رميم (78) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة و هو بكل خلق عليم (79) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (80) أو ليس الذي خلق السمو ت و الارض بقادر على أن يخلق مثلهم. بلى و هو الخلاق العليم (81) إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن ، فيكون (82) فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيئ و إليه ترجعون (83) ﴾[2]

3 – بيان نعم الله الكثيرة على العباد :[3]

فالله يمتن على العباد بنعمه التي لا تحصى في هذا الكون الذي يعدّه القرآن مسخرا كلّه لخدمة الكائن الإنساني ، ومن هذه الآيات التي أشارت إلى هذا الغرض البياني :

---

[1] سورة الرعد ، الآية : 16 – 17 .

[2] سورة يس ، الآية : 77 – 83

[3] د.محمد جميل الحبال ، و د.وميض رمزي العمري : الطب في القرآن ، ص: 26.

قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله و كنتم أموات فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (28) هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات و هو بكل شيئ عليم (29) ﴾[1] .

و قوله جلّ جلاله : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون (10) ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب و من كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (11) و سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (12) و ما ذرأ لكم في الارض مختلف ألو نه ، إن في ذلك لآيات لقوم يذّكّرون (13) و هو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا و تستخرجوا منه حلية تلبسونها ، و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون (14) و ألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون (15) وعلامات وبالنجم هم يهتدون (16) أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذّكّرون (17) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الله لغفور رحيم . (18) ﴾[2]

4 – بيان بعض الأحكام الفقهية التشريعية :

إذ أن كثيرا من الأحكام الشرعية في القرآن لها علاقة بكثير من المظاهر الكونية. فالتشريع القرآني جاء ليطبق في هذا الكون و لذلك فلا بد ان يكون متناسقا معه و مع سننه.

و مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الاهلة، قل هي مواقيت للناس و الحج.﴾ [3] ففي هذه الآية ربط بين مواقيت الناس في مزارعهم و متاجرهم و مجال ديونهم و صومهم

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 28 – 29.

[2] سورة النحل ، الآية: 10 – 18.

[3] سورة البقرة ، الآية : 189

فطرهم و عدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن و مواقيت الحج ، وبين ظاهرة كونية و هي ظاهرة الأهلة و تغير شكلها من يوم إلى يوم خلال الشهر(*)

و كذلك قوله تعالى : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا (78) و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . (79)** ﴾[1]

و في هذه الآية ربط وقت الصلاة بأوضاع كونية تتعلق بحركة الشمس الظاهرية ،و حركة الأرض حول نفسها.

و كذلك قوله تعالى : ﴿ **و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾[2] فقد ربط العلاقة الأسرية بظاهرة طبيعية هي ظاهرة الحيض ، و ترك للإنسان أن يتأمل في ذلك و يبحث عن الحكمة فيه.(**)

5 – تنبيه العقول للتفكروالتدبر و الإستنباط:

فقد دعت آيات القرآن الكريم إلى التأمل في هذا الكون لأخذ العبرة منه كما سبق الحديث عن ذلك . كما دعته إلى أن يتأمل فيه لتسخيره في إطار رضى الله تعالى ، و ذلك يحتاج منه أن يتأمل فيه و يستخلص منه سننه و قوانينه حتى يحقق الإستفادة الكاملة (***) منه دون أن يحدث فيه الفساد. و الآيات في ذلك كثيرة منها :

قوله تعالى: ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾[3].

وقوله : ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والارض ﴾ [4].

(*) أنظر تفسير الآية عند الزمخشري جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل، و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ط : 3، 1407هـ ، 1987م.

[1] سورة الإسراء، الآية : 78 – 79 .

[2] سورة البقرة، الآية : 228

(**) أنظر الحكمة من ذلك عند : د. الحبال، و د. العمري، الطب في القرءان، ص : 29.

(***) أنظر محمد الغزالي : المحاور الخمسة في القرءان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط :/،1990

[3] سورة الملك، الآية : 15

[4] سورة يونس، الآية : 101

وقوله تعالى : ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت (17) وإلى السماء كيف رفعت (18) وإلى الجبال كيف نصبت (19) وإلى الارض كيف سطحت (20) ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون (33) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون (34) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون. (35) ﴾[3].

6 – بيان الإعجاز العلمي :

وهو كما عرفه الزنداني : " إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم" فالقرءان الكريم قد تحدث عن كثير من الحقائق الكونية والطبية ، والتي بدأت تظهر أو ستظهر كلما تقدمت العلوم الكونية [4] . قال الله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيئ شهيد﴾.[4]

وقال : ﴿ قل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .[5]

---

[1] سورة الغاشية، الآية : 17 – 20 .

[2] سورة الحديد، الآية : 25 .

[3] سورة يس، الآية : 33 – 35.

[4] أنظر : د. الحبال و د. العمري : الإعجاز الطبي . ص 28 – 29.

وكذلك الزنداني : المعجزة العلمية (ضمن كتاب ، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة ، المملكة العربية السعودية ، ط: / ، 1987 م ، ص : 34 .

[4] سورة فصلت، الآية 53 .

[5] سورة النمل، الآية 92 .

4 – الكون :

أ – في أصل اللغة :

قال الجوهري في الصحاح في مادة : " كون" : " كان : إذا جعلته عبارة عن ما مضى من الزمان، إحتاج إلى خبر لأنه دل على الزمان فقط. تقول : كان زيد عالما.

وإذا جعلته عبارة عن حدوث الشيئ ووقوعه إستغنى عن الخبر لأنه دل على معنى وزمان. تقول كان الأمر. وأنا أعرفه مذ كان : أي مذ خلق.

وتقول كان كونا وكينونة. وكونه فتكون : أحدثه فحدث .

والكون : واحد الأكوان." [1]

وقال بن فارس : "والمكان ، إشتقاقه من : كان يكون ." [2]

وقال بن سيده : " الكون : الحدث ، وكون الشيئ : أحدثه.

والله مكون الأشياء : يخرجها من العدم إلى الوجود ." [3]

وعلى هذا فإننا نرى أن أصل كلمة " كون " هو الفعل " كان " الذي يعني الخلق ، وبما أن الخلق قد حدث في الماضي ، أصبح الفعل "كان" دالا على هذا الزمن وأصبح محتاجا إلى الخبر الذي يعطيه المعنى ولذلك قيل له : فعل ماضي ناقص ، أي ناقص المعنى فهو يدل على زمن فقط.

ثم إشتق منه " المكان " بإضافة الميم في أوله فأصبح يدل على الظرف الذي يحدث فيه الشيئ.

ومنه إشتق " الكون " وهو كل شيئ حادث في الوجود.

1- إسماعيل بن حماد الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية، الجزء : 6 ، ص : 2189 – 2190 .

2- أحمد بن فارس اللغوي: بجمل اللغة، تحقيق : عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة، ط : 2 ، 1466 هـ - 1986 م ، الجزء : 3، ص : 774 .

3- إبن سيده الأندلسي : المخصص ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ط : / ، 1878 م.

أما في القرءان الكريم فقد وردت هـذه اللفظة في كتاب الله بإشتقاقاتها المختلفة فجاءت بمعنى ما مضى من الزمن. كما في قوله تعالى : ﴿ إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ﴾[1] وجاءت بمعنى الخلق والتكوين كما في قوله جل جلاله : ﴿ إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾[2].

كما جاءت بمعنى الإستمرار الأزلي كما في قوله جل جلاله : ﴿ ... إن الله كان عليما حكيما ﴾ [3] أي كان و لم يزل.

ب - أما في الإصطلاح :

فيرى المتكلمون أن الكون مرادف للوجود، وقد يستخدم مصطلح " العالم " أيضا ويشار به إلى مجموع أجزاء الكون، أي إلى جميع المخلوقات.

ويعرفه الدكتور أبو الوفاء الغنيمي بأنه مجموع ما تكون بالإرادة الإلهية في الزمان والمكان من الموجودات. على إختلافها بعد أن لم تكن موجودة، ولهذا المعنى ما يماثله في التراث الفلسفي الأوربي فإن لفظ " كون" " universum " يشير إلى مجموع الأشياء أو مجموع ما يوجد في الزمان والمكان.

وقد يطلق الكون مجازا عن العالم المرئي، أو عالم الشهادة كما يطلق عليه الفلاسفة الإسلاميون[*] .

أما بالنسبة لنظرية النسبية عند آنشتاين فإن الكون هو مجموع الأحداث المتميزة بإرتباطها الزمكاني (نسبة إلى الزمان والمكان)[4].

ويقسم الكون إلى قسمين عالم أكبر (macrocosme) فالأرض تنتمي إلى المجموعة الشمسية، والمجموعة تقع في مجرة تحتوي على ملايين المجموعات الشبيهة بها، وفي الكون ملايين المجرات.

---

[1] سورة آل عمران ، الآية : 103 .

[2] سورة مريم ، الآية : 35 .

[3] سورة النساء ، الآية : 24

[*] المقصود بهم هم الفلاسفة المسلمون الذين ظهروا في العصر العباسي، وأخذوا من الفلسفة اليونانية اشياء و زادوا عليها من عقيدتهم أشياء خرى، مثل بن رشد، و ابن سينا...

[4] أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ، الإنسان والكون في الإسلام ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ، ط : / . 1995م. ص : 25.

وعالم الأشياء المتناهية في الصغر (microcosme) : ومن محتوياته الذرة والكائنات الوحيدة الخلية التي لها جميع وظائف الحياة ...

وعالم الإنسان عالم قائم بذاته يقف وسطا بين هذا وذاك : وهو بذاته لايزال مجهولا من نفسه إلى الآن [1] .

وهنا أعود لأؤكد أن دراستنا في هذا البحث ستنصب على الآيات الكونية التي تتناول الكون الأكبر (macrocosme) ، فالمعنى الخاص الذي تحمله كلمة " كون " هو هذا العالم الأكبر الضخم دون غيره من العالم الأصغر والذري، وإذا اطلعت مثلا على كتاب " الكون والإعجاز العلمي في القرآن" للدكتو منصور محمد حسب النبي، فإنك لا تجده يتحدث فيه إلا عن الآيات التي تناولت هذا الكون الأكبر المتمثل في السماوت ومافيها من أجرام والأرض كجزئ فعال ومهم في هذا الكون [2]. ونفس المعنى نجده عند الغربيين فإذا أطلقوا لفظة كون " Univers " فإنما يقصدون بها نفس المعنى أي الكون الأعظم . وإذا إطلعنا مثلا على كتاب " الكون" " L' Univers " للمؤلف جيمس متشال ومن معه [3] ، فإننا نجده لايخرج فيه عن الحديث عن المجموعة الشمسية والنجوم والمجرات والأقمار وشابهها من أجرام السماء ، و قس على ذلك سائر المؤلفات التي تحمل مثل هذا العنوان.

ج –تاريخ دراسة الكون :

قبل أن نتحدث عن الآيات القرءانية التي وصفت الكون و كيف وصفته ، يجدر بنا أن نتعرف على تصور الإنسان لهذا الكون قبل و أثناء نزول القرآن و بعده ، لنعرف حقيقة الأفكار و المفاهيم التي جاء بها القرءان و موقعها من سائر الأفكار و المفاهيم الإنسانية القديمة و الحديثة .

1– دراسة الكون قبل القرآن :

إن النظر في السماء والإشتغال بظواهرها والتأمل في أجرامها هو من أول ما لفت انتباه الإنسان في هذا الوجود ، ولعل أهل بابل هم من أوائل من صب اهتمامه بله لهدف التنجيم والعبادة ، ولهذا نجد خطاب إبراهيم عليه السلام لأهل العراق على قدر ما يفهمون

---

[1] نفس المصدر ، ص : 47 – 48

[2] أنظر : منصور محمد حسب النبي : الكون و الإعجاز العلمي في القرءان، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط :

[3] James Mitchel et autres, l'univrs , traduction : Ive boisseau, edition LAROUSSE, N° : /

حينما قال لقومه : ﴿ إني سقيم﴾[1] بعد أن ﴿ نظر نظرة في النجوم ﴾ [2] ﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾[1] ، إذ كان خطابه لهم هنا على عادتهم في التنجيم[2] كما يقول المفسرون ، ونجد كذلك توبيخه لهم على عبادتهم للكواكب والنجوم إذ قال تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمو ت والأرض وليكن من الموقنين (75) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلم أفل قال لا أحب الا فلين (76) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (77) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إني بريئ مما تشركون (78) إني وجهت وجهي للذي فطر السمو ت والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (79) ﴾ [3] كما كان إهتمامهم بها لأجل معرفة السنين والحساب وذلك كانت له أهمية كبيرة في معرفة مواسم البذر والحصاد وتحديد المواعيد وضبط العقود ولذلك قال تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾[4] ، وكان الأمر نفسه عند المصريين فقد كانوا يعتقدون أن الأرض مسطحة ثابتة تسكن في جوفها أرواح الموتى، والسماء قبة صلبة تتحرك بالنجوم الثابتة فيها وبالسيارات ، كل ذلك فوق الأرض. كما قسموا السنة الشمسية إلى 365 يوما وقسموا السماء إلى 12 برجا وربطوا كل برج بشهر من شهور السنة [5] ، بينما كان الصينيون في ذلك الوقت يدينون بالمثنوية حيث جعلوا لليل إله وللنهار إله آخر أو مايسمى عندهم ب : (الينغ يانغ) [6]

---

[1] سورة الصافات ، الآية : 89 .

[2] سورة الصافات ، الآية 88 .

[1] سورة الصافات ، الآية 90 .

[2] الصابوني : صفوة التفاسير، ج : 3، ص : 38 .

[3] سورة الأنعام، الآية : 75-79 .

[4] سورة الإسراء ، الآية 12

[5] حنفي أحمد : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 3 ، 1980 م ، ص: 49.

[6] ترينه فزوان توان : التناغم السري، مطبعة فايارد، نواتيه، فرنسا، ط : /،1989م . ص : 14 - 16

Trinh Xuan Thuan : La Melodie secrète. edition Fayard. poitier. France. 1989. P : 19-26

وبقي الحال على هذه الشاكلة عشرات القرون إلى أن جاء الإغريق بفلسفتهم وعلمهم فأخذوا عن سابيقهم ما أخذوا ، وتركوا ماتركوا ، وزادوا أشياء أخرى ، وبرز منهم فيتاغورس الذي تصور النار قلبا للكون والكل يدور حولها ، وتخيل أن هناك أرضا مقابلة لأرضنا تدور حول النار من الجهة الأخرى ، ثم جعل دائرة للقمر وأخرى للشمس ثم دائرة لكل كوكب من الكواكب الخمسة المعروفة في عهده ثم دائرة للنجوم حتى تكامل له عدد 10 هو عدد تام في تصوره.

أما أفلاطون فوضع الأرض وسط الكون والكل يدور حولها وإعتبر السموت مقرا للآلهة واعتبر الوجود محدودا بكرة متحركة تحمل النجوم .

أما أرسطو فقد جعل الكواكب على كرات من مادة الكريستال الشفاف وقد قسم الوجود إلى قسمين : قسم سفلي يتمثل في القمر والأرض حيث النقصان وما فوق ذلك فهو عالم الآلهة الكاملة .

أما بطليمس فقد لخص علوم السابقين وبحوثهم في كتابه " المجسطي " الذي عمر من بعده 1500 سنة وفيه وضع الأرض في الوسط والكل يدور حولها ووضع حلولا رياضية لكثير من المشاكل المتعلقة بحركة الكواكب ، لكنه لم يتخلص من كرات الكريستال ولا من خرافات الآلهة.

ومع سقوط الحضارة الإغريقية على يد الرومان الذين إتخذوا من المسيحية دينا لهم في 300 م جعل البحث في حقيقة الكون يتقلص ويضمر ويتراجع وأوشك تراث الإغريق أن يضيع إلى الأبد.[1]

2 – دراسة الكون في عهد نزول القرءان الكريم :

كما هو واضح فأثناء نزول القرءان الكريم كان تراث الإغريق مدفونا في الكتب التي تركوها وداس عليها الرومان بسنابك خيولهم المنطلقة للسيطرة على العالم.

أما العرب في ذلك الوقت فكانوا كغيرهم من الأمم الجاهلية يألهون الكواكب ويؤمنون بالدهر ويصدقون أهل التنجيم فكانت قبيلة حمير تعبد الشمس وكانت كنانة تعبد القمر، وهناك قبائل أخرى كان يتوجه بعضها بالعبادة إلى المشتري أو إلى الشعرى ، أو إلى عطارد،... ومن هنا فإن العرب كانوا في جاهليتهم منحرفين في عقيدتهم وكانت نظرتهم إلى الكون – حتى مع الإقرار بوجود خالق له – نظرة تدل على سطحية في التفكير

---

[1] نفس المصدر ، ص : 19 – 26 .

ولا تخلوا من طابع أسطوري يتمثل في الإعتقاد بأن مثل تلك الكواكب تضر وتنفع، ولذا يتوجه إليها بالعبادة.

أما الدهرية منهم فهم يتصورون الكون أزليا لايفنى ولا يبيد فليس ثمة إلا الدهر أو الزمن وليس هناك من بعث ولا نشور ولا حساب ولاجزاء ، ولم تكن هذه النظرة عندهم وليدة فلسفة أو تفكير منظم وإنما هي مجرد إنطباع عن الكون يدل على سذاجة في التفكير.[1]

في مثل هذه الظروف السوداء نزل القرءان الكريم ليعطي تصوره عن حقيقة الكون والحياة والإنسان والألوهية ، فكان حملة على الخرافة والأباطيل والمعتقادات الخرافية ، ولذلك فلا نعجب من كثرة الآيات الكونية في القرءان الكريم، إذ جيء بها ليبصر الإنسان من عمى، ولتفك الأغلال عن القلوب المقفلة ، ولينار الطريق أمام الضلال ، بل وليحيي أمة من الموات ، فكانت أساليب القرءان في هذه الآيات غاية في الروعة والجلال ، بدليل النتائج الباهرة التي حققتها مع هذه الأمة الأمية ، ومن ضمن هذه التصورات الخاطئة التي جاء القرءان ليصلحها : الإعتقاد بألوهية هذه الكواكب وعبادتها ، فقد مرت معنا الآيات التي تحدثت عن قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في هذه القضية ، وإنما كان يقصد بها العرب المؤلهين للكواكب حتى يأخذوا منها العبرة، وكذلك نجد قوله تعالى : ﴿ **إنه هو رب الشعرى** ﴾[2] حيث بين لهم أن هذا النجم مجرد مخلوق لا ينفع ولا يضر وأنه بذاته في حاجة إلى إله خالق مدبر لشؤونه، وإعتبر القرءان الكريم مظاهر الكون كلها مجرد علامات وآيات على عظمة الله وقدرته إذ يقول : ﴿ **إن في خلق السموت والأرض وإختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (164)** ﴾[3] و يقول : ﴿ **إن في خلق السموت و الارض لآيات للمومنين(3) وفي خلقكم و ما يبث من دابة آيات لقوم**

---

[1] أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني : الإنسان والكون في الإسلام ، ص : 27 - 29

وكذلك : حسن عاصي : المنهج في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط :1 ، 1411 هـ 1991م ص 151

[2] سورة النجم ، الآية 49.

[3] سورة البقرة ، الآية 164.

يوقنون(4) و اختلف اليل و النهار و ما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها و تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون(5) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق .فبأي حديث بعد الله وآياته يومنون (6) ﴾ .[1]

وجاءت السنة الشارحة للقرآن موضحة لكثير من هذه المعاني فنهى الرسول صلى الله عليه و سلم عن الربط بين الظواهر الفلكية والأحداث البشرية ، فيوم توفى إبنه إبراهيم كسفت الشمس فظن الناس ذلك معجزة حدثت لهذه المناسبة ، فقام صلى الله عليه وسلم خطيبا في الناس ، وقال : " **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته .** " [2]

وهنا أقول أن مثل هذه الحادثة لو حدثت مع دجال من الدجاجلة لما فوت الفرصة لاستغلالها لصالحه لكسب مزيد من الأنصار والأتباع .ولكنها النبوة التي لا تحتاج إلى مختلف الحيل الماكرة لتثبت نفسها .

وإضافة إلى دعوة القرآن الكريم إلى التفكر في الكون ،فقد ربط كثيرا من العبادات من حيث أوقاتها بظواهر كونية ، ومن ذلك أوقات الصلاة ، وإثبات الصوم والعيدين إضافة إلى صلاة الكسوف والخسوف [3].

لكل ذلك فقد هب العرب والمسلمون إلى دراسة الكون وإعتبروه كتابا مشهودا إلى جانب الكتاب المقروء : القرءان الكريم، ويشهد لمنجزاتهم في ذلك العدو والصديق على السواء إذ يقول الفيثنامي " توان " : "وبالتوازي مع سقوط الإمبراطورية الرومانية بدأت الإمبراطورية العربية الإسلامية تأخذ مكانتها، فقد وصل إتساعها من الهند إلى إسبانيا، وتسلمت هذه الإمبراطورية مشعل الحضارة والعلوم، ولقد عمل خلفاء بغداد في الفترة الممتدة بين 700 م و 1000 م على بناء المراصد وترجمة أعمال اليونانين وعلى رأسها كتاب " المجيسطي " ،' وتحولت الأندلس إلى مركز فكري عظيم للعالم الإسلامي وعن طريقة إكتشفت

1- سورة الجاثية ، الآية 3-6 .

2 - أبو الوفا التفتازاني : الإنسان والكون في الإسلام ، ص:31.

3 - د. حسن عاصي – المنهج في تاريخ العلوم عند العرب ، ص:150-151 .

أوروبا المسيحية الفكر اليوناني، وقامت بترجمة الأعمال اليونانية من العربية إلى اللاتينية، ومن هنا دخلت المصطلحات العربية إلى ميدان دراسة الكون" [1].

ومما يؤكد إنطلاق المسلمين في هذه الدراسات من القرآن الكريم قول الإمام إبن حزم (المتوفي سنة 456 هـ) : (إن أحدا من أئمة المسلمين المستحقين لإسم الإمام بالعلم - رضي الله عنهم - لم ينكروا تكوير الأرض، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة. بل البراهين من القرءان والسنة قد جاءت بتكويرها، قال عز وجل : ﴿ خلق السموت و الارض بالحق يكور اليل على النهار و يكور النهار على اليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾[2] وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض، مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها وهذا نص تكوير الأرض) [3] *

ومن أشهر الباحثين في الكونيات من المسلمين : البتاني[859-929] ، وأبو الحسن إبن سهل الصوفي [903-986] ، وأبوا الوفاء البوزجاني [940-988]، وإبن يونس الصدفي [تو: 1009] ، وأبوالقاسم المجريطي [950-1007] ،والبيروني [973-1048] ، وأبو الحسن بن شاطر [تو :1375] ، وصلاح الدين قاضي زاده [تو: 850 هـ= 1422م] ... .و غيرهم كثير .

أما المسيحيون فقد كانوا في هذه الفترة يعيشون وسط ظلمات بعضها فوق بعض وفي جهل مطبق في مختلف المجالات، إذ كان الجهل عندهم - يومها - فضيلة من الفضائل، بل طريقا إلى تقوى الله تعالى ، لأن العلم بالكون مظهر من مظاهر الإهتمام بالدنيا، والمسيحية ذ، اسلام إنما جاءت الآخرة ، ونجد في الإصحاح السادس من إنجيل متى :

(لا تقدرون أن تخدموا الله و المال ، لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من

1- توان ، التناغم السري ، ص 26 .

[1] سورة الزمر، الآية : 5

[2] د. محمد الحبال ومقداد الجواري : العلوم في القرءان ، ص 17 .

* أنظر كذلك : غازي عناية : منهجية البحث العلمي عند المسلمين ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، ط : / ، سنة 1985 .

وكذلك : زغريد هونكة، شمس العرب تطلع على الغرب، ص : 130.

[3] محمد عبده :الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة .م.و.ف.م.للنشر الرغاية . الجزائر .ط:/س:1987م .ص43.

اللباس ...ولكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه تزاد لكم ، فلا تهتموا للغد ، لأن الغد يهتم بما لنفسه ، يكفي اليوم شره). [1]

ومن هذا المنطلق قامت الحرب بين العلم والدين ، وبين دراسة الكون وبين دراسة الإنجيل ،وبدأ الأمر باضطهاد رجال الدين المسيحيين للعلماء والمفكرين ، وكانت تلصق بهم تهم:الهرقطة والبدعة ومخالفة نصوص الإنجيل .

"ومن ذلك :"دى رومنيس" الذي قال : (إن قوس قزح ليست قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد،بل هي من إنعكاس ضوء الشمس على نقط الماء). فجلب إلى روما، وحبس حتى مات، ثم حوكمت جثته وكتبه ! فحكم عليها والقيت في النار

ثم انشئت محاكم التفتيش لمقاومة الدراسات الكونية بطلب من الراهب توركماندا... . وقامت هذه المحاكم بأعمالها حق القيام، ففي مدة18 سنة من1481م إلى1499 حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء ، فأحرقو ! وعلى ستة ألآف ثمانية و ستين بالشنق بعد التشهير، فشهروا و شنيقوا ، وعلى سبعة و تسعين ألفا و ثلاثة و عشرين شخصا بعقوبات مختلفة،فنفذت" (١)(*)

لكن كل هذا الإرهاب الفكري و المادي لم يمنع شعاع النور والعلم من أن يتسرب من المسلمين إلىأوربا عن طريق الأندلس وصقلية والشرق الأوسط ، فظهر بعض الدراسيين للكون من الأوربيين يحاولون على استحياء وخوف أن يقتدوا بالمسلمين في دراساتهم ومن أشهر هؤلاء :" نيكولاس كوبرنيك الذي أخرج كتابه:"ثورة الكرات السماوية" سنة 1543 م وفيه خالف الكنيسة في الاعتقاد بأن الأرض وسط الكون، لكنه صرح في كتابه أنه لايعتقد ذلك وإنما الأمر مجرد فرضية رياضية لحل مسائل كونية فقط ، فأفلت من العذاب وقد كان قاب قوسين أو أدنىمنه .

أما جيوردانوا برينو فإنه لم يفلت من الموت حرقا لما صرح أن الأرض ليست وسط الكون سنة 1600م

---

[1] نفس المصدر السابق ص : 52 - 53 .

(*) للتفصيل أنظر كذلك : حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار الهداية، قسنطينة، الجزائر، ط : 1، 1990، ص 21 22 .

وجاء تيكوبراهي بعد ذلك ليوافق القرءان في أن الكواكب غيرملتصقة بكرات زجاجية وإنما تسبح في الفضاء سبحا، لكنه أفلت من العذاب لأنه كان تحت حماية ملك الدانمارك يومها .

أما جاليلي جاليليو الذي صرح في كتابه"حوار حول أنظمة الكون الكبرى" بمخالفة رأي الكنيسة فحكم عليه بالإقامة الجبرية حتى الموت سنة 1642 م .

وجاء جوهانس كبلر بعده" [1] ليوافق العلامة ابن باجة في أن مدارات الكواكب بيضوية وليست دائرية[2]

و مع إسحاق نيوتن تطورت الدراسات الكونية وسارت خطوات كبيرة إلى الأمام.

أما في القرن العشرين فإن دراسة الكون تحوم أكثرها حول نظرية الانفجار الأعظم و توسع الكون، والتساؤل عن مصيره ، ومحاولةتحديدحجمه، وهي مواضيع ذات أهمية كبرى [*] بالنسبة لدراسة الآيات الكونية في القرآن الكريم ، ولذلك فسنشيرإليها خلال هذا البحث حينما تقتضي الضرورة ذلك ، وذلك حينما تكون معاني هذه الآيات القرآنية ذات صلة في معناها بهذه الآيات الكونية .

---

[1] توان التناغم السري: ص29-39

[2] محمد الحبال، و مقداد الجواري : العلوم في القرءان ،ص:18.

[*] أنظر : توان،التناغم السري : ص : 47 – و ما بعدها، و كذلك حنفي أحمد : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرءان، ص : 52، و ما بعدها.

4 – الاعجاز البياني للآيات الكونية في القرءان الكريم :

بعد أن عرفنا أهم المصطلحات الواردة في عنوان البحث، نريد الآن أن نتحدث قليلا عن مقصودنا من هذه الألفاظ مجتمعة على هذا النسق المذكور .

فقد نزل القرءان الكريم، وكان من أهم وسائل الإقناع واثارة الإنتباه فيه حديثه عن الكون، ومافيه من مظاهر التناسق والروعة والجمال. وقارئ القرءان الكريم يلمس هذه الحقيقة بوضوح وجلاء ، فهو يريدمن المؤمن أن ينظر إلى الجمال مبثوثا في الكون كله في لوحات ربانية رائعة الحسن أبدعتها يد الخالق البارئ المصور الذي أحسن خلق كل شئ ، وأتقن تصوير كل شئ ، ﴿ الذي أحسن كل شئ خلقه﴾ [1] ﴿ماترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [2] ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شئ﴾. [3]

ثم نرى القرءان الكريم بعد ذلك يلفت الأنظار وينبه العقول والقلوب إلى الجمال الخاص لأجزاء الكون ومفرداته فهو يلفت النظر إلى جمال السماء من فوقنا ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها ومالها من فروج ﴾. [4] ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ﴾ [5] ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقا ،ماترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ . [6]

ويلفت النظر إلى جمال الأرض، وما أخرجت من نبات بهيج، يسر الناظرين ﴿و أنبتت من كل زوج بهيج ﴾. [7]

---

[1] سورة السجدة، الآية : 70 .

[2] سورة الملك، الآية 3 .

[3] سورة النمل، الآية : 88 .

[4] سورة ق ، الآية 6 .

[5] سورة الحجر، الآية : 16 .

[6] سورة الملك، الآية : 3 – 5 .

[7] سورة الحج، الآية : 5 .

﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾[1] ، ﴿ أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾[2] و كذلك إلى جمال الحيوان في غدواته وروحاته ، في مشهد طبيعي خلاب. يقول القرءان بعد ذكر منافع الأنعام: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾.[3]

كما ينبه على الجمال في الإنسان الذي خلقه الله [4] ﴿ في أحسن تقويم ﴾ [5] ، ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ [6] ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ماشاء ركبك﴾ [7] ولقد كان وصف القرآن الكريم لجمال الكون وتناسقه بأسلوب جميل رائع معجز يناسب هذا الكون في جماله وروعته وإعجاز خلقه.

وإنطلاقا من هذا الإعجاز في أسلوب القرآن الكريم، انطلق العلماء يدرسون البلاغة والبيان، محاولين أن يكتنهوا السر في إعجاز القرآن البياني الذي تميز به على سائر كلام البشر شعرا ونثرا بإنتقاء الألفاظ وتأليفها للتعبير بها من المعاني بوضوح مؤثر ، وقد رأينا كيف كان ذلك حين حديثنا عن مصطلح البيان وعن تاريخ دراسة الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

وإنطلق علماء آخرون من هذه الآيات التي تصف الكون، إنطلقوا يدرسون الكون ذاته فظهرت عند المسلمين مختلف العلوم الكونية كما رأينا ذلك في حديثنا عن مصطلح "الكون" وتاريخ الدراسات الكونية قبل القرآن وأثناءه وبعده.

ثم جاء علماء معاصرون فزادوا تدقيقا في الآيات الكونية في الطبيعة والآيات الكونية في القرآن الكريم ، وقارنوا بين هذا وذلك، فكانت دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وما نريده في هذا البحث هو إفراد الآيات الكونية في القرآن بالدراسة البيانية في بحث مستقل على ضوء المعاني القديمة والحديثة لهذه الآيات محاولين إستجلاء أسلوب

---

[1] سورة النمل ، الآية :60

[2] سورة الأنعام، الآية :99

[3] سورة النحل، الآية : 6

[4] يوسف القرضاوي : بينات الحل الإسلامي، مكتبة رحاب، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط : 2، 1989م ص:152-153.

[5] سورة التين الآية : 4.

[6] سورة التغابن الآية : 3.

[7] سورة الإنفطار الآية : 7-8.

القرآن الكريم في التعبير عن هذه المعاني العظيمة التي تتضمنها هذه الآيات وخصوصا كيف جمع في الآية الواحدة بين ما يفهمه الأعرابي في صحرائه وما يفهمه العالم في مختبره، بين ما يفهمه العامي وما يفهمه خصوص خاصة الناس، كل ذلك من خلال الدراسة اللفظة الواحدة والعبارة الكاملة والإيقاع الموسيقي ودراسة مختلف النكت البلاغية في التعبير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني :

﴿ تاريخ البحث في الإعجاز البياني للقرآن الكريم ﴾

1 – لماذا الإعجاز البياني ؟

2 – كيف استقبل العرب معجزة القرآن البيانية؟

3 – بدايات الدراسات البيانية للقرآن الكريم.

4 – العصر العباسي وظهور دراسات الإعجاز البياني .

5 – عصر الضعف ودراسات الإعجاز البياني.

6 – عصر النهضة وإعادة إحياء دراسات الإعجاز البياني .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

تاريخ البحث في الإعجاز البياني للقرآن الكريم

أ – لماذا الإعجاز البياني ؟ :

لقد كانت المعجزة قبل القرآن الكريم معجزات مادية، " فما بعث الله رسولا إلا وقد أيدَهُ بالآيات الكونية والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة عند الناس، والخارجة عن مقدور البشر، ليكون إظهارها على يدي الرسول مع بشريته دليلا على أنه مرسل من عند الله.

فعدم حرق النار لإبراهيم، وناقةصالح، وعصا موسى، وماظهرعلى يد عيسى من عجائب، كلها من هذا القبيل"[1] .

ولقد كانت هذه المعجزات بحسب ما اشتهر به كل قوم في مختلف ميادين الحياة تحديا لهم فيما يحسنون وما يصنعون، فقد أراد قوم ابراهيم أن يحرقوه بالنار فتحداهم الله في ذات ماصنعوا فجعلها بردا وسلاما عليه، وبرع قوم صالح في نحت الصخور و اتخادها بيوتا فكان التحدي الإلهي بأن أخرج لهم من الصخور الميتة ناقة عجيبة . واشتهر السحر في عهد موسى فكان أن تحداهم الله بهذه العصا التي تتحول حقيقة لاسحرا إلى حية تسعى، واشتهر الطب في عهد عيسى-عليهم السلام جميعا – فكان أن تحداهم الله بأن جعله يبرئ الأبرص والاكمة ويحي الموتى بإذن الله .

وكانت هذه المعجزات حسية يوم أن كان العقل الإنساني في الطور الذي لم يبلغ فيه الرشد بعد، ويوم أن كانت هذه العجائب تبلغ من نفسية الجماهير مبلغا لاتملك معه إلا الاذعان و التسليم .

فلما بدأ النوع الإنساني يدخل في سن الرشد، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور والنماء، لم تعد تلك العجائب هي الوحيدة الدلة على صدق الرسالة .

ولم يعد من السهل على العقل أن يذعن لمجرد شيئ رآه خارجا عن عرف الحياة، إنه يريد شيئا جديدا يتناسب والطور الذي وصل إليه [2].

---

[1] السيد سابق : العقائد الإسلامية ، ص:215.

[2] المصدر السابق، ص :216 &.

ولقد بلغ العرب قبل البعثة المحمدية في ميدان القول والبيان مبلغا عظيما، يشهد له ما وصلنا من تراث بياني حافل خصوصا في ميدان الشعر الذي مازلنا إلى اليوم نتذوق حلاوته ونعجب لصفائه ونحار لرقيه الأدبي. فـ "نجد في شعر زهيربن أبي سلمى حكمة البيان الشعري، وفي شعر عنترة قوة البأس، ولطف التشبيب و الغزل، في شعر طرفةبن العبدقوة النفس الثائرة [1]وفي شعر الشنفرى الطبيعة الصحراوية مجسدة، وفي شعر النابغة سلطان الكلمة على النفوس خصوصا حين استعطافاته،...حتى قيل فيهم : إنهم كانوا يأخذون بحد اللسان مالا يأخذونه بحد السيف و السنان .

بل اننا إذا وازنا بين ماوصل إلينا من شعر العرب ، ومابقي من شعر اليونان والرومان لوجدنا أن التراث العربي قد فاقه كثيرا في سلامة التفكير، وفي دقة التعبير وواقعيته، ولكأني بالتراث اليوناني لم يكتب إلابين أساطين المعابد وبين حجارة الأوثان لذلك تجد الخرافة قد استبدت به وابتعدت به عن واقع الحياة المعيش ، أما الشعر العربي فما ولد إلاوسط الطبيعة وفي خضم المجتمع لذلك تجده معبرا عن واقع العرب أيما تعبير،وكأني بك وأنت تقرأه قد سافرت في الزمن والمكان معا إلىجزيرة العرب في الجاهلية لتعيش وسط أهلها . ولهذا الشعر فوق ذلك حلاوة النغم، و تساوق الفكر، وتآخي الألفاظ مع المعاني .

لذلك قال ابن قتيبة:"فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة و البيان واتساع المجال ما أوتيته العرب [لذلك شاء الله] إقامة الدليل علىنبوة الرسول بالكتاب، فجعله علمه كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور في الزمان المبعوث فيه" [2]

ولذلك قال الرسول صلى الله عليه و سلم :"**مامن الانبياء نبي الاأعطي مامثله آمن عليه البشر، وإنماكان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثر تابعا يوم القيامة** " رواه الإمام مسلم عن ابي هريرة .[3]

فكانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم معجزة بلاغية، بيانية، من جنس مابرع العرب فيه ليعرفوا علوها عن طاقتهم ،وليكون التحدي بها ذي معنى و مغزى،فكمالايعقل تحدي المقعد في رياضة الجري. فكذلك لايعقل تحدي العيي في ميدان البلاغة و البيان .

---

[1] د أحمد جمال العمري : المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرءاني ، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر ط :/ - 1410هـ :1990م .ص:16 .

[2] عمر السلامي : .الإعجاز الفني في القرءان. مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.تونس - تونس .ط:/ سنة:1980م

[3] إبن شرف الدين النووي، صحيح مسلم بشرح النووي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط : 3 ، ص : /، ج : 2، ص : 186، (باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم)

ب ـ كيف استقبل العرب معجزة القرءان البيانية ؟ :

" نزل القرءان الكريم علىقلب النبي الامي صلى الله عليه و سلم ليكون برهانا علىصدق النبي و النبوة، نزل القرءان العظيم يخاطب قلوب العرب وعقولهم،ويطرق على أسماعهم بأعذب الكلمات التي تتأثر بها الأسماع،وتنتقل منها إلى القلوب في معان محكمة، و حقائق بينة وشرائع منظمة." [1]

لكن أجلاف الصحراء نفروا من الحق لمجرد أن خالفهم فيما اعتادوه وألفوه، لكنهم على أنفتهم وعزتهم وافتخارهم ببيانهم وفصاحتهم لم يجرؤوا أن يرفعوا التحدي الذي ووجهوا به وهو أن يأتوا بمثل هذا القرءان الكريم ولو بسورة واحدة منه ، واستعملوا كل الوسائل في مقاومة القرءان الكريم من الإشاعات إلى الإغراء إلى الإستهزاء إلى التعذيب إلى القتل إلى الحرب ...إلامحاولة رفع التحدي البياني، فقد وقفوا أمام هذا القرءان الكريم وهو يتلى عليهم موقف المندهش المشدوه المتحير في جماله وروعته ثم لايملكون إلا أن يقولوا عنه أنه ﴿ سحر يؤثر﴾ .[2]

و مثالهم : الوليد بن المغيرة الذي استشاركبراء قريش فيما يقولون لوفود الحجاج في أمر صاحبهم وقد سمعوابه...فقالوا: نقول ساحر،قال : ماهو بساحر ،لقد رأينا السحاروسحرهم فماهوبنفثهم ولاعقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : و الله إن لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة، وإنه يعلى ولايعلىعليه...وإن أقرب القول فيه... أن تقولوا:ماهوإلاسحر يؤثر ،أما رأيتموه كيف يفرق بين الرجل و أهله و مواليه ..."[3]

وبلغ من إعجابهم بالقرءان الكريم أن كان بعضهم كأبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام و الأخنس بن شريق يسترقون السمع إلىقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل .

أما الذين بقيت لهم فطرة سليمة وعقل يضبط سلوكاتهم فقد كان للقرءان الكريم عليهم أثرا عجيبا .

---

[1] د. أحمد جمال العمري .المباحث البلاغية . ص:20 .

[2] سورة المدثر، الآية : 24 .

[3] ابن كثير : تفسير القرءان العظيم، دار الثقافة، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط:1، 1410هـ ، 1990م . (ج:7 ص:88).و كذلك : إبن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري، و عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط : 2، س : /، ج : 1، ص : 270 - 271

فهذا عمر بن الخطاب الذي قال عنه الصحابي عامر :"و الله لايسلم ابن الخطاب حتي يسلم حمار الخطاب"[1] يقول عمر عن نفسه كيف أسلم : "فلما سمعت القرءان رق له قلبي، وبكيت، فدخلني الاسلام "[2] .

فمع اختلاف الروايتين، واحدة تقول أنه كان مقدما على البطش ببعض المسلمين وهم يقرؤون القرءان و الأخرى تقول أنه كان عازما على قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم ذاته وهو يقرأ القرءان أمام الكعبة ، إلا أن كلا الروايتين تتفقان أنه انتقل من حالة الهيجان إلى حالة الرقة والهدوء حين سماعه لهذا القؤآن العظيم.

و لم يكن هذا الأثر أثرا آنيا قصيرا بل كان أثرا متجددا مستمرا فها هو ذا بعد مدة يصل إلى أن يصلي بالناس فيبكي في قراءته حتى ينقطع عنها ويسمع نحيبه من وراء ثلاث صفوف.[3]

وكان أبو بكر رجلا يكاد لا يملك دموعه إذا قرأ القرءان* .

وقرأ ابن عمر ﴿ ويل للمطففين﴾[4] فلما أتى على قوله تعالى : ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ [5] .بكى حتى انقطع عن قراءة ما بعدها [6] .

وأعظم أثر لهذا القرءان الكريم أنه أخرج أمة أمية من جاهلية جهلاء إلى حضارة لم يشهد لها التاريخ مثالا في العظمة و الإتساع و الأثر في غيرها من الأمم .

فمن كان سيسمع بعمر أو أبي بكر ومن كان يتوهم أن يكون للعرب يد على التاريخ لولا هذا القرءان العظيم؟

---

[1] محمد الخضري بك : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشركة الجزائرية موزاقة و بوداود ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط : / ، س : / ، ص57 . و كذلك : إبن هشام، السيرة النبوية، ج : 1، ص : 343.

[2] ابن سعد : العشرة البشرون بالجنة (من الطبقات) د.و.م.ج ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط: / ، ص :19 .

و كذلك : إبن هشام، السيرة النبوية، ج : 1 ، ص : 347

[3] أحمد.جمال العمري ـ المباحث البلاغية ص : 24 .

أنظر حديث عائشة عند مالك بن أنس، الموطأ ،ج : 1، ص:170-171 .

[4] سورة المطففين، الآية 1 .

[5] سورة المطففين، الآية 6 .

[6] إسماعيل حقي : تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط : 7، 1405هـ ، 1985م، ج : 30، ص : 366.

ج -بدايات الدراسات البيانية في القرءان الكريم :

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تولى الصحابة رضي الله عنهم عملية إيضاح وبيان معاني القرءان الكريم، ولكن على تحرج كبير من كثير منهم ، فهذا أبو بكر الصديق يسأل عن قوله تعالى : ﴿ **وفاكهة وأبا**﴾[1] فيقول :" أي سماء تظلني و أي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم ؟ "[1] لكن هذا لا يمنع وجود بعض الصحابة تميزوا بالجرأة في تبيين معاني الكتاب كابن عباس الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعا له "...**اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل** " و علي بن أبي طالب الذي كان يقول: "سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ،أم في سهل أم في جبل " [2]

أما التابعون وقد عاش معظمهم في العصر الأموي فقد إعتمدوا على سلفهم ،فلم يزيدوا عليهم كثيرا ، فهذا عكرمة يقول : " كل شئ أحدثكم في القرءان الكريم فهو عن بن عباس "و من اشهر المفسرين من التابعين: الحسن البصري و عطاء بن أبي رباح، وأبو العالية ،والضحاك بن مزاحم و قتادة .[3]

و لقد كانت اهتمامات الدارسيين للقرءان في عصر الأمويين متعلقة أساسا بما ظهر من أفكار الجبر والاختيار و قضايا الخروج و التشيع و الارجاء و مختلف القضايا الفقهية التعبدية و المعاملاتية [4]

كما انشغل الناس في هذا العصر خصوصا بالفتوحات الاسلامية في مختلف أصقاع الأرض وكفى بذلك شاغلا عن دراسة الفن و البيان و مختلف أساليب التعبير .

لهذه الأسباب فإنه لم تظهر في هذا العصر درسات متخصصة في ميدان الإعجاز البياني في القرءان الكريم، وإنما حدث ذلك بعد هذا العصر، و بالضبط مع بداية العصر العباسي وذلك ما سنراه في مايلي.

---

[1] ابن كثير: تفسير القرءان العظيم ، ج :7 ـ ص :120 .

[2] السيوطي : الاتقان في علوم القرءان، ج2 ـ ص: 120 ,

[3] نفس المصدر، ج2 ـ ص : 190 .

[4] أحمد أمين : فجر الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط :10، 1969م ص : 195 ـ 208 .

د -العصرالعباسي و ظهور دراسات الاعجاز البياني :

يمثل العصر العباسي العصر الذهبي بالنسبة للثقافة العربية الاسلامية عموما ، فقد استقرت فيه الدولة بما دان لها من الأقاليم في مختلف أصقاع الأرض بفضل الفتوحات الاسلامية ، و توسعت دائرة الاسلام لتشمل شعوبا وأقواما مختلفين من فرس وروم و غيرهم، لايحسنون من العربية - مهما تعلموها - مايسر لهم و يعينهم على فهم القرءان الكريم الفهم الصائب و خصوصا ماتعلق فيه بالأساليب غير المباشرة في التعبير،ولذلك فقد انبرى جمع من العلماء و الباحثين لتيسير ذلك،فكان هذا من أهم أسباب نشأة النحو و البلاغة، والدراسات البيانية عموما.

كما أن هذا الإحتكاك بالثقافات غير العربية جعل يطرح اشكالات عدة تتعلق بمصداقية القرءان و الإسلام عموما ، و من ذلك إشكالية حقيقة الإعجاز في القرءان الكريم. فأدى ذلك كذلك إلى تجرد جمع من العلماء و الباحثين للرد علي شبهات المشككين، فكانت دراسات حول الإعجاز في القرءان الكريم ومن هنا ولدت فكرة الاعجاز البياني للقرءان الكريم.

ومن أشهر هؤلاء العلماء و الباحثين في هذا العصر :

1 - الفراء : (144 - 207 هـ = 761 - 822 م)

هو:يحي بن زياد بن عبد الله، عالم النحو و اللغة، و قد سمي بالفراء لأنه كان يفري الكلام [1] فريا .

له : كتاب " معاني القرءان " ،و تكمن أهمية هذا المؤلف في كونه من أوائل ماوصلنا من تفسيير القرءان الكريم. وقد ركز فيه كثيرا على الإستعمال المجازي للألفاظ في أسلوب القرءان [2]

---

[1] الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ط : 5 ، 1980 م ، ج : 8 ، ص : 145- 146 .
وكذلك المنجد في اللغة و الاعلام، لمجموعة من المؤلفين .ص : 520 .

[2] د . رابح دوب : الدرس البلاغي عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (أطروحة دكتوراه) ص : 56 -57.
وكذلك د .منير سلطان - إعجاز القرءان . ص :48 .

2 ـ **أبو عبيدة** : (... – 210 هـ = 727 ـ 825 م)

هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، ولد بالبصرة و توفي بها

له : كتاب " مجاز القرءان " [1] وقد قال الجاحظ أن سبب تأليفه له هو ما كثر فيه الكلام من قوله تعالى : ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين** ﴾.[2]

ومع قرب العمر بين أبي عبيدة و الفراء إلا أننا نجد أبا عبيدة قد تفوق شيئا على الفراء ، فزاد على المجاز في كتابه حديثه عن ظواهر بلاغية أخرى كالمشاكلة مثلا [3]

3 – **الأخفش** : (.... – 215 هـ = ... – 830 م)

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم المصري، عالم اللغة والأدب .

له كتاب " معاني القرآن" [4].

4 – **النظام** : (... – 231 هـ)

هو إبراهيم بن سيار النظام المكنى بأبي إسحاق .

له كتاب " نظم القرآن " وقد تحدث عنه الجاحظ في " الحيوان" حيث قال عنه : " أجهد فيه نفسه، وبلغ منه أقصى ما يمكن مثله في الإحتجاج للقرآن الكريم والرد على كل الطعان" [5].

وأشهر ما بلغنا عنه أنه لم يكن يرى في إعجاز القرآن الكريم إلا الصرفة فقد ورد في مقالات الإسلامين للأشعري عنه أنه قال : " والآية والعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم، فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم." [6].

إلا أن هذا لم يمنع النظام من أن يكون له إهتمام بالجانب البياني للقرآن ويدل على ذلك تسمية كتابه " نظم القرآن" ومقالة الأشعري عنه لا تمنع إطلاقا إعتقاده ببلاغة

---

[1] أبو عبيدة : مجاز القرءان، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، المدينة : /، مصر، ط : 1، 1381هـ، 1962م

[2] منير سلطان : اعجاز القرءان ، ص: 60. ويشك الباحث في هذه الرواية، إذ أن أب عبيد لم يتناول هذه الآية في كتابه، إذ ذكر ما قبلها و هي الآية 63 من سورة الصافات، و ما بعدها،و هي الآية 66، و لم يتناولها بدراسة، و لا يعقل أن ألف العنسان كتاب لآخل لآية ثم ل يذكرها في كتابه. أنظر أبو عبيدة : مجاز القرءان ص :170.

[3] رابح دوب : الدرس البلاغي ...ص : 93 .

[4] الأخفش : معاني القرآن ، تح : عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 1408 هـ ، 1980 م. و الزركلي: الأعلام ، ج : 3 ، ص 102 .

[5] د. منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ،، دار نشأة المعارف، الإسكندرية، مصر ، ط: 3 ، 1986م . ص 53

[6] نفس المصدر السابق، ص 54 .

القرآن الكريم الرفيعة، ويشهد لهذا ما رواه الجاحظ عنه إذ قال : " وقرأ بعض أصحابنا بحضرة أبي إسحاق :﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع** ﴾[1] فقال رجل لأبي إسحاق : أنظر كيف قرن الضفادع إلى الطوفان، مع غلبة الطوفان وقوته ! قال أبوإسحاق : " الضفادع أعجب في هذا الموضوع من الطوفان وإذا أراد الله أن يجعل الضفادع أضر من الطوفان فعل." [2]

5 – **الجاحظ** : (... – 255 هـ = ... – 868 م)

هو عمرو بن بحر اللغوي الباحث الشهير .

له كتاب " نظم القرآن" و " آي قرآن" و "البيان والتبين" و " الحيوان " و "حجج النبوة" .

أما كتابه "نظم القرآن" فمفقود غير موجود، وقد ذكره الزمخشري في مقدمة كشافه[3] وقد قال عنه البقلاني أنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله [4] ولعله يقصد بذلك أستاذه النظام. إلا أن الخياط في " الإنتصار " لايرى ذلك إذ يقول عنه : " ولا يعرف في الإحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على نبوته غير كتاب الجاحظ"[5] .

أما " آي القرآن " فيتحدث عنه هو ذاته في " الحيوان " فيقول : " جمعت فيه آيا من القرآن الكريم لتعرف بها فضل ما بين الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة "[6].

أما " البيان والتبين " فقد قال عنه فيه ذاته أنه ذكر فيه أقسام تأليف وجمع الكلام، وكيف خالف القرآن الكريم جميع الكلام الموزون والمنثور وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج [7]

---

[1] سورة الأعراف ، الآية : 133 .

[2] د. منير سلطان : إعجاز القرآن ص 56 .

[3] الزمخشري : الكشاف ، ج : 01 ، ص : ن .

[4] الرافعي : إعجاز القرءان مكتبة رحاب الجزائر العاصمة الجزائر، ط : /، س :/،، ص : 151 .

[5] د . منير سلطان : إعجاز القراءن ... ، ص : 62.

[6] نفس المصدر السابق ص : 58 ، و كذلك الرافعي إعجاز القراءن و البلاغة النبوية، ص : 151 – 152 .

[7] د. منير سلطان : إعجاز القرءان ، ص : 58

وقد تقلب الجاحظ بين القول بالصرفة والقول بإعجاز القرآن ولعله يرى أنه لا تعارض بينهما.

فيقول عن التحدي والإعجاز : "تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة، فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه ولا أتى ببعضه " [1]

أما الصرفة فيقول عنها : "... وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن " .[2]

ومن آرائه في نظم القرآن أنه يشتمل على الإيجاز والإطناب واختيار الألفاظ والتشبيه الدقيق والمجاز. [3]

6– ابن قتيبة (213 – 276 هـ)

هو أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة

له كتاب " تفسير القرءان"، وكتاب " تأويل مشكل القران" ويرى أن الاعجاز في القرءان الكريم يكمن سره في النظم والتأليف الخاص به، الذي حار فيه أعداء القرءان إذ يقول: " وقطع منه بتعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبان بعجيب النظم عن حيل التكلفين " [4] ، ثم يوضح كلامه بتحليله لآي القرءان الكريم تحليلا يعتمد فيه على عمق الدلالة الحسية لمفردات القرءان الكريم، وإبراز الجوانب البيانية والفنية من خلال التحليل، واعتماده على أسلوب أدبي شائق في العرض.[5]

7 – الواسطي: (.... – 306 هـ)[6]

هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد، له كتاب :"إعجاز القرءان في نظمه وتأليفه" [1] ويرى الرافعي أن هذا هو أول كتاب وضع لشرح الاعجاز وبسط القول فيه، ولأهميته فقد تناوله الجرجاني بالشرح في كتاب سماه:"المعتضد"[7]

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص : 62 .

[2] نفس المصدر السابق ص : 61 .

[3] نفس المصدر السابق ص : 59 – 60 .

[4] عمر سلامي : الإعجاز الفني في القرءان ، ص : 60 ، و كذلك : د. منير سلطان : إعجاز القرءان... ، ص : 48 .

[5] عمر سلامي : المصدر السابق، ص : 60.

[6] الرافعي : إعجاز القرءان ص : 148 .

[7] د . منير سلطان : إعجاز القرءان ... ص : 50 .

8–الطبري: (224 – 310 هـ = ... – 923 م)

هو: أبو جعفر محمد بن يزيد بن كثير، بن غالب الطبري المولود بآمل (طبرستان).

له : تفسير للقرءان الكريم سماه "جامع البيان في تأويل آي القرءان".

وقد قال عنه السيوطي والنووي أنه لم يصنف في التفسيرمثله.[1]. وله كذلك كتاب "القراءات." [2]

9 – الرماني : (296 – 384 هـ = ...– 994 م)

هو : أبو الحسن بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني إمام في اللغة والكلام ولد وتوفي ببغداد.[3]

وله في ميدان القرءانيات مؤلفات عدة منها : " تفسير القرءان"، "الجامع في علوم القرءان"، " النكت في إعجاز القرءان"، " المختصر في علم السور القصار"، "المتشابه في علوم القرءان " ، " غريب القرءان" [4]

وأشهر ما بقي من كتبه " النكت في إعجاز القرءان " ويرى فيه الرماني أن للإعجاز عدة أوجه، والوجه البياني هو الأهم، ولذلك فقد أسهب الحديث فيه.

ومن أوجه هذا الجانب: الإيجاز كقول تعالى : ﴿ **ولو أن قرءانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . . .** ﴾.[5]

---

[1] السيوطي : طبقات المفسيرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط : /، س : /، ص : 82 – 83 .

[2] السيوطي : الإتقان في علوم القرءان، ج : 2 ، ص : 191 .

[3] الرافعي : إعجاز القرءان، ص : 148، و منير سلطان : إعجاز القرءان...، ص : 74 .

[4] منير سلطان : إعجاز القرءان...، ص : 74 – 75 .

[5] سورة الرعد ، الآية : 31 .

والتشبيه : كما في قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب . . . ﴾.[1]

والإستعارة، والتلاؤم (أي انعدام التنافر) والفواصل، والمبالغة والبيان [2] أي زيادة الوضوح.

10– الخطابي: (319 – 388 هـ = 931 – 998 م)

هو :محمد بن محمد بن إبراهيم الخطاب من بلاد كابل [3].

له: كتاب " بيان إعجاز القرءان " وقد بدأه بالحديث عن إكثار الناس في بيان الإعجاز قديما وحديثا، ثم انتقل إلى بيان حقيقة الإعجاز، فتحدث عن تحدي القرءان الكريم للعرب أن يأتو بمثله، وإنقطاع العرب عن المعارضة، ثم بين وجه الإعجاز في ذلك، ثم انتقل إلى نقض فكرة الصرفة، ثم بين أن الزعم بأن إعجاز القرءان يقوم على ما تضمنه من أخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان هو نوع من الإعجاز، لكنه ليس عاما، ولا موجودا في كل سورة.

ثم أكد أن القرءان الكريم إنما صار معجزا لكونه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متظمنا أصح المعاني.

ويرى أن البلاغة تكمن خصوصا في حسن تخير الألفاظ ، ثم يضرب أمثلة على الألفاظ المتقاربة في المعنى مع اختلافها في جوهرها، مثل العلم والمعرفة، والحمد والشكر وكيف يعرف ذلك بالأضداد.

ثم تحدث عن الحذف وأثره البلاغي، ثم تحدث عن التكرار و أهدافه البيانية . حتىوصل إلى الهدف من كل ذلك وهو الذي غفل عنه أكثر الناس وهو صنيع القرءان الكريم بالقلوب وضرب لذلك أمثلة: عمر بن الخطاب، وعتبة بن ربيعة، والجن .[4]

---

[1] سورة النور، الآية : 39

[2] د. منير سلطان : إعجاز القرءان... ص: 68 – 80

[3] الزركلي : الأعلام، ج : 2، ص : 273 .

[4] محمد خلف الله و محمد زغلول : (تحقيق) ثلاث رسائل في إعجاز القرءان، رسالة الخطابي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 4 ، 1991م ، ص : 9 – 72 .

11 – **أبو الهلال العسكري**: (....– 395 هـ = ...– 1005 م)

هـو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد اللغوي الأديب.

له : كتاب " الصناعتين " وله " تفسير " في خمس مجلدات[1] وقد غلب على أبي هلال التبويب والتقسيم في البلاغة و فروعها و خرج عن تذو ق النص و ربط الأسلوب بالمعنى.

12– **الباقلاني** : (...– 403هـ = ...– 1013م)

هـو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر البصري الملقب بسيف السنة.[2]

له كتاب "إعجاز القرءان"

و فيه يرى أن إعجاز القرءان يتمثل في ثلاثة أمور هي :

- أن القرءان بديع النظم .
- أنه عجيب التأليف .
- أنه متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

و وجه ذلك عشرة هي :

- خروجه عن المعهود في النظم
- علوه في مختلف فنون التعبير
- خروجه عن عادة الإنس و الجن في التعبير
- إشتماله على مختلف وجوه الكلام
- المعاني اللطيفة البارعة
- بروز فضله من بين سائر الكلام
- كونه منظوما من حروف العربية المعروفة
- سهولة و سلاسة أسلوبه مع عدم تكلفه

و من أجل إبراز هذه الأوجه فقد كان البقلاني يعمد إلى مقارنة ما في القرءان بنتاج الشعراء و الكتاب ليبرز جمال ما في القرءان الكريم و عيب ما في غيره.

---

[1] السيوطي : طبقات المفسرين، ص : 33 .

[2] إبن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط :/، س : / ج : 3، ص : 168 .

و نلاحظ أنه لم يجعل البديع من أوجه الإعجاز لأنه من الممكن تعلمه و تصنعه، و إنما يقع الإعجاز بما لا يمكن الوصول إليه. [1]

13– القاضي عبد الجبار الهمداني : (...– 415 هـ)

هو : الذي يكنى بأبي الحسن الأسد آبادي. [2]

له كتاب " المغني في أبواب التوحيد و العدل " ، و قد خصص الجزء السادس عشر منه لإعجاز القرءان. و يقول فيه :" إن القرءان جاء بطريقة فذة في النظم و التأليف مختصة برتبة في الفصاحة معجزة ، و إنه باعتبار الأمرين : الطريقة في النظم، و الإختصاص برتبة في الفصاحة، يكون الإعجاز ." [3]

ونشير كذلك إلى أنه له كذلك كتاب في التفسير وصفه السيوطي بأنه لطيف الحجم. [4]

14 – الجرجاني (...–471 هـ = ...– 1078 م)

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني المولود بجرجان قرب خرسان.

له كتاب كبير في شرح " إعجاز القرآن " للواسطي سماه " المعتضد "[5] ،و له كتابان الشهيران "أسرار البلاغة "، و "دلائل الإعجاز"، و كذلك" الرسالة الشافية ".

و نظرته في الاعجاز البياني تقوم على فكرة النظم إذ يقول :" إن اللفظ وحده لا يتصور عاقل ان يدور حوله بحث من حيث هو لفظ، إنما من حيث دلالته يدور البحث فيه،

---

[1] د .منير سلطان : إعجاز القرءان، ص : 101 – 114 .

[2] السيوطي : طبقات المفسرين، ص : 48 .

[3] محمد بن سعد الدبل : النظم القرءاني في سورة الرعد، ص : 55 .

[4] طبقات المفسرين، ص : 49 .

[5] الرافعي : إعجاز القرآن ، ص : 102.

و إن المعنى مقيد تحديدا بالنظم الذي يؤدي إليه، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعني تمام الاتحاد . [1]

و يبين أن الصيغة اللفظية لا تجدي إذا لم تتوج بحسن الاستعمال و النظم ،إذ يقول : " إن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا بعد العلم بالنظم و الوقوف على حقيقته ، و من دقيق ذلك و خفيه أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾[2] لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ... و ليس الامر على ذلك... ولا هذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة، و لكن لأن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء ، و هو لما هو من سببه ، فيرفع به ما يسند اليه، و يؤتي بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده ، مبينا أن ذلك الاسناد و تلك النسبة إلى ذلك الاول إنما كان من اجل هذا الثاني، لما بينه و بينه من الاتصال." [3]

أما الرسالةالشافية فهدفها هو بيان عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم على الرغم من تحديهم به، و إقامة البراهين و الادلة على ذلك ، و الرد على شبه المبطلين .[4]

15 **الزملكاني** : (...- 651 هـ =...- 1253 م)

هو: عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني . له كتاب " التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ".[15]

و رأيه في إعجاز القرآن الكريم أنه "راجع إلى التأليف الخاص به - لا مطلق التأليف - بأن اعتدلت مفرداته تركيبا و زنة وعلة، و مركباته معنى ، بأن يوقع كل فن في مرتبته

---

[1] سيد قطب : التصوير الفني في القرءان، دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان، ط : 13، 1413هـ، 1993م، ص 194.

[2] سورة مريم ، الآية : 4

[3] الجرجاني دلائل الإعجاز ، ص 108.

[4] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله ، و محمد زغلول .

[5]. الزركلي الأعلام ج 6. ص 284. و يبدو أن الرافعي قد خلط بينه وبين ابن الزملكاني المتوفى سنة 727هـ كما ذكر ذلك في كتابه " إعجاز القرآن "ص 154.أنظر الزركلي الأعلام ج 06، ص 284.

العليا في اللفظ و المعنى ." [1]

16 -"**إبن أبي الأصبع المصري** :(585 -654 هـ)

هو عبد العظيم بن عبد الواحد.

له كتاب " بديع القرآن "، و كتاب" تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن". و قد حاول فيه أن يفيد من جهود سابقيه، و يصنع من كتابه مادة تطبيقية لآيات القرءان الكريم على ما عرفه من فنون البيان و البديع ."[2]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] السيوطي : **الإتقان**، ج : 2 ، ص : **151** .

[2] محمد بن سعد الدبل ، النظم القرآني في سورة الرعد ، ص: 21

هـ - **عصر الضعف** : 656 -1213 هـ /1258-1798 م [1]

من الناحية التاريخية يبتدأ هذا العصر من سقوط بغداد في 656 هـ على يد هولاكو، و ما نتج عن ذلك من سقوط الخلافة العباسية و تحول الامة إلى مجموعة من الدويلات هنا و هناك و قد اثر هذا سلبا على الجانب الثقافي و العلمي و الادبي .

و قد تمثل ذلك في تدمير جانب كبير من تراث الامة من طرف المغول ، و كذلك ما ظهر بعد ذلك من التنادي بغلق باب الاجتهاد ،كل هذا ساهم في عرقلة الدراسات البيانية للقرآن لكنه لم يقضِ عليها قضاءا مبرما، إذ اقتصر هم الباحثين على شرح كتابات الجرجاني ومن بعد تلخيص كتابات السكاكي، والرازي ، ثم انتهت التلخيصات إلى حواش والحواشي إلى تقارير، إلى أن صارت تلك الشروح المادة الأساسية لتعليم البلاغة في كل البيئات المعنية بالعربية على اختلاف الأفكار وتفاوت الأمصار [2] .

ومن العلماء الباحثين في الدراسات البيانية الذين برزوا في هذا العصر :

1- **العلوي** (669 - 745 هـ) = (..... - 1344 م)

هو يحي بن حمزة العلوي، صاحب كتاب "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز"، وقد عقد فصلا مطولا في الجزء الثالث منه للإعجاز متبعا فيه طريقة الجدل والكلام، ويرى في كتابه أن البلاغة علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز.

ويذكر أن فصاحة وبلاغة القرآن تظهران بمقياسين :

الأول: أن يقاس ما في القرآن على قواعد الفصاحة التي قررها .

والثاني أن يقاس بأقوال البلغاء فيظهر فضله في الحالين " [3] .

2-" **إبن القيم** (691 - 751 هـ) = (1292 - 1350 م)

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ، صاحب المؤلفات في مختلف العلوم من فقه وأصول وعقائد وتفسير وأدب ..." [4] .

---

[1] إبن القيم الجوزية ، الأمثال في القرآن ، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 3، 1409 هـ، 1989م، ص: 117- 181 .

[2] منير سلطان :إعجاز القرآن ، ص:49.

[3] نعيم الحمصي :فكرة إعجاز القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ، ط: 2 1400 هـ ، 1980م ، ص:129،130.

[4] إبن القيم : الأمثال في القرءان، تحقيق : سعيد محمد نمر الخطيب، ص : 123 - 138 .

ومن مؤلفاته في ميدان الدراسات البيانية للقرآن الكريم كتابه : " الأمثال في القرآن "، وله دراسات متناثرة في القرآن الكريم جمعها الشيخ أويس الندوي في كتاب سماه "التفسير القيم"، وله كذلك:" الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان" .

أما " الأمثال في القرآن " فقد خصصه لدراسة التشبيه التمثيلي في كتاب الله ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب ﴾[1] قال عنه :"فشبه من آتاه كتابه ... فترك العمل به، وإتبع هواه بالكلب الذي هو أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرا ، وأخسها نفسا ، وهمته لاتتعدى بطنه ، وأشدها حرصا ومن حرصه أنه لايمشي إلآ وخطمه في الأرض يتشمم ويتروح حرصا وشرها." [2] .

ويشير إلى اختيار القرآن للفظة المناسبة ، وأثر التصريف عليها في قوله تعالى :

﴿كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ [3] قال :"وتحت " المستنفرة " معنى أبلغ من النافرة فإن للإستفعال من الطلب قدرا زائدا على الفعل المجرد" [4] .

أما كتابه " الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان " فغايته إبراز بلاغة القرآن وأهمية علم البيان في فهمه ودراسته وإدراك مواطن الجمال فيه .

وفي هذا المجال يذكر أن إعجاز القرآن يكمن في إيجاز اللفظ وغنى المعنى وأنواع البديع وأجناس التجنيس والفصاحة والجزالة ... وأنه لايسأم منه تاليه ولا يمله واعيه ، وفي كل حين تظهر فيه قضايا التنزيل وخفايا التأويل، ومن نتائج أفكار الخلف ، غير ماجاءت به فطن السلف ... وكل آية منه تحتوي على بحار من الإعجاز زواخر وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل والأواخر [5] .

فهو في هذا النص لايقصر إعجاز القرآن في شكله وأسلوبه ولفظه فقط ، بل إن في معانيه المتجددة مع العصور مظاهر للإعجاز تتجلى للناس في كل عصر .

وهو بهذا وإن عاش فيما يسمى بعصر الضعف إلا أنه يفتح باب التجديد أمام الخلف على مصراعيه، ولايبيح الحجر على العقول، ولا يقول -كما يقول البعض - :

---

[1] سورة الأعراف، الآية : 176

[2] إبن القيم : الأمثال في القرءان، ص : 214 - 224 (لاحظ أنه شرح هذا التشبيه في عشر صفحات.)

[3] سورة : المدثر الآية : 50-51

[4] إبن القيم : الأمثال في القرءان، ص :212-213 .

[5] نعيم الحمصي :فكرة إعجاز القرآن ، ص:138 -139 .

"ما ترك السلف للخلف شيئا ."

هذا مع أنه تلميذ بن تيمية الذي ينسب إليه التحجر والانغلاق زورا وبهتانا .

وهذا التجديد في الفهم إنما يتجلى أكثر مايتجلى -في مايرى الباحث -في الآيات الكونية للقرآن الكريم ، التي نحن بصددها في هذا البحث المتواضع .

3-" **إبن جزي الكلبي الغرناطي** (693-741هـ) =(...- 1340م)

هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزي .

له في الدراسات القرءانية كتاب " التسهيل لعلوم التنزيل ". و يرى أن وجوه الاعجاز البياني تتمثل في :

- فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين .

- نظمه العجيب و أسلوبه الغريب .

- عجز المخلوقين في زمان نزوله ، وبعد ذلك إلى الآن عن الاتيان بمثله .

ولقد أوجز الحديث عن هذه الاوجه ، وهو فيها ناقل لأقوال السابقين غير مجدد ولامضيف" [1] .

4-**إبن كثير**:(...- 774 هـ) :

هو أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة 774هـ.

له " تفسير القرء ان العظيم" ،و فيه أشار بشكل موجز إلى الاعجاز البياني إذ يقول: " ومن تدبر القرءان وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ و من جهة المعنى قال تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[2] فأحكمت ألفاظه ، و فصلت معانيه ، فكل من لفظه و معناه فصيح لا يحادى ، و لا يدانى .و يقارن القرآن بالشعر فيقول : "أن الشعر أعذبه أكذبه ، بينما القرآن فكله حق و صدق ، وعدل

---

[1] نعيم الحمصي :فكرة إعجاز القرآن ص: 124 -125.

[2] سورة هود الآية : 1

وهدى "و الشعر" تجد فيه بيتا أو بيتين أو أكثر هي بيت القصيد و سائرها هدر لاطائل تحته وأما القرءان فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة " [1]

5- **الزركشي** (745-794هـ)[2]:

هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي .

له كتاب " البرهان في علوم القرءان " الذي يقول فيه عن القرءان أن " الله قد أنزله في أوجز لفظ و أعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء و أعجزت حكمته الحكماء و أبكمت فصاحته الخطباء ."[3]

وقد تحدث عن هدفه من كتابه فقال : " فاستخرت الله و له الحمد في وضع كتاب جامع لما تكلم الناس في فنونه ،و خاضوا في نكته و عيونه ،و ضمنته من المعاني الأنيقة و الحكم الرشيقة مايهز القلوب طربا ، ويهز العقول عجبا، ليكون مفتاحا لأبوابه و عنوانا على كتابه ، معينا للمفسر على حقائقه ،و مطلعا على بعض أسراره و دقائقه، و الله المخلص و المعين و عليه أتوكل"[4]

و للقارئ أن يرجع إلى أول هذا البحث ليرى ماقاله الزركشي عن أوجه الاعجاز البياني ،و يلخصه بقوله "أنه معجز لإشتماله على متفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام، مع ماتضمنه من المعاني ،مع ملائمته التي هي نظوم تأليفيه."[5]

فهو عنده يتمثل في روعة اللفظ و روعة المعنى ،وقوة ما يربط بينهما من النظم العجيب .

6-**السيوطي**:(849-911 هـ) [6]: (

هو جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي . له في دراسة الوحدة الموضوعية في جميع القرءان كتاب " تناسق الدرر في ترتيب السور " وقد تم تحقيقه

---

[1] ابن كثير : تفسير القرءان العظيم،، ج: 1، ص:64-65.

[2] الزركشي : البرهان في علوم القرءان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج :1، المقدمة .

[3] نفس المصدر ج :1، ص : 3

[4] // // ج :1، ص : 9

[5] // // ج: 2، ص: 174

[6] السيوطي جلال الدين: الاتقان في علوم القرءان ،ج:1، ص:1-2.

من طرف : عبد القادر أحمد عطا ،وهو رسالة شيقة يبحث فيها السيوطي عن العلاقات بين السور، مبينا الروابط الموجودة بين آخر كل سورة و أول السورة التي تليها."[1]

كما له كتابه الشهير "الإتقان في علوم القرءان " وقد خصص النوع الرابع و الستين فيه لإعجاز القرءان الكريم ،ويقول عن الجانب البياني فيه أنه يتمثل في" خرقه للعادة في أسلوبه و بلاغته . و كان العرب أفصح الفصحاء ،مصاقع الخطباء ،وتحداهم أن يأتوا بمثله ،وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا ..." [2]ثم جعل ينقل أقوال السابقين في الاعجاز مبديا رأيه فيها ،وركز أكثر ماركز في وجوه الاعجاز على الجانب البياني .

و في النوع الخامس و الستين ذكر رأيه الذي يراه في الآيات الكونية في القرآن ،وهو اعتباره لها أنها تضمنت علوم السابقين و المتأخرين ،ويستدل في ذلك بآراء الإمام أبي حامد الغزالي وابن أبي الفضل المرسي ،وأبي بكر بن العربي و غيرهم .[3]

7- **الشربيني** :(...-977 هـ):(...-1569 م) .

هو :محمد الشربيني الخطيب

تكلم عن الاعجاز البياني في كتابه " السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كتاب ربنا الحكيم الخبير" والإعجاز يتمثل عنده في " رقائق منظومه و دقائق مفهومه، وأنه لا نهاية لأسرار علومه."

فقد جمع بين وجوه الاعجاز بالنظم و بين الاعجاز بالمعاني ،و بأسرار علومه التي لاينتهي ،ففي كل زمن يكتشف منها جديد لم يعرفه السابقون.[4]

---

[1] السيوطي جلال الدين ،تناسق الدور في ترتيب السور تحقيق عبد القادر أحمد عطا. وقد غير عنوانه إلى" أسرار ترتيب القرءان " دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع ، تونس، الجمهورية التونسية، ط : /، 1983م

[2] السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرءان ،ج:2-ص:125

[3] نفس المصدر السابق ،ج:2-ص:131.

[4] نعيم الحمصي ،فكرة إعجاز القرءان .ص:172-175.

* و هكذا يمر عصر الضعف ساحبا ذيله على هذه الدراسات البيانية، فلا نكاد نجد تجديدا كبيرا في ميدانها ، بل أكثر ما وصلنا هو نقل لأقوال السابقين .

لكن ما يحسب لهؤلاء الباحثين هو فكرهم الموسوعي الذي يجمع الآراء المختلفة في القضية الواحدة و يقارن بينها ويستخرج رأيا أصليا لصاحبه .

كما أن لهذا النقل و إعادة الصياغة فائدة كبيرة في الحفاظ على تراث الأمة الذي كان مهددا بالزوال في ذلك العصر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و - **عصر النهضة** :(عصر الإنبعاث).(1213-.... هـ) =(1798-....م) .

هكذا يسمي المؤرخون الفترة الزمنية التي تلت حملة نابوليون بونابارت على مصر سنة 1798م.

و إذ نعتمد هذا التقسيم نؤكد أولا أن بونابارت لم يكن هدفه بتلك الحملة النهوض بهذه الأمة المريضة ، بل لقد كان هدفه - كما هو واضح - القضاء التام على بقايا التدين لدى المسلمين، ثم استعبادهم بعد ذلك بسهولة ،لأنه بذلك يكون قد قضى على روح المقاومة في أنفسهم .

لكن للأسف ! إنقلب السحر على الساحر ، فكانت هذه الحملة بمثابة صفعة قوية على وجه النائم أو المغشي عليه ،جعلته يستيقظ من نومه أو غشيته تلك [*] وهو منبهر بالأنوار الساطعة للحضارة الغربية الحديثة ، وجعل يتساءل عن موقعه منها محاولا اللحوق بالركب المتقدم ، وهنا بدأت روح البحث و التجديد و الدراسة تنبعث في جسم هذه الأمة ، وليست الدراسات البيانية بمنأى عن هذه الأحداث بل لقد تأثرت هي كذلك بها ،وكان للآيات الكونية في القرءان حظها من هذا التأثير فبدى الاهتمام بها كبيرا في هذا العصر من طرف الباحثين أكثر مما كان عليه الأمر في العصور السابقة خصوصا وأن هذا العصر قد اتجه أصحابه إلى الكون و الطبيعة دارسين لهما مدققين في أسرارهما .

ومن الباحثين في الدراسات البيانية الذين برزوا في هذا العصر .

1-**الإسكندراني** : (1237-1888هـ) = (

هو أول من جمع الآيات الكونية على حدى، و حاول دراستها دراسة موضوعية في كتابه " كشف الأسرارالنورانية القرءانية فيما يتعلق بالاجرام السموية و الارضية و الحيوانات و النباتات و الجواهر المعدنية " وقد طبع كتابه سنة1297هـ.

لكن غلب على كتابه جانب المعاني ، إذ ركز كثيرا على معاني الألفاظ بغرض استخراج الجوانب العلمية التي قد تشير إليها،كما في قوله تعالى: ﴿ و البحر المسجور ﴾[1]

---

[*] أنظر محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مكتبة رحاب، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط : /، 1984م :198- 205.

(1) سورة الطور ، الآية 6.

قال: "إنها تتحدث عن السائل الناري في باطن الارض لأن من معاني كامة " المسجور" الملتهب. [1]

2-**عبد الله باشا فكري:**

بعد أن فتح الاسكندراني باب الدراسة الموضوعية للآيات الكونية في القرءان، وتناول فيه مختلف المواضيع الكونية التي قد تكون لها بهذه الآيات اتصال، جاء عبد الله باشا فكري ليتخصص في الآيات الكونية الفلكية فألف كتابه "مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية " ، ولقد طبع الكتاب سنة 1315هـ=1926 م .[2]

وهو كسابقه ركز على معاني الألفاظ ،فقد فسر ﴿ **رفع سمكها** ﴾[3] بأنه جعلها بالغة الارتفاع .وفسر ﴿ **سواها** ﴾[4] ،بأنه نظم أمرها على أبدع ما يكون . وفسر ﴿ **والشمس تجري** ﴾[5] بأن المراد بها دوران الشمس حول محورها ،ودورانها مع توابعها حول شئ آخر ،لتصل إلى هدف يراد لها.[6]

3- **الكواكبي:** (1265-1320هـ) .

له كتاب :" طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد " الذي طبع على شكل مقالات سنة 1318هـ=1900م .ويرى فيه أن القرءان في آياته الكونية استعمل أسلوب التلميح أحيانا ، و أحيانا أخرى أسلوب التصريح في حديثه عن ظواهر الكون ،إذ يقول: :"إن العلم كشف في هذه القُرون الأخيرة حقائق و طبائع كثيرة ورد التصريح أو التلميح بأكثرها في القرءان "[7]

---

[1] الذهبي :التفسير و المفسرون ، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:1، 1396هـ - 1976م ج2، ص:497. و نعيم الحمصي :فكرة إعجاز القرءان، ص:209-215.

[2] الذهبي : التفسير و المفسرون ، ج2، ص :498..

[3] سورة النازعات، الآية : 27 . [4] سورة النازعات، الآية : 28 .

[5] سورة يس، الآية :

[6] نعيم الحمصي ص:220.

[7] الكواكبي : طبائع الإستبداد و مصارع الإستعباد، مطبعة الأمة، مصر، ط : /،س : /، ص : 23.

وفي سجل مذكرات جمعية أم القرى " الذي نشره سنة: 1320 في مجلة المنار يتحدث عن اعجاز القرءان البياني فيقول عن تناسق معانيه:" وكفى القرءان العزيز شرفا أنه على اختلاف مواضيعه قد مضى عليه ثلاثة عشر قرنا تمحصه أفكار الناقدين و المعادين و لم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد"[1]. فهو عزيز على النقد .

وهو بهذا يكون مركزا على جانب المعنى في الإعجاز البياني ،أكثر من المبنى .

4- مصطفى صادق الرافعي :

ألف كتابه" إعجاز القرءان و البلاغة النبوية "سنة 1914، و مع أنه قد تناول فيه كثيرا من علوم القرءان إلا أن تركيزه كان أكثرشئ على الاعجاز البياني الذي يرى أن مادته تكمن في أسلوب القرءان الفريد الذي استيأس بلغاء العرب من معارضته ، فليس فيه من صبغ النفس البشرية شئ ، وما في أسلوبه من اللين و المطاوعة في التأويل، فقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلا الفطرة ،و فهمه كذلك من جاء بعدهم من الفلاسفة و أهل العلوم، وأثبتت العلوم الحديثة كثيرا من الحقائق التي كانت مغيبة في علم الله ، وإن ما عهد من كلام الناس لايحتمل ذلك ولابعضه .[2] ويضرب على ذلك الأمثال لتوضيح فكرته.

5 عبد الحميد بن باديس :

لم تقتصر نهضة الدرسات البيانية على المشرق الإسلامي بل كان كذلك في المغرب لإسلامي دارسون و باحثون شاركوا في هذه الدراسات، و نجد في الجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس الذي قام بتفسير القرءان الكريم جميعه، و كانت له أثناء هذه الدراسة العلمية إشارات بيانية رفيعة ومن ذلك ما قاله سنة 1930م، 1348هـ في تفسيره لقوله تعالى ﴿ **و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا ءية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة** ﴾[3] فقال :" الليل هو الوقت المظلم الذي يغشى جانبا من الكرة الأرضية عندما تكون الشمس منيرة لجانبها المقابل، و النهار هو الوقت الذي يتجلى على الجانب المقابل للشمس فتضيء بنورها، و لا يزالان هكذا يتعاقبان على جوانب هذه الكرة و أمكنتها، يكور الليل على النهار بأن يحل

---

[1] نعيم الحمصي ص:312-313.

[2] مصطفى صادق الرافعي.إعجاز القرءان و البلاغة النبوية من ص: 188إلى 273.

[3] سورة الزمر ، الآية : 05.

محلـه في جزء من الكرة، جزء الكرة مكور، فيكـون النهار الحال مكورا بحكم تكور المحل و هكذا الليل" [1]

5-**طنطاوي جوهري** :(1287-1358هـ)=(1876-1940م) [2]

له تفسير"الجواهر في تفسير القرءان "الذي طبع بين (1341-1359هـ)=(1922-1932م). وقد حصر فيه الآيات الكونية للقرءان في سبع مئة وخمسين آية ،يرى أنها جديرة بالتفسير و التأمل وهو كذلك يركز على جانب المعاني في دراسته لهذه الآيات فيقول:" فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرءان بل هي علوم لفظه، ومانكتبه اليوم علوم معناه ." [3]

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وأنبتنا فيها من كل شئ موزون** ﴾[4] فهو يرى أن هذه العبارة تشير إلى نظام الطبيعة الذي تختلف مواده باختلاف المقادير والنسب فيها. "[5] وفعل نفس الشئ في كتابه "القرءان و العلوم العصرية " وفيه تناول-مثلا- قوله تعالى : ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾[6]. فيأخذ لفظة "لواقح"ويبين أنها لفظة مشتركة في عدة معاني من تلقيح النبات،و تلقيح السحاب للمطر [7] إلا أننا نلاحظ بعض الإسراف عند طنطاوي جوهري في تحميل العبارات و الألفاظ أحيانا أكثر مما يمكن أن تحتمله .

---

[1] مجلة الأصلة، عدد : 1981، أحمد حماني، تفسير بن باديس و منهاجه، ج : 1، ص : 261.

[2] الزركلي-الأعلام- ج1-ص:216

[3] طنطاوي جوهري - الجواهر في تفسير القرءان الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر ط : /، 1354هـ ، 1935م (المقدمة)

[4] سورة الحجر ، الآية : 15

[5] نعيم الحمصي ص:225 .

[6] سورة الحجر، الآية 22

[7] نعيم الحمصي : فكرة إعجاز القرءان، ص : 225 .

6- أمين الخولي :

في بحثه:"البلاغة العربية و أثر الفلسفة فيها" ذكر كيف أن البلاغة كانت وسيلة لمعرفة الاعجاز عند القدماء، ثم ذكر ضرر هذا الاعتقاد على الروح الادبية ، و الاعجاز عنده لا يمكن تعليله فهو يدرك بالذوق و طول الممارسة لعلوم الادب و بخاصة البلاغة ، و هذا يحتاج الى استعداد خاص في النفس . فدراسة قواعد البلاغة الجافة و الاقتصار عليها خطأ فني بل تقصير ديني .

أما بحثه " التفسير معالم حياته " فقد ركز فيه على نقد فكرة الاعجاز العلمي ، و يرى أن الآيات الكونية في القرآن الكريم يقصد بها رياضة و جدانات الناس ، لا من حيث دقائق قوانين الكون . بل إنه يرى أن القرءان " قد يبدو فيه ما هو متعارض مع الحقائق العلمية ولا ضير عليه. " !

و في مقالة "البلاغة و علم النفس" التي نشرها سنة 1936 م يحاول أن يربط بين الاعجاز البلاغي و الاعجاز النفسي في القرءان الكريم .[1]

و لا ندري ما الذي يسوغ له هذا الامر على حساب الاعجاز العلمي مع أنهما صنوان متشابهان جدا !

7- سيد قطب :

صدر كتابه " التصوير الفني في القرءان " قبل 1947 [2] ، و قد أقام نظريته على ثلاث أسس هي :

"- التخييل الحسي ...

- التجسيم الفني ...

- التناسق الفني في العبارات و الموسيقى و المعنى ...

---

[1] المصدر السابق ، ص : 336 - 343 .

[2] سيد قطب : مشاهد القيامة في القرءان الكريم ص : ص :266 ، دار الشروق، بيروت، لبنان القاهرة، مصر، ط : 1،س: /، و ذكر صلاح عبد الفتاح الخلدي في كتابه نظرية التصوير الفني في الفهرس أن الطبعة الأولى غير مؤرخة ، بينما الطبعة الثانية صادرة سنة 1949م

فالقرءان الكريم يعبر عن المعاني البعيدة بتقريبها لخيال السامع ، و الأمور المعنوية المجردة يجسمها في شكل محسوس. و يعرض كل ذلك في أسلوب جميل متناسق متشاكل رائع .[1]

و قد حاول أن يطبق هذه الفكرة أو النظرية في موسوعته" في ظلال القرءان " الصادرة قبل سنة 1961 م-1381هـ و وفق في ذلك أيما توفيق.

و بالنسبة للآيات الكونية في القرءان الكريم فقد تناول الكثير منها في كتابه " مشاهد القيامة... " كما في موسوعته " في ظلال القرآن " بأسلوبه الأدبي الرائق ، لكنه كان ينكر على الذين أسرفوا في نظرتهم العلمية إلى هذه الآيات دون تبصر و حذر. [2]

8- محمد عبد الله دراز :

صاحب كتاب " النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرءان" الصادر سنة 1960م [3] و قد قال عنه الشيخ محمد الغزالي :" و قد كنت أنا نفسي كثير الطواف حول هذا المجال البياني... إلى أن قرأت كتاب " النبأ العظيم " فرأيت الرجل وفى هذا المجال حقه و أفاض في الحديث كأنه يتدفق من ينبوع لا يغيض أبدا ." [4]

ومن خصائص الاسلوب القرآني المعجز عنده :

-خطاب العامة و خطاب الخاصة : فهو قرءان واحد يراه البلغاء أول الكلام ، و يراه العامة أحسن كلام و أقربه إلى عقولهم [5]

-إقناع العقل و اقناع العاطفة : فالحكماء يقدمون لك حقائق العلوم جافة و الشعراء يستثيرون وجدانك بالغي كما بالرشد ، لكن الكتاب الكريم يخاطب العقل و القلب معا" [6]

و قد طبق كلامه على سورة البقرة و بين ما فيها من تناسق و جمال و روعة في المعنى و اللفظ معا .

---

[1] سيد قطب : التصوير الفني في القرءان ص: 68-75 .

[2] سيد قطب : في ظلال القرءان، دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان، ط : 10، 1402هـ ، 1982م، ج: 1، ص : 184 .

[3] نعيم الحمصي : فكرة إعجاز القرءان ، ص : 368. مع ملاحظة أن مقدمته الأولى كتبت في 1352هـ، 1933م، أنظر محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرءان، مطبعة دار السعادة، المدينة : /، مصر، ط : /،1379هـ،1960م، ص : 5.

[4] محمد الغزالي : نظرات في القرءان ، ص : 146.

[5] نفس المصدر ، ص : 148.

[6] نفس المصدر ، ص : 152 .

9- محمد سعيد رمضان البوطي:

له كتاب "من روائع القرآن " الذي طبع للمرة الرابعة سنة 1975 و قد بين في مقدمته أن الاعجاز البياني يشمل كلا من المعنى و المبنى، إذ يقول: " إن المهم من دراسة الاعجاز القرآني أن يصل منها القارئ إلى ما يدرك معه أن صياغة هذا الكتاب ليست مما من شأنه أن يخضع للطاقة الانسانية ، و أن معانيه ليست مما قد يأتي بمثله الفكر الانساني.

و تتمثل خصائص أسلوب القرآن عنده في :

- كونه ليس على أعاريض الشعر و لا شكل النثر مع ما فيه من تناسق.
- الحفاظ على النسق الرفيع مع تعدد الموضوعات .
- صياغة معانيه بحيث يصلح للعامة و الخاصة .
- التكرار الهادف .
- جمال المفردة القرآنية .
- إيقاع الجملة القرآنية الرائع .
- تجلي الربوبية من خلال الاسلوب.
- التصوير الفني .[1]

10 عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ :

لها كتاب " التفسير البياني للقران الكريم " و قد صدرت طبعته السادسة التي أمكنني الحصول عليها سنة 1982م .[2] و لها منهجها الذي أخذته عن استاذها أمين الخولي الذي ذكره في كتابه " مناهج تجديد " [3] و يبدو أنها في الجانب التطبيقي تركز كثيرا على الجانب النحوي اللغوي الصرفي .

و في كتابها " القرآن و قضايا الانسان " تناولت كثيرا من الآيات الكونية بالدراسة و خصوصا في القسم الثاني منه الذي عنونته بـ " أمتي و العصر " و فيه تحدثت عن ما يسمى " بالتفسير العصري " و ما لابد أن يتقيد به من ضوابط الدراسات القرآنية الصحيحة . [4]

---

[1] نعيم الحمصي فكرة إعجاز القرءان ، ص : 403 .

[2] الخالدي : نظرية التصوير الفني عند السيد قطب ، ص : 384، و قد ذكر أن الطبعة الأولى كانت سنة 1962 .

[3] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء : التفسير البياني للقرءان الكريم، مطبعة دار المعارف ، المدينة: / ، مصر ، ط: / ، 1962م ص: 10.

[4] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء : القرءان و قضايا الإنسان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ،ط: 2، 1975 م ، ص: 257 .

11 محمد متولي الشعراوي :

صدر كتابه " المختار " أو " المنتخب في تفسير القرآن الكريم " سنة 1970م = 1391 هـ و في بدايته يتحدث عن الآيات الكونية في القرآن و عدم تصادمها مع حقائق العلم و أن التصادم لا يحدث إلا حين نخطئ في فهم القرآن فـ " ندعي حقيقة قرآنية و هي ليست حقيقة قرآنية " .[1]

و في سنة 1978م = 1398 هـ أصدر كتابه " معجزة القرآن " الذي يرى فيه أن القرآن يختار الألفاظ المناسبة في التعبير – في الآيات الكونية إذ يقول : " و من الإعجاز في القرآن أن يستخدم الالفاظ التي تعبر بدقة عما يريد، و لا يكون هناك تصادم مفهومها مع أي عصر."[2]

و في 1980م =1400 هـ في حوار مذاع يقول : " التقديم و التأخير الذي هو قضية بيانية قد تخدم قضية علمية في القرآن، كما في قوله تعالى ﴿إن السمع و البصر﴾[3] و قوله ﴿سمعكم و أبصاركم﴾[4] فقد اكتشف العلم مؤخرا أن الانسان أول ما يولد تؤدي حاسة السمع دورها ثم إن العين تؤدي مهمتها في ظرف عشرة أيام ."[5]

12 محمد الطاهر بن عاشور :

له تفسير " التحرير و التنوير " الصادر سنة 1984 م

يقول فيه : " و قد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة ... وقد بذلت الجهد في الكشف عن معاني القرآن و إعجازه." [7]

و يذكر من وجوه الإعجاز و أفانين الكلام : التشبيه و الإستعارة و التقديم و التأخير فصاحة اللفظ، دلالة اللفظ على المعنى بدقة، اختلاف القرآن عن الشعر و السجع و النثر و

---

[1] الشعراوي : المختار في تفسير القرءان الكريم دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط :/ ، س : / ، ج : 1، ص: 27 .

[3] نعيم الحمصي : فكرة إعجاز القرءان، ص : 297 – 298 .

[4] سورة النحل، الآية 78 .

[5] سورة فصلت، الآية 22 .

[6] الشعراوي : إعجاز القرءان، معجزة الرسول، القضاء و القدر، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط : 1، 1400هـ، 1980م.

[7] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية لنشر و التوزيع، تونس العاصمة، الجمهورية التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط :/، 1984م، ج : 1، ص : 8.

الخطابة، الجمع بين الموعظة و التشريع، التفنن في الانتقال بين الأغراض، الانتقال من المثنى إلى الجمع، إعطاء كل غرض ما يليق به، الفواصل، المحسنات البديعية." [1]

13 سعيد حوى :

طبع كتابه " الأساس في التفسير " سنة 1405 هـ=1985 م وقد ركز فيه على الدراسة الموضوعية للقرآن إذ يقول : "و في عصرنا الذي كثر السؤال فيه عن كل شيء، أخذ كثير من الناس يتساءلون عن الصلة بين آيات القرآن الكريم و سوره، و عن السر في تسلسل سور القرءان على هذه الشاكلة المعروفة، فأصبح الكلام في هذا الموضوع من فروض العصر الذي نحن فيه، ولقد من الله علي أن أسُد هذه الثغرة مصححا الكثير من الغلط في هذا الشأن ...

[و بالنسبة للآيات الكونية فقد ركز على جانب المعاني فيها إذ يقول:] وفي عصرنا وجدت علوم كثيرة ...قدمت فهوما جديدة للنصوص، و كأثر على ذلك كان لا بد من عرض القرآن الكريم بأسلوب يغطي ذلك كله. "[2]

14 محمد الغزالي :

من أشهر ما طبع له في الدراسات البيانية للقرآن الكريم كتابه " نحو تفسير موضوعي لسور القرءان الكريم" سنة 1992 م ، و هدفه منه هو بيان العلاقة القائمة بين أجزاء السورة الواحدة من القرآن الكريم ، أي ما يسمى بالتفسير الموضوعي الذي يختلف –كما يعبر عن ذلك – عن تفسير الموضعي للقرءان .

يقول : " إن هناك معنى آخر للتفسير الموضوعي لم أستعرض له، و هو تتبع المعنى الواحد في طول القرءان و عرضه، و حشده في سياق قريب، و معالجة كثير من القضايا على هذا الأساس.

و قد قدمت نماذج لها في كتابي " المحاور الخمسة للقرآن الكريم " و " نظرات في القرآن ."

[أما الآيات الكونية فهو يرى و جوب الاهتمام بها ويقول عن القران أنه] وصف هذا العالم بكلمات معجزة حالفها الصدق على اختلاف العصور وارتقاء العقول لا ياتيها

---

[1] نفس المصدر السابق ، ج:1، ص:109-119.

[2] سعيد حوى : الأساس في التفسير، دار السلامة للطباعة والنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة مصر ، ط: 1 ،14085هـ 1985 م ، ص : 9 .

الباطل من بين يديها و لا من خلفها لانها تنزيل من حكيم حميد " [1]

* ولقد كثرت الدراسات حول الاعجاز البياني في هذا العصر بما لا يمكن حصره في هذا البحث ، ولقد اعتمدت في إنجازه على كثير منها بما يغني عن ذكرها هنا .

وأخيرا :

فإنه كما قررنا في البداية ، فقد كان هذا العصر عصر انبعاث للدراسات البيانية في القرآن الكريم، فمع اعتماد العلماء والباحثين على ما وصل إليه السابقون إلا أنهم لم يكتفوا بالتغني على الأطلال، بل حاولوا أن يعيدوا البناء على أسس من سبقهم مجديدين في أسلوبهم مبتكرين في معانيهم، مستفيدين مما وصلت إليه الأمم المتقدمة في الركب.

ومن أهم مظاهر التجديد محاولة وضع منهج للدراسات البانية في القرآن الكريم والتنظير لها، مثل ما فعل سيد قطب بنظريته في التصوير الفني، ومافعل أمين الخولي بنظريته البيانية النفسية.

ومن مظاهر التجديد كذلك تناول الآيات الكونية بأسلوب جديد معتمد على ما وصل إليه العلم الحديث من مكتشفات، وفي هذا الجانب نلاحظ تركيز الباحثين على جانب المعاني، معاني الألفاظ والعبارات.

كما إهتم الباحثون كثيرا في هذا العصر بالدراسة الموضوعية سواء البحث عن الموضوع الواحد في جميع القرآن الكريم، أو إستخراج الموضوع الواحد الذي يربط الآيات في السورة الواحدة، أو محاولة ربط القرآن جميعه ببعضه واكتشاف العلاقات بين مختلف السور فيه.

و لقد كان هاذا الذكر التاريخي لتبيين ما وصل إليه المسلمون في ميدان دراسات الإعجاز البياني لأجل استلهام ذالك في هذا البحث المتواضع ، و خصوصا في الجانب التطبيقي منه و الذي سنتناوله في الباب الموالي.

---

[1] محمد الغزالي : نحو تفسير موضوعي لسور القرءان الكريم، دار الشروق القاهرة ، مصر ، بيروت ، لبنان ، ط : / ، 1990 م ،ص : 6 .

الباب الثاني

الكـون و صيــغ الإعجــاز البيــاني فـي القرءان الكريــم

الفصــل الأول : بدايــة الكــون و صيــغ القرءان المعجــزة.

الفصل الثاني : الإعجــاز البيــاني في وصـف بنيــة الكــون.

الفصــل الثــالث : الإعجــاز البيــاني في وصــف نهــايــة الكــون.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد هذه المباحث النظرية في حقيقة الإعجاز البياني في القرءان الكريم، نحاول في هذا الباب أن نتناول بالدراسة بعض الآيات ذات الدلالات الكونية في القرءان الكريم ، محاولين استجلاء ما فيها من جمال فني و إعجاز بياني.

و كما سبق الذكر فقد اخترنا الآيات الكونية بالمعنى الضيق و المعاصر لهذه الكلمة، إذ من الصعب تناول جميع الآيات الكونية في القرءان بالمعنى العام للكلمة، و الإستقصاء التام مستحيل.

فسنقوم بمحاولة جمع معظم الآيات في القرءان التي تتناول وصف السماء بما فيها من أجرام، و الأرض معها، ثم نقوم بتصنيف هذه الآيات إلى مواضيع ثم نبحث في معانيها و مبانيها، مركزين على مواطن الجمال و الإعجاز فيها.

و سبب إهتمام الباحث بهذا النوع من الآيات دون غيرها، هو كون القرءان قد تناول هذه المشاهد من الكون أكثر من غيرها.

كما لا يخفى على أحد أن اهتمام الإنسان بقضايا الكون هو اهتمام قديم جدا، فقد اعتبر ذلك دليلا على عظمة الخالق سبحانه و تعالى، فمنذ فجر الإنسانية نادى نوح في قومه : ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا(15) و جعل القمر فيهن نورا، و جعل الشمس سراجا(16) .﴾[1] ، ثم تغيرت نظرة بعض الناس إلى دواهر الكون فعتبروها آلهة تعبد من دون الله تعالى، فهاهو ذا إبراهيم عليه السلام يبين لقومه أنها مجرد ظواهر طبيعية لا قدسية لها، قال تعالى ﴿فلم جن عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين(76) فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (77)فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون (78) .﴾[2]

---

[1] سورة نوح الآية : 15 - 16 .

[2] سورة الأنعام الآية : 76 - 78 .

ثم تطور الفكر البشري فاتخذ من النجوم علامات للإهتداء في ظلمات الليل أثناء الأسفار في البر و البحر ﴿و بالنجم هم يهتدون﴾[1]

و مازال الفكر البشري يتطور حتى جعل من دراسة الكون العلم الأول و الأخير، الأول باعتبار أنه يدرس أصل الوجود، و بالتالي أصل الإنسان ذاته و حقيقة وجوده، و هو العلم الأخير باعتباره أصبح يدرس كذلك مصير الوجود و مآله، و بالتالي مصير الإنسان ذاته و مآله كذلك، و هذه هي الأسئلة الخالدة في فكر الإنسانية **من أين ؟، و إلى أين؟، و لماذا ؟**، وهي الأسئلة التي جاء القرءان الكريم ليجيب عنها.

وما يهمنا من كل ذلك في هذا البحث هو معرفة كيف كان وصف القرءان لهذا الكون، و كيف كان تصويره لظواهره ؟ ، و هذا ما سنتناوله في هذا الباب.

و سنبدأ في الفصل الأول منه بتصوير القرءان لعملية خلق الكون و مراحلها و كيفيتها.

و في الفصل الثاني سنتطرق لصورة الكون الحالية في القرءان، صورته و هو قائم بذاته بسمائه و أرضه و نجومه و كواكبه.

و في الفصل الثالث سنختم هذا الباب بالحديث عن نهاية هذا الكون من خلال آيات القرءان الكريم.

و عليه فإن ترتبنا لفصول هذا الباب و مواضيعه، هو ترتيب زمني من اللحظات الأولى للخلق إلى الواقع المعيش إلى المستقبل. أما المواضيع التي ليس بينها فواصل زمنية، و خصوصا مواضيع الفصل الثاني، فقد اعتمدت في ترتيبها على جانب الحجم من الأعظم إلى الأصغر و على جانب البعد المكاني من الأبعد إلى الأقرب بالنسبة للإنسان و موقعه.

و الله المستعان و عليه التكلان و بيده التوفيق إلى الصواب و السداد.

---

[1] سورة النحل : الآية 16 .

الفصـل الأول

بـداية الكـون و صيـغ القرءان المعجزة

1. بـدايـة الكـون .

2. مـادة خلـق الكـون .

3. أطـوار خلـق الكـون .

4. توسـع الكـون .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بـدايـــة الكـــون

قـــال الله تعـــالى : ﴿ تبارك الذي بيده الملك و هـــو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا و هو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ﴾ سورة الملك آ :1 – 3 .

و قال جل جلالـــه : ﴿ خلق السموات و الارض ﴾ سورةالنمل، آ :60.

و قال عز و جل ﴿ الله الـــــذي خلـــــق السمـــــــوات و الارض و مـــــا بينهما ﴾ سورةالسجدة، آ :4.

و قال سبحانه : ﴿ خلق السموات و الارض بالحق ﴾ سورة الزمـــر، آ :5 .

إن من أهـــم ما جـــاءت آيـــات الكتـــاب الحكيـــم لأجلـــه هـــو أن تنشئ تصـــورا جديدا للوجـــود، و علاقته بخـــالق الوجـــود، إنـــه تصـــور واسع شـــامل يتجـــاوز عـــالم المـــادة المحدود إلى عوالـــم السموات و الأرض و عالم الغيب.

فإذا كانت السموات و الأرض خلقا جامدا أمام الأعيـــن الجاهلـــة لا تتجـــاوزه إلى اليـــد التي أبدعتـــه و لا تلتفت إلى ما فيه من كمـــال و جمـــال، و مـــا وراءه مـــن دلالات، فـــإن آيات القرءان الكريم جاءت لتفتح هـــذه الأعيـــن على هـــذا الجمـــال و الكمـــال، و تدفعهـــا إلى التأمل و الإستغراق في ما وراءه من أهـــداف ساميـــة و دقيقـــة.

فالكون الذي عبرت عنه الآيات المعروضة أمامنا بلفظـــة "الســـموات و الأرض" ليـــس إلا مخلـــوقا من المخلوقات و حادثا من الحـــوادث لـــه بدايـــة انطـــلق منهـــا، و ولـــد فيهـــا، و قـــد عبرت هذه الآيات عن ذلك بلفظـــة "خلق" التي تدل على الإيجـــاد من العدم، و لقد تكـــررت هذه اللفظـــة في آيـــات كثيرة مـــن القـــرءان الكريـــم لتؤكـــد هـــذه القضيـــة الجوهريـــة في نفـــس السامعين و المتلقين لهذه الرسالـــة الإلهية، بما لا يترك في أنفسهم أي شك في هذا الأمـــر العظيم الذي طالما تساءل الإنسان عنـــه.

لكن هذا الكون المخلوق لم يخلق نفسه بنفسه، بل لابد أن يكون هناك "الذي" خلقه. و قد عبرت الآيات بالإسم الموصول هنا عن الخالق العظيم لتؤكد بأن هذه الحقيقة كان من الواجب على الإنسان ذاته أن يستنتجها بنفسه بعقله و فطرته، فالأمر واضح كل الوضوح بما لا يحتاج معه لأن يذكر له الإسم الجليل لخالق هذا الكون، فهو معروف و الإشارة إليه كافية لتذكير الإنسان به، و هذا حسب القاعدة التي تقول :

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل.

و هذا الأسلوب في الخطاب مخالف - مثلا - لخطاب الله لموسى عليه السلام : ﴿ إنني انا الله ﴾ [1] حيث إستعمل حرف التوكيد "إن " و صحبه بنون الوقاية، ثم زاد الضمير "أنا" ثم سمى نفسه بإسمه الجليل "الله" . و ذلك لأنه هنا في موضع إشاعة الأنس في نفس السامع و هو موسى عليه السلام .

أما في حديثه عن خلق الكون فهو في معرض تصوير عظمة الخالق و تصوير قدرته غير المحدودة ، و كل ذلك بغرض بث المهابة في قلوب السامعين ، و بث الحياة في القلوب الميتة ، و الضمائر النائمة . كل هذا مشمول في ذلك المطلع المهيب: ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ .

أما في سورة السجدة ، فقد صرح باسم الجلالة لأنه في معرض الجدل التصويري ، فالآية المذكورة هنا هي جواب عن تساؤل سابق هو : ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ ؟! [2] فكان الجواب: ﴿ بل هو الحق من ربك ﴾ [3] ثم عرفهم به فقال : ﴿ الله الذي خلق السموات و الأرض و ما بينهما ﴾ [4] فهذا الإله هو خالق الكون كله، فلا يمكن لأحد أن يفتريا عليه كذبا، لإنه سيكشفه و يفضحه أمام الخلائق ، ما دام هو خالق كل شيء ، و كل شيء في قبضته فلا يستطيع أن يفلت من قبضته أحد.

---

[1] سورة طه، الآية : 14.

[2] سورة السجدة، الآية : 3.

[3] سورة السجدة، الآية :3.

[4] سورة السجدة، الآية : 4.

أما هذا الكون الفسيح فقد عبرت عنه الآيات بلفظة "السماوات والأرض" ، و قد جاءت "السماوات" بالجمع و ليس بالإفراد ، فلم يقل "السماء" كما في آيات الأخرى من الكتاب ، و ذلك لأنه هنا بصدد تأكيد عظمة الخالق تعالى ، و العظمة تتجلى أكثر مع الكثرة لا مع القلة ، فهذا هو التعبير المناسب الذي يقتضيه مقام التصوير هنا و يتجاوب مع السياق.

أما "الأرض" فقد جاءت في هذه الآيات ، كما في جميع آيات القرآن الكريم ، جاءت مفردة ، لأن في جمعها ثقل على اللسان ، فهي تجمع جمع تكسير على "أراض" و جمعا ملحقا بالجمع المذكر السالم على "أرضين" و "أرضون"، و واضح ما في ذلك من الشدة على اللسان التي تذهب بسلاسة القرءان و رونقه و جماله : ﴿ **و لقد يسرنا القرءان لذكر فهل من مدكر** ﴾[1] .

و عموما فإن ما نلمسه من هذه الآيات التي تتحدث عن خلق الكون بسمواته و أرضه أنها جاءت جميعا "بأسلوب التحدي الذي من شأنه أن يثير الإهتمام و الجد في النظر إلى السموات و إلى خلق الله كله، و هذه النظرة الفاحصة المتأملة المتدبرة هي التي يريد القرءان أن يثيرها وأن يبعثها، فبلادة الألفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق الذي لا تشبع العين من تملي روعته و جماله . و لا يشبع العقل من تدبر نظامه و دقته ... و من ثم يكل القرءان الناس إلى النظر في هذا الكون ، و إلى تملي مشاهده و عجائبه."[2]

و إذا كان القرءان الكريم قد تناول قضية خلق الكون بهذه البساطة و بهذا الوضوح، إلا أن الناس قد جادلوا فيها جدالا كبيرا، فقد صرح بعض فلاسفة اليونان أن العالم قديم لا بداية له، ومنهم الفيلسوف "ديموقريطس" (ق : 5. ق م). و سار على دربه أناس يحسبون على العرب و المسلمين، منهم " ابن الراوندي" (تو : 293 هـ - 905 م) و أكد على ذلك كثير من أصحاب المذاهب الإلحادية المعاصرة.

و لقد ظل المسلمون يحاولون رد هذه الفكرة الخاطئة بشتى الحجج منطلقين من الآيات الصريحة في ذلك، لكن الكفار ظلوا يجادلون في الله و هو شديد المحال ...

---

[1] سورة القمر، الآية : 17

[2] سيد قطب : في ظلال القرءان، المجلد : 6، ص : 3633.

و ظل الأمر على هذه الحال إلى أن بدأ هذا الكون يكشف للإنسان عن بعض أسراره شيئا فشيئا .

إل أن "إنتبه بعض العلماء و منهم الألماني "كلاوزيوس" سنة 1865م إلى أن كل جهد في الوجود يحتاج إلى تبديد كمية من الطاقة الحرارية، يستحيل إسترجاعها بعد ذلك، و بما أن الحرارة لا تنتقل إلا من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، فإنه سيأتي يوم تتعادل فيه الحرارة بين جميع أجسام الكون، فيستحيل بعدها القيام بأي جهد و لا حركة، و ذلك هو فناء الكون و موته" [1] . و بما أن الكون مايزال قائما اليوم و لم يصل إلى الفناء، فذلك يستلزم أنه ليس أزليا إذ لو كان كذلك، لكان قد فني كذلك منذ الأزل. إذ يكون قد إستهلك كل ما يحمله من طاقة و وقود منذ زمن بعيد.

ثم يتقدم البحث بالإنسان إلى أن يصل إلى تظرية "الإنفجار الأعظم" على يد الفلكي القس جورج لوماتر سنة 1927، و التي يقول فيها أن الكون قد انطلق من ذرة أولية مكثفة جدا انفجرت و... ولد الكون"! [2]

ثم جاء بعد ذلك علماء كثيرون أكدوا هذه النظرية و طوروها و نشروها [3]

و يرى بعض الباحثين في الآيات الكونية أن هذه النظرية تنطبق تماما مع قوله تعالى :

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾[4] ؟!.

و مهما يكن من أمر فإن هذه الإكتشافات الحديثة التي تتوالى الواحدة بعد الأخرى كل منها تؤكد أختها و تزيدها عمقا. كل ذلك يؤنس الباحث المسلم و يقر عينه و يزيده يقينا في آيات كتابه التي لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها ما دامت تنزيل من حكيم حميد.

---

[1] ميتشل ولسن : الطاقة، ترجمة : / ، مؤسة لايف، الولايات المتحدة الأمريكية، ط : /، س : /، ص : 69.

[2] M. Kassab, Gloire à Dieu . Ou les mille vérites Scientifique du Coran, edition Salamat et Sarri, Alger, Algerie, 1990 tome 1, P : 139.

[3] طه الدسوقي : عقيدتنا و صلتها بالكون و الإنسان و الحياة، دار الهدى للطباعة، البلد : / ، ط : / 1405هـ - 1984م ، ص : 158-159.

[4] سورة الأنبياء ، الآية 30.

قال الله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للارض ايتيا طوعا او كرها . قالتا أتينا طائعين، فقضيهن سبع سموات في يومين و أوحى في كل سماء امرها، و زينا السماء الدنيا بمصابيح و حفظا، ذلك تقدير العزيز العليم﴾ فصلت. آ :11 – 12

إذا رجعنا إلى كتب التفسير القديمة لمحاولة فهم هذه الآية الكريمة فإننا لا نكاد نجد فيها تفسيرا مقنعا، و مثال ذلك : ابن كثير –رحمه الله– فقد قال في تفسيره عنها : "الدخان، هو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض".[1]

أما الزمخشري في كشافه فقد نقل قول الحسن :"خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر، عليها دخان ملتزق بها، ثم أصعد الدخان، و خلق منه السموات" [2]

أما قول ابن كثير فواضح الخلط فيه بين "الدخان" و "البخار" و هما في اللغة العربية مختلفان، فالبخار لا يصدر إلا عن الماء المتبخر، أما الدخان فقد يصدر عن عملية احتراق أو غيرها من التفاعلات لكنه لا يصدر عن الماء بتاتا.

أما قول الزمخشري فهو مقطوع الإسناد، و لعله من الإسرائيليات الدخيلة على كتب التفسير، خصوصا و هذا القول يعطي قيمة أكبر إلى قبلة بني إسرائيل "بيت المقدس".

أما سيد قطب في الظلال فيقول عن قوله تعالى "ثم استوى إلى السماء و هي دخان : "إن هناك اعتقادا أنه قبل خلق النجوم كان هناك ما يسمى السديم. و هذا السديم غاز.. دخان... و هذا الكلام قد يكون صحيحا لأنه أقرب ما يكون إلى مدلول الحقيقة القرءانية" [3]خصوصا أن هذه النظرية تتأكد يوما بعد يوم فالعلماء الفلكيون يرون أن الكون دخل مرحلة المادة بتشكل أول غاز فيه هو غاز الهيدروجين و قد كانت درجة حرارته مرتفعة

---

[1] إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج :6 ، ص : 18

[2] جار الله الزمخشري، الكشاف، ج : 1، ص : 124.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج : 5 ، ص : 3114.

جدا إلى أن انصهرت ذراته مع بعضها و كونت غاز الهيليوم ... و بنفس الشكل تكونت سائر عناصر المادة المشكلة لهذا الكون.

و بالنسبة للغة العربية في عهد نزول القرآن فإن كلمة "غاز" لم تكن بعد قد دخلت عليها، و لذلك فإن كلمة "دخان" هي اللفظة المناسبة لتصوير حالة الكون في هذه المرحلة، و هنا نلاحظ الدقة في اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى الدقيق، إذ عدل القرآن عن كلمة "بخار" التي ذكرها المفسرون لأنها لا تؤدي المعنى المطلوب، فتشكيل الماء لم يتم بعد في هذه المرحلة من خلق الكون.

و نشير كذلك إلى خطأ التعبير السائد في مختلف اللغات، و هو تعبير "السحابة الغازية" (*) ذلك لأن من أهم صفات السحاب هو البرودة، بينما بداية الكون كانت بدرجة حرارة هائلة يقدرها العماء بمئات الملايين من الدرجات كلفن.(**)

و إن مما توحي به لفظة "دخان" وجود غبش في الرؤية و ذلك يوحي بالغبش في الرؤية لدى الباحثين في أصل الكون، فمهما بلغوا في وسائل بحثهم فإنهم دائما يعانون من قلة المعطيات و ضياع حلقات من السلسلة تجعل تصورهم لتلك اللحظات الأولى من خلق الكون تصورا يلفه الغموض و الغبش كغموض الدخان و غبشه.

و بما أن القرآن ليس كتاب علم فلنا أن نتساءل لم تحدّث هنا عن هذه اللحظات الأولى من الخلق؟.

إنه يريد أن يوقف الإنسان أمام الحقيقة الهائلة : ﴿ **فقال لها و للارض ايتيا طوعا او كرها . قالتا أتينا طائعين** ﴾ "إنها إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس، و إلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة و الإستسلام لكلمته و مشيئته. فليس هناك إذن إلا هذا الإنسان الذي يخضع للناموس كرها في أغلب الأحيان. إنه خاضع حتما لهذا الناموس، لا يملك أن يخرج عنه، و هو ترس صغير جدا في عجلة الكون الهائلة. و القوانين الكونية الكلية تسري عليه رضي أم كره و لكنه هو وحده الذي لا ينقاد طائعا طاعة الأرض و السماء. إنما

(*) أنظر مثلا تعبير عالم الكونيات "توان" في كتابه "التناغم السري" ص : 166.
Trinh Xuan Thuan- La melodie secréte - Edition fayard poitiers France 1989.

(**) "كلفن" : سلم لقياس درجة الحرارة إنطلاقا من الصفر المطلق.

يحاول أن يتفلت، و ينحرف عن المجرى الهين اللين فيصطدم بالنواميس التي لا بد أن تغلبه – و قد تحطمه و تسحقه– فيستسلم خاضعا غير طائع. إلا عباد الله الذين تصطلح قلوبهم و كيانهم و حركتاهم و تصوراتهم و إرادتهم و رغباتهم و إتجاهاتهم.. تصطلح كلها مع النواميس الكلية فتأتي طائعة، و تسير هينة لينة، مع عجلة الكون الهائلة متجهة إلى ربها مع الموكب، متصلة بكل ما فيه من قوى...

فيا للرضى و يا للساعدة و يا للراحة و يا للطمأنينة التي تغمر قلوبنا يومئذ في رحلتها القصيرة على هذا الكوكب الطائع الملبي، السائر معنا في رحلته الكبرى إلى ربه في نهاية المطاف.

و يا للسلام الذي يفيض في أرواحنا و نحن نعيش في كون صديق، كله مستسلم لربه، و نحن معه مستسلمون، لا تشذ خطانا عن خطاه، و لا يعادينا و لا نعاديه، لأننا منه و لأننا معه في الإتجاه. "[1]

فالغرض البياني من الحديث عن أصل الكون هو الإنسان ذاته،و تنبيهه إلى حقيقته وسط هذا الكون، و كيف يجب أن يكون.

و في آخر الكلام تقدير لمدة هذا الخلق فقال :" فقضيهن سبع سموات في يومين". و لنا أن نتساءل عن حقيقة هذين اليومين. و هذا ما سنتناوله في الموضوع اللاحق.

---

[1] سيد قطب، الظلال، ج : 5 ، ص : 3114 -3115

مـراحـل خـلق الـكون

قـال الله تعـالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات و الأرض في ستة أيام ثـم استوى على العرش ﴾ الأعراف 54.

و قال سـبحانه عـز و جـل : ﴿ قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين، و تجعلون له أندادا . ذلك رب العالمين (9) و جعل فيها رواسي من فوقها و برك فيها و قـدر فيه أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (10) ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للارض ايتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين (11) فقضهن سبع سموات في يومين و أوحى في كل سماء امرها و زينا السماء الدنيا بمصابيح و حفظا ذلك تقدير العزيز العليم (12) ﴾ سورة فصلت.

و قال جل جلاله : ﴿ءانتم أشد خلقا أم السماء بنيها (27) رفع سمكها فسويها (28) و أغطش ليلها و أخرج ضحيها(29) و الأرض بعد ذلك دحيها (30) أخرج منها ماءها و مرعيها (31) و الجبال أرسيها (32) ﴾ النازعات.

لقد تحدث القرآن الكريم عن أطوار خلق الكون في مواضع عدة، و منها الاية الـواردة في سورة الأعراف فقد جاء فيها ذكر إجمالي لمدة خلق السموات و الأرض و هي ستة أيام.

و قد ابتدأت هذه الآية الحديث بتقرير حقيقة خالق الإنسان، إنه هو الله تعـالى الـذي خلق السموات و الأرض كذلك في ستة أيام. و لعل ذكر هذه المدة هنا إشارة إلى عدم العجلة في خلق الله للكون و هو الذي ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [1] فلمـاذا يعجل هذا الإنسان إذا في أمر ربه فيكفر بـه قبـل أن يتـأمل في الوجـود و يبحـث في أنـاة عـن

---

[1] سـورة يس، الآية : 82

خالقه ؟! فإذا عرف أنه هو الله فما له إلا أن يعبده و يتضرع إليه لا أن يذل لغيره و يعبده من دون الله تعالى.

و من آيات القرآن ما تحدث عن خلق السموات و الأرض بشيء من التفصيل و منه آيات سورة فصلت و قد جاءت هذه الآيات في معرض التشنيع على أولئك الذين قالوا:

﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه و في آذاننا وقر﴾ [1]

و قد مضت هذه الآيات بؤلئك الكفار " في المجال الكوني العريض، مجال السموات و الأرض، و الكون الذي هم بالقياس إليه شيء ضئيل هزيل، مضى بهم في هذا المجال ليكشف لهم عن سلطان الله -الذي يكفرون به- في فطرة هذا الكون الذي هم جزء منه، ثم ليخرجهم من الزاوية الضيقة الصغيرة التي ينظرون منها إلى هذه الدعوة، حيث يرون أنفسهم و ذواتهم كبيرة كبيرة و يشغلهم النظر إليها... عن النظر إلى الحقيقة الضخمة التي جاءهم بها محمد و فصلها القرآن، الحقيقة التي تتصل بالسموات و الأرض... و تتصل بالحق الكبير الذي يتجاوز زمانهم و مكانهم و شخوصهم." [2]

فالمطلوب من الرسول صلى الله عليه و سلم هو أن يقول لهم : إنكم إذ تكفرون بالله و تجعلون له شركاء و أندادا، و هو الذي خلق الأرض في يومين إنما ترتكبون إثما عظيما تكاد هذه الأرض ذاتها تنشق له و تنهد له الجبال هدا.

و قد جاء الكلام هنا في صيغة الإستفهام الإنكاري "قل أئكم لتكفرون" فهذا الفعل القبيح أمر غريب مستنكر لا يكاد يصدق وجوده في الواقع عاقل، كيف و هو واقع فعلا ؟! فهما صورتان لا تجتمعان -في الأصل- أبدا : صورة أن الله قد خلق الأرض في يومين كاملين لأجل الإنسان، و صورة أن هذا الإنسان مع كل هذا الفضل يكفر بالنعمة و يجعل لله أندادا!!

و إذ ينبه الله الإنسان لعلى خطورة ما يفعل فليس لأنه في حاجة إلى عبادته له و توحيده له فهو الغني وهو رب العالمين، فكم وكم خلق الله من عوالم أخرى تسبح وتسجد وتقدس له؟!

---

[1] فصلت، 41 : 5

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج :5 ص : 3109.

" و ما هذه الأيام : الإثنان اللذان خلق فيهما الأرض و الإثنان اللذان جعل فيهما الرواسي و قدر فيهما الأقوات و أحل فيهما البركة فتمت بهما الأيام الأربعة؟.

إنها بلا شك أيام الله التي يعلم هو مداها. و ليست من أيام هذه الأرض. فأيام هذه الأرض إنما هي مقياس زمني مستحدث بعد ميلاد الأرض. و كما للأرض أيام، و هي مواعيد دورتها حول نفسها أمام الشمس، فللكواكب الأخرى أيام... [و للأقمار أيام]، و هي غير أيام الأرض، بعضها أقصر من أيام الأرض و بعضها أطول"[1] بل إن من الفلكيين الفزيائيين من يعتقد أن الزمن ذاته نسبي فالزمن عندهم قد يتمدد في جهة من الكون و قد يتقلص في جهة أخرى فهو ليس مطلق بل هو عارض تعترضه -ذاته - العوارض!! و هذه هي النظرية النسبية الموسعة لآنشتاين.

و هذه الأيام إنما هي -كما سلف الذكر- يومان لخلق الأرض و يومان لجعل الرواسي و تقدير الأقوات و إحلال البركة، فالتعبير "في أربعة أيام" إنما هو " فذلكة لمجموع مدة خلق الأرض و جرمها و ما عليها من رواسي ... فكأنه قيل : في يومين آخرين، فتلك أربعة أيام، و عدل عن ذلك إلى ما في نسج الآية لقصد الإيجاز" [2]

"و من التأمل في الأرض و خلقها ينتقل بهم إلى التأمل في خلق السماء "ثم استوى إلى السماء"، و "ثم" هنا لا تدل بالضرورة على المهلة الزمنية لأن ذلك لا يكون بالضرورة إلا في عطف المفرد على المفرد، أما هنا فيوجد عطف الجملة على الجملة، و قد يكون ذلك لأجل الترتيب الرتبي [أي الرتبة] فيذكر الأهم [بالنسبة للمستمع] ثم يعطف عليه الأقل أهمية و إن كان هذا أسبق من الأول"[3] فإنما ابتدأ بذكر خلق الأرض لأن آثاره أظهر للعيان و هي في متناول الإنسان، فلا جرم إن كانت الحجة عليهم بخلق الأرض أسبق نهوضا، و لأن النعمة بما تحتوي عليه الأرض أقوى و أعم، فيظهر قبح الكفران بخالقها أوضح و أقنع" [4]

و يؤكد هذا قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿ **و الأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ فكلمة "بعد ذلك" أوضح في معنى الترتيب.

---

[1] المصدر السابق . ج :5 ، ص 3110

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ، ج: 24 ، ص 244.

[3] نفس المصدر السابق، ج : 1 ص : 382- 384.

[4] نفس المصدر السابق، ج: 24، ص : 242

و يؤكده كذلك قول قتادة (61 هـ -117 هـ) : "إن السماء خلقت قبل الأرض"[1]

" فقضاهن سبع سموات في يومين" فهذه إذن هي المرحلة الأولى في خلق الكون، و ما سبق ذكره هي المراحل المتأخرة في الخلق.

و أوحى في كل سماء أمرها.. فخلق السموات السبع لم يكن عبثا و لا لعبا و لكن لكل شيء هدفه الذي خلق من أجله و غايته التي يسعى إليها، ثم أضرب الذكر عما في السموات العلى لأنها ليست من شأن الإنسان و لا علاقة له بها، فلها "أمرها" العظيم الذي خلقت من أجله و الذي لا حاجة للكشف عنه، و إنما الذي يهم الإنسان هو : السماء الدنيا فقال: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ تضيء حياة الإنسان و تهديه في ظلمات البر و البحر، و هذه منة أخرى كيف يكفر بها الإنسان ؟! "**وحفظا**" و هذه فائدة غيبية أشار إليها بعد أن تحدث عن الفائدة المشهودة، و تفسيرها في آيات أخرى من القرآن كقوله في سورة الصافات ﴿و حفظا من كل شيطان مارد﴾"[2]

"ذلك تقدير العزيز العليم" : "و هل يقدر هذا كله؟ و يمسك الوجود كله، و يدير الوجود كله... إلا العزيز القوي القادر؟ و إلا العليم الخبير بالموارد و المصادر ؟

و أخيرا نقول أن هذا الحشد التصويري لمراحل خلق الكون الهائلة في الزمان و المكان، الذي حضر في هذه الآيات القلائل من القرآن و ما جاء بعده من التهديد و الوعيد، هو الذي جعل رجلا "كعتبة بن ربيعة" يمسك فم الرسول صلى الله عليه و سلم و هو يتلوها عليه و يناشده الرحم، ثم يخرج إلى قومه و يقول : " إني سمعت قولا و الله ما سمعت مثله قط، و الله ما هو بالسحر و لا بالشعر، و لا بالكهانة ..." فقالوا له : " سحرك و الله يا أبا الوليد بلسانه" [3]

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج :1 ، ص 2.

[2] الصافات آ : 7.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن . ج :5 ص : 3116.

قال الله تعالى : ﴿ و السماء بنيـنها بأيد و إنا لموسعون ﴾

الذاريات .آ : 47

وردت هذه الآية الكريمة في سورة الذاريات و هي سوة مكية، تركز كثيرا - كما هو شأن القرآن المكي- على جانب العقيدة و إقامة البراهين و الأدلة على صحتها، سواء كانت براهين تاريخية أو كونية.

و بالنسبة للجانب الكوني فإننا نجد التنبيه و الإشارة إليه في عدة مواضع منها : ﴿والسماء ذات الحبك﴾[1] و كذلك ﴿و في الأرض آيات للموقنين، و في أنفسكم أفلا تبصرون و في السماء رزقكم و ما توعدون﴾[2] و كذلك ﴿ و السماء بنيناها بأيد و إنا لموسعون و الأرض فرشناها فنعم الماهدون، و من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾.[3]

فهذه الآيات تستهدف في سياقها ربط القلب البشري بالسماء و تخليصه من قيود الأرض، لترف أشواق روحه في جنبات العلا متطلعا إلى الخالق العلي العظيم.

فإذا كان : "في الأرض آيات للموقنين" فكذلك في السماء ... آيات... "لعلكم تذكرون"، خصوصا و قد " بنيناها بأيد و إنا لموسعون". فما الآية في ذلك؟.

قال ابن كثير :" و السماء بنيناها" أي جعلناها سقفا محفوظا رفيعا، "بأيد" أي بقوة... "و إنا لموسعون" أي قد رفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي"[4]

---

[1] الذاريات . آ : 7.

[2] الذاريات .آ : 20-22

[3] الذاريات . آ" 47-49

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 6، ص:250

و قال الزمخشري :" الأيد و الآد : القوة، و قد آد يئيد و هو أيد. و "إنا لموسعون" لقادرون، من الوسع، و هو الطاقة، و قيل : جعلنا بينها و بين الأرض سعة"[1]

و يقول سيد قطب :" و السعة كذلك ظاهرة، فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة، و التي تعد بالملايين لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرحب" [2]

و يرى الزنداني أن هذه السعة ليست ثابتة بل هي في توسع و تمدد[3] و بنفس الرأي يأخذ الجميلي[4]

و لعل مما يؤكد هذا القول أن حرف الميم في أول الكلمة يجعلها متعدية. فلو كان المعنى قادرون لقال : و إنا لواسعون. و لو كان المقصود هو أنها واسعة فقط لقال : جعلناها واسعة. بفعل ماض، و لكن إسم الفاعل هنا "موسعون" يحمل معنى الحال و الإستقبال.

و مهما يكن هذا الفهم فهو لا يلغي بتاتا فهوم سلفنا الصالح للآية الكريمة، و قد ورد عن الرسول صل ا لله عليه و سلم أنه قال : " القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه "[5]

و مما يؤكد هذا الفهم كذلك الإكتشافاتُ العلمية الحديثة، فقد اكتشف الفيزيائي الفلكي "إيدوين هابل"[6] سنة 1929 أن المجرات تبتعد عن بعضها بسرعة تتناسب طردا مع بُعدها، فكلما كانت المجرة أبعد، كانت سرعتها أكبر، و إذا قمنا بمحاولة تحديد مواقعها بالتراجع في الزمن، فإننا نجدها تتقارب من بعضها إلى أن تصل إلى إلتقائها في نقطة واحدة هي منطلق خلق الكون و اتساعه. و من هنا جاءت فكرة الإنفجار الأعظم و التي ملخصها أن الكون كله بأرضه و سمائه كان كتلة واحدة ثم حدث فيها انفجار أدى إلى خلق المجرات و ما فيها من كواكب ونجوم ، و ما تباعدها عن بعضها إلا أثر من أهم آثار ذلك الإنفجار العظيم.

---

[1] الزمخشري ، الكشاف، ج:4 ،ص: 404.

[2] سيد قطب،في ظلال القرآن، ج :6 ،ص :3385.

[3] الزنداني، كتاب التوحيد، منشورات دحلب، الجزائر العاصمة ، الجزائر، ط :/ 1992 م ج :3 ، ص: 68.

[4] الجميلي، الإعجاز الكوني في القرآن، دار الشهاب، باتنة، الجزائر ط:/ 198م ص :122.

[5] أخرجه أبو نعيم و غيره من حديث ابن عباس : السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الغد، القاهرة، مصر، ط :/ ، 1968، ج: 2، ص :180.

[6] عفيف عبد الفتاح طباره، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط:2 1985 م.

و هكذا نرى جانبا من بلاغة القرآن و رفعة بيانه المعجز فهو يستعمل اللفظة المناسبة التي يمكن أن تحمل معاني عديدة يفهمها أهل كل عصر على قدر عقولهم و المعطيات المتوفرة لديهم دون أن يفتتن أهل القرون الأولى بمعاني لا يمكن أن تدركها عقولهم، فلو صرح القرآن لهم بأن الكون في توسع مستمر لما تمكنوا من إدراك هذا المعنى و لكان فتنة لكثير منهم، و شاغلا لهم عن تأمل المعنى الأساسي المراد و هو التنبيه على قدرة الله و عظمته المتجلية في عظمة خلقه. و قد ورد في الأثر أنك ما حدثت قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، و هذا هو البيان و البلاغة الرفيعة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته و إستمرار هذه المطابقة مع تغير الحال و تغير مستوى الفهم لدى السامع المتلقي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

الإعجاز في وصف بنية الكون

1- السموات السبع

2- بنية السماء

3- هل الكون محدود أم لا نهائي؟

4- تناسق السماء

5- مواقع النجوم

6- كل في فلك يسبحون

7- حركة الشمس

8- ضياء الشمس

9- خسوف القمر

10- انشقاق القمر

11- خلق الأرض

12- كروية الأرض

13- دوران الأرض

14- إنزال الحديد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السمـوات السبع

لقد تحدثت الكتب السموية عن السموات السبع، ثم جاء القرآن الكريـم فـأكد هـذه القضية في آيات كثيرة ،منها :

قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات"** ﴾ البقرة 29.

و قوله : ﴿ **و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق** ﴾ المؤمنون 17.

و كذلك قوله : ﴿ **الله الذي خلق سبع سموات و من الأرض مثلهن** ﴾ الطلاق 12.

و كذلك : ﴿ **الذي خلق سبع سموات طباقا** ﴾ الملك 3.

فما المقصود بهذه السموات السبع؟

قال الزمخشري : "الطرائق : السموات و كل شـيء فوقـه مثلـه فهـو طريقـة، و لأنهـا طرق الملائكة، و قيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب فيها سيرها" [1]

و فصل بعضهم فقال : "هي الكواكب السبعة و مداراتها" [2]

و منهـم مـن ارتفـع فـوق ذلـك فقـال: "هـي مختلـف التركيبـات السمـوية : المجموعة الشمسية، ثم النجوم، ثم الركاميات الكروية (Les amas Globulaires)، ثم المجرة، ثم مجموعة المجرات، ثم التجمعات الكبرى للمجرات، ثم الكون بأكمله"[3]

و يرى د. جمال الفندي أنها :" الغلاف الجوي، الشهب، النيازك، القمر، الكواكب السيارة، المذنبات، الشمس " [4]

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج :3 ص :179

[2] الجميلي، الإعجاز العلمي، ص: 21.

[3] M. kassab- Gloire à Dieu,tome1 : p1

لكننا إذا عدنا إلى حديث القرآن الكريم عن هذه الأجرام السموية فإننا نجده يجعلها كلها ضمن السماء الدنيا. قال تعالى : ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾[1]

و قال كذلك ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾[2] و قال ابن كثير في تفسيرها: "يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب"[3]

و يقول سيد قطب :"و ما السماء الدنيا؟ لعلها هي الأقرب إلى الأرض و سكانها المخاطبين بهذا القرآن، و لعل المصابيح المشار إليها هنا هي النجوم و الكواكب الظاهرة للعين، و التي نراها حين ننظر إلى السماء "[4]

و منه فكل ما نراه في السماء من كواكب و نجوم إنما هو من السماء الدنيا، أي السماء الأولى، و أما ما فوق ذلك فهو في علم الله تعالى، من الغيب الذي لا يظهر عليه أحدا. و يتأكد لنا هذا المعنى إذا علمنا أن المراكب الفضائية الآلية غير المأهولة التي أطلقها الإنسان، قد تجاوزت المجموعة الشمسية التي كان يعدها البعض هي ذاتها السموات السبع، فهل خرجت -إذن- هذه المراكب إلى ما فوق السموات السبع؟! هذا مستحيل عقلا و شرعا.

و لعل نظرية توسع الكون المشار إليها سابقا توضح لنا الأمر أكثر، فإذا كان الكون يتوسع فداخل ماذا يحدث له ذلك؟ يقول بعض الفلكيين :" إن الكون الذي نعيش فيه ليس إلا فقاعة ضائعة في فضاء فقاعة أخرى وراء هذا الكون و هذه الفقاعة بدورها ضائعة في مجموعة من الفقاعات أكبر بعضها من بعض" [5] و يؤكد هؤلاء الفلكيون أنه لا يوجد إتصال سببي بين هذه الفقاعات أي بتعبير آخر كل ما وراء هذه السماء التي نراها هو من عالم الغيب.

و إذا كانت هذه السموات من عالم الغيب فلماذا تحدث القرآن عنها كثيرا و كرر هذا الحديث في مواضع عدة؟ إنه - كما سبق الإشارة إلى ذلك في موضوع خلق الكون

---

[1] الجميلي، الإعجاز العلمي، ص :21

[1] سورة الملك، آ : 5، فصلت، آ: 12.

[2] سورة الصافات، آ : 6

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج: 6، ص : 4

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد : 6 ، ص : 3633.

[5] Thuan, La mélodie secrete, p: 152

و بدايته- إنه تنبيه للإنسان على عظمة الخالق سبحانه و تعالى. فملكه لا حدود له، بل إن الإنسان لا يمكنه - و لو حتى- أن يتخيل شساعة هذا الملك و عظمته و سعته، بل إن العلم ذاته مهما توسع و مهما بلغ فإنه لن يحيط به أبدا، بل ها هو ذا العلم الحديث بآلاته و وسائله و رجاله، و كل ما رصد له يصل إلى حدود هذه السماء الدنيا ثم يتوقف و يشهد أنه لن يتمكن من أن يزيد خطوة أقصى مما بلغ، و يؤكد أن وراء هذه السماء الدنيا سماء أخرى لا تبلغها عينه فضلا عن يده !

فما على هذا الإنسان الضعيف الذي لا يعدو أن يكون في هذا الوجود إلا هباءة ضائعة في جانب من جوانبه، ما له إلا أن يحني رأسه لخالق هذا الوجود العظيم، و يسبح الله تعالى مع هذه السموات السبع و الأرض و من فيهن. و أن يراعي هذه المعاني الجليلة في جميع سلوكاته، و في حياته كلها، بل حتى في حياته الشخصية و علاقته مع زوجه كما أشارت إلى ذلك سورة الطلاق في ختامها كما قال سيد قطب : "الإشارة إلى الكون الهائل "سبع سموات و من الأرض مثلهن" يهول الحس، و يقف القلب وجها لوجه أمام مشهد من مشاهد قدرة الخالق، و سعة ملكه، تصغر أمامه هذه الأرض كلها، فضلا على بعض ما فيها، فضلا على حادث من أحداثها؟، فضلا عن دريهمات ينفقها الزوج أو تتنازل عنها الزوجة !" [1]

و هنا لا بد من الإشارة إلى أن معظم الآيات الكونية في القرآن قد جاءت في سور مكية بغرض تثبيت العقيدة و الإيمان في العقول و القلوب، لكن هذه الآية الأخيرة قد جاءت في سورة مدنية في سياق التشريع للإنسان في حياته الإجتماعية، و هذا يؤكد لنا معنى جليلا هو أن العقيدة و الشريعة الإسلاميتين لاانفصام بينهما، فإذا كانت العقيدة تنبني على التأمل في الكون فإن الشريعة تنبني على العقيدة، و تراعي الكون الذي تطبق فيه.

و نختم هذا الموضوع بالحديث عن بعض العبارات و الألفاظ التي استعملت في هذه الآيات و ما فيها من دلالات و ما تشتمل عليه من ألوان الجمال و الروعة و من ذلك ما ختمت به الآية 29 من سورة البقرة من قوله تعالى : ﴿و هو بكل شيء عليم﴾ فهي عبارة متناسقة مع ما سبقها إذ أنها نتيجة لما سبق ذكره من دلائل القدرة التي لا تصدر إلا من عليم،

---

[1] سيد قطب، الظلال، المجلد : 6 ص : 3606

فلذلك قال المتكلمون : "أن القدرة يجري تعلقها على وفق الإرادة، و الإرادة على وفق العلم"[1].

و نرى في سورة الإسراء كيف خلع الحياة على السموات السبع و الأرض معها فهي كلها في خشوع تسبح لله تعالى، و قد عبر عن ذلك سيد قطب بقوله : "إنه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصاة، و كل حجر، و كل حبة و كل ورقة، و كل زهرة، و كل ثمرة، و كل نبتة و كل شجرة، و كل حشرة زاحفة و كل حيوان ... و كل دابة على الأرض، و كل سابحة في الماء و الهواء ... و معها سكان السماء، كلها تسبح لله و تتوجه إليه في علاه" [2]

و من مظاهر الجمال كذلك : التنويع في التعبير عن خلق السموات، فأحيانا يقول "سواهن" و أحيانا " خلقنا" و أحيانا أخرى "قضيهن" و مرة يصرف الفعل "خلق" في المفرد و أحيانا يصرفه في الجمع، و ذلك حتى لا يسأم السامع من التكرار، و ذلك دليل كذلك على أن الذي يعبر هنا لا تعجزه الألفاظ أبدا. فالمعنى الواحد قد يعبر عنه بألفاظ مختلفة و أساليب متنوعة، و كل ذلك بحسب مقتضى الحال و ما يتطلبه السياق من معاني جزئية تتنوع بتنوع الألفاظ المستعملة.

و في هذا الإطار يدخل كذلك التعبير عن السموات أحيانا بالجمع، و أحيانا بالمفرد، و أحيانا بلفظة "الطرائق".

و نشير كذلك إلى استعمال لفظة "زينة" و "زينا"،و "مصابيح" فكلها ألفاظ تستثير الخيال، و تذكر الإنسان بما يراه في السماء الصافية حينما يكون في مكان مظلم بلا أنوار كاشفة تعمي بصره ! فيرى في هذه السماء مناظر بديعة بالعين المجردة، كم هو محروم منها إنسان القرن العشرين، و خصوصا إذا كان من سكان المدن. أما إذا استعمل هذا الإنسان المناظير المكبرة، فإنه سيرى عجبا، من لوحات فنية رائعة، سواء تعلق الأمر بالكواكب القريبة أمْ بالنجوم البعيدة، أو المجرات و السدم، إنه عالم مليء بالألوان الزاهية، و الأشكال الجميلة الغريبة الفريدة من نوعها، تحار العين و يحار القلب حين رؤيتها، و لا يملك إلا أن يسبح الله الخالق المصور المبدع قائلا سبحان الله العظيم !.

---

[1] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج :1 ، ص : 386.

[2] سيد قطب ، الظلال ، المجلد : 4 ، ص : 2230، 2231 .

قال الله تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا، و السماء بناء﴾ البقرة .22.

و قال جل جلاله : ﴿ءانتم أشد خلقا ام السماء بنيها﴾ النازعات 27. 28.

و قال عز و جل : ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد، ترونها﴾ الرعد 2.

و قال سبحانه : ﴿خلق السموات بغير عمد، ترونها﴾ لقمان 11.

و قال تبارك و تعالى : ﴿و السماء بنيناها بأيد﴾ النازعات 47.

و قال جل شأنه : ﴿أفلا ينظرون إلى السماء، كيف رفعت﴾ الغاشية 18.

و قال تعالى : ﴿ و السماء و ما بنيها﴾ الشمس 5.

لقد دعتنا سورة الغاشية إلى التـأمل في السـماء كيـف رفعـت ،"و توجيـه القلـب إلى السماء يتكرر في القرآن... أفلا ينظرون إليها كيف رفعت؟ و مـن رفعهـا بـلا عمـد؟ و نشـر فيها النجوم بلا عدد؟ و جعل فيها البهجة و هذا الجمال و هذا الإيحاء؟ إنهم لم يرفعوها و هي لم ترفع نفسها، فلا بد لها من رافع، و لا بد لها من مبـدع"[1] و"مجرد تأملهـا بـالعين المجـردة، و دون إدراك حقيقة ضخامتهـا الـتي تدير الـرؤوس كـاف وحـده لرعشـة الكيـان الإنسـاني، و ارتعاشه أمام الضخامة الهائلة التي لا نهايـة لهـا و لا حـدود، و أمـام النظـام العجيـب الـذي يمسك الخلائق كلها في مثل هذا التناسق، و أمام هذا الجمال البديع الذي يجتذب العـين للنظـر فلا تمل، و يجتذب القلب للتأمل فلا يكل، و يستغرق الحس فلا يكاد يفوق مـن ذلـك التـأمل

[1] سيد قطب ، الظـلال ، مجلد: 6 ، ص : 3898.

الطويل المديد، فكيف إذا عرف الإنسان أن كل نقطة من هذه النقاط الصغيرة المضيئة السابحة في هذا الفضاء الهائل قد تبلغ كتلتها أضعاف كتلة الأرض التي تقله ملايين المرات ؟!"[1]

فما الذي يحمل هذه الكتل الضخمة في الفضاء و ما الذي يشدها في السماء؟ لقد عبر القرآن عن ذلك بلفظ "البناء" ، "و البناء يوحي بالقوة و التماسك، و السماء كذلك متماسكة لا تختل، و لا تتناثر نجومها و كواكبها، و لا تخرج عن أفلاكها و مداراتها، و لا تتهادى و لا تنهار، فهي بناء ثابت وطيد متماسك الأجزاء"[2]

و قد أكد أبو حيان هذا المعنى للفظ البناء فقال: "سميت بناء لتماسكها كما يتماسك البناء بعضه ببعض"[3]

و قال الإمام الطاهر بن عاشور في هذا اللفظ : "استعير لخلق السماء فعل البناء لأن منظر السماء – فيما يبدو للأنظار شبيه بالقبة و نصب القبة يدعى البناء" [4]

و قال كذلك موضحا هذه الإستعارة : "... أما وجه الشبه فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حاجزا بين الكرة الأرضية و الكرة الأثيرية، فهي كالبناء فيما يراد له البناء، و هو الوقاية من الأضرار النازلة... أظهرها... دفع أضرار أهوية تندفع عن بعض النجوم و الكواكب إلينا، و تلطيفها..."[5]

و لعل من أغراض هذه الإستعارة للفظ "البناء"، "أن نُوقف من وراء كل شيء أن يد الله هي التي تمسك هذا البناء ﴿ **إن الله يمسك السموات و الأرض أن تزولا و لئن زالتا إن امسكهما من أحد من بعده** ﴾[6] و "ندرك أنه ما من أحد يقدر على رفع السماء بلا عمد – أو حتى بعمد – إلا الله، و قصارى ما يرفعه الإنسان بعمد أو بغير عمد تلك البنيان الصغيرة الهزيلة القابعة في ركن ضيق من الأرض لا تتعداه، ثم يتحدث الناس عما في تلك البنيان من عظمة و من قدرة و إتقان، غافلين عما يشملهم و يعلوهم من سموات مرفوعة بغير

---

[1] نفس المصدر، مجلد : 5، ص : 2786.

[2] سيد قطب، الظلال، مجلد : 6، ص: 3816

[3] أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، البد :/، ط : 2، 1403 هـ – 1983م، ج: 1، ص: 98.

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج :30، ص: 15 .

[5] نفس المصدر، ج :1 ، ص: 331.

[6] سيد قطب، الظلال، مجلد: 6، ص :3916، و الآية من سورة : فاطر ، رقم:41

عمد، و عما وراءها من القدرة الحقة و العظمة الحقة، و الإتقان الذي لا يتطاول إليه خيال إنسان"[1].

هذا و للدارسين المحدثين للآيات الكونية تأملات خاصة في معنى البناء في الآيات الكريمات جدير بنا أن نتطرق إليها.

و من ذلك الدكتورة نعمت صدقي إذ تقول في آيتي "الرعد" و "لقمان" : "هذه الآية نفهم منها معنيان : معنى ظاهري و معنى باطني، المعنى الظاهري : الله هو الذي رفع السماء بغير عمد مرئية، أي بعمد لا نراها و المعنى الباطني: الله هو الذي رفع السماء بغير عمد مرئية أي بعمد لا نراها و المعنى الأول موجه لعوام الناس، إذ يرون السماء مرتفعة كالسقف و لكن دون عمد، و الثاني موجه للعلماء إذ أن السماء مرفوعة بالنسبة إليهم بعمد و لكننا لا نرى هذه العمد"[2]

و يقول الجميلي : " لو أنه سبحانه و تعالى قال: "الله الذي رفع السموات بغير عمد قائمة" لضاع هذا المعنى البلاغي الجميل، و لضاع معه المفهوم الظاهر و المفهوم العلمي للآية كذلك، لكن الله حرص على وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب لأداء المعنى المناسب كذلك، و لا شك أن المقصود في الآية بـ "العمد" هي القوة الجبارة التي تجذب الشمس بها إليها الكواكب، و قوة الطرد المركزية المساوية لها في المقدار و المضادة لها في الإتجاه... و هذه هي الدعامة التي تثبت جميع الأجرام في الفضاء" [3] و لذلك قال "و السماء ذات الحبك" و الحبك في اللغة معناه الشد و الإحكام مثل قولنا : ثوب محبوك"[4] و بهذا الرأي يقول الإمام محمد عبده كذلك(*)

---

[1] نفس المصدر مجلد : 4 ، ص : 2044.

[2] نعمت صدقي، معجزة القرآن، ص: 37.

[3] الجميلي ، الإعجاز الكوني، ص : 128-129.

[4] نفس المصدر ، ص :130.

(*) أنظر رأيه بالتفصيل عند الجميلي ،ص 104 - 108.

و من العجيب أن نجد من الملحدين في هذا العصر من يتحدث عن السماء بألفاظ البناء إذ يقول أحدهم :" إن نظام الجادبية في الكون يمثل الميلاط (الإسمنت) الذي يشد الكون بعضه إلى العض"[1]

كل هذه المعاني الجليلة صاغها الله تعالى في أسلوب رفيع جدا، و قد رأينا اختيار اللفظ المناسب للمعنى، المبدوء بالسؤال الإنكاري المستأنف بالهمزة بدلا من أي حرف استفهام آخر ذلك لأن الهمزة حرف شديد انفجاري، فكأنها السؤال يتفجر أمام السامع بشدة تبهره و تعجزه.

ثم المقارنة بين خلق الإنسان الضعيف و خلق السماء المهول فالذي بنى السماء قادر على إماتة الإنسان و إعادة إحيائه.

ثم هذه الهاءات الثلاث المتتالية التي تملأ الفم و تحدث هديرا مرعبا يشعر بعظمة البناء و السمك و التسوية و هي فواصل متناسبة تزيد الأسلوب جمالا.

و نلاحظ كذلك الوقف الجائز في سورتي الرعد و لقمان فكما يصح الوقوف على كلمة عمد، يصح كذلك الوقوف على كلمة ترونها، و هذا عند جميع المقرئين و قد سبق توضيح الغرض البلاغي من ذلك.

و في آية الذاريات نلاحظ تقديم السماء على عامله للإهتمام بها، ثم بسلوك طريقة الإشتغال زاد المعنى تقوية فتعلق المفعول بفعله مرتين، مرة بنفسه، و مرة بضميره "الهاء"، ثم زيد المعنى تأكيدا بحرف "إن" و في ذلك تبكيت للمكذبين، فكأنه يقول لهم إذا كذبتم بخلق الله للسماء، فزيدوا عليها أنه كذلك زاد في وسعها. فآمنوا أو لا تومنوا سواء عليكم!.

---

(1) Trinh Xuan Thuan- La mélodie secréte p:125- 126.

هـل الكون محدود أم لا نهـائي

مع تطور الفكر البشري، أدرك الإنسان أن ارتفاع السماء، ارتفاع كبير جدا، فجعـل يبحث عن حده، فلم يصل إليه، فنتساءل هل ارتفاع السماء لا نهائي؟ أم أنـه ارتفـاع محـدود رغم شدته؟.

فماذا كان رأي القرآن في هذه القضية؟ و كيف عبر عنها؟.

قال تعالى : ﴿ جنة عرضها السموات و الارض ﴾ آل عمران آ : 133.

و قال : ﴿ ولقد رءاه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى ﴾

النجم ، آ : 13-15

و قال : ﴿ رفع سمكها ﴾ النازعات،آ: 28.

و قال : ﴿ تعرج الملائكة و الروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾

المعارج ،آ : 4.

أما قوله جل جلالـه : " رفـع سمكهـا" فقـد قـال عنـه ابـن كثـير : "أي جعلهـا عاليـة البناء"[1] و قـال الزمخشـري : "أي جعـل مقـدار ذهابهـا في سمـت العلـو مديـدا رفيعـا مسـيرة خمسمائة عام"[2]

أما قوله تعالى: "تعرج الملائكة و الروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" فقال ابن كثير أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، و هو قرار الأرض السابعة، و ذلك مسيرة خمسين ألف سنة و هـو ارتفـاع العرش عـن المركـز الـذي في وسط الأرض السابعة"[3]

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج :7 ص 115

[2] الزمخشري، الكشاف، ج :4 ص 696.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج :7 ص: 62

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و في قوله جل جلاله " و لقد رءاه نزلة أخرى..." قال الإمام أحمد: عن عبد الله ابن مسعود قال : " لما أسري برسول الله صل الله عليه و سلم إنتهى به إلى سدرة المنتهى، و هي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض" [1]

و قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : "جنة عرضها السموات و الارض" كسبع سموات و سبع أراض لو وصل بعضها ببعض[2]

و هكذا نرى أن القرآن كان صريحا في محدودية الكون، أي السموات و الأرض، فهما مخلوقان من مخلوقات الله تعالى، و المخلوق محدود أمام الله المطلق. فالسماء و إن كانت عالية البناء إلا أن مسافتها محدودة تقطعها الملائكة في زمن محدد، و قد قطع الرسول صل الله عليه و سلم هذه المسافة في معراجه، و هذا السمك يقاس به عرض الجنة، أما طولها فهو في علم الله تعالى.

و هنا نشير إلى تخبط كثير من الباحثين و علماء الطبيعة في هذا الأمر، مثل إسحاق نيوتن الذي قال بأن الكون غير محدود و أنه لا نهائي، و قد قال بذلك ليعطي حلا لمشكلة مرتكز الكون الناتجة عن نظرتيه في بناء الكون. فحسما لهذه القضية قال أن الكون غير محدود، و بالتالي فلا حاجة له لمرتكز يرتكز عليه، و قد أخذ هذا الحل من الفكرة الصوفية القائلة بوحدة الوجود فما دام الإله قد حل في الوجود، و الإله مطلق، فالكون مطلق كذلك و لا حد له ."[3]

إلا أنه مع تطور المعطيات و المعلومات أدرك العلماء أنه لا حاجة للبحث عن مرتكز للكون، خصوصا مع ظهور نظرية الإنفجار الأعظم و توسع الكون، و تشير آخر التقديرات إلى 12 مليار سنة ضوئية، و مهما تكن هذه التقديرات فإننا نلاحظ من خلالها رفعة و عظمة المعاني التي جاء بها القرآن الكريم.

أما من ناحية الأسلوب المستعمل في هذه الآيات فهو أسلوب مباشر واضح، و إن كان يهدف إلى بيان عظمة خلق السماء و الأرض و بالتالي بيان عظمة قدرة الخالق تعالى إلا أنه يقصد كذلك إلى بيان محدودية هذا المخلوق أمام عظمة الله عز و جل، و كأنه يقول :

---

[1] نفس المصدر، ج:6 ، ص: 266.

[2] الصابوني، صفوة التفاسير، ج :1، ص : 234.

[3] توان، التناغم السري، ص : Trink Xuan Thuan - La mélodie secréte p : 84

"إذا كان هذا هو المخلوق فكيف يكون الخالق ؟! " و لذلك قال الرسول صل الله عليه و سلم: "تفكروا في خلق الله و لا تتفكروا في ذاته فإنكم لن تقدروا له قدره"[1].

و نسجل كذلك تناسب الفواصل بين الآيات عند الكلمات : "أخرى"،" المنتهى"، "المأوى" في سورة النجم، و هو ما يسمى في كلام الناس بالسجع، و قد قال علماء البلاغة أن ما في القرآن ليس بسجع لأن السجع يقصد لذاته، و الكلام تابع له، أما في القرآن فتَناسب فواصل الجمل تابع للمعنى و ليس المعنى تابع له فهو يؤتى به ليخدم المعنى و يزيده وضوحا.

فهو مبني على الألف المقصورة و هي تشير إلى الإمتداد الذي يطبع جو المعنى في الآيات، فهو يتحدث عن المعراج و قطع السموات الممتدة فناسب ذلك أن تختم الجمل بحرف مد. قال الرماني في إعجاز القرآن : " ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال في القرآن سجع، و فرقوا بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه، و الفواصل التي تتبع المعاني و لا تكون مقصودة في نفسها، و لذلك كانت الفواصل بلاغة، و السجع عيبا"[2]

و هذا الفرق هو من أهم أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

---

[1] **قال الحافظ العراقي في تخريج الحديث :رواه أبو نعيم في الحلية ، و الأصبهاني في الترغيب و الترهيب ، و الطبراني في الأوسط ،و** البيهقي في الشعب : الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار الثقافة، الجزائر، الجزائر العاصمة ، ط: / ، س: / ، ج : 6 ، ص: 44.

[2] السيوطي ، الإتقان في علوم القرءان ، ج:2 ، ص : 97.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد نبه القرآنُ الإنسانَ إلى التفكر في خلق السموات و الأرض و خصوصا التفكـــر في جمالها و تناسقها، فكيف صور القرءان ذلك الجمال و التناسق ؟

قال الله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زينها و ما لها من فروج﴾ سورة:ق، الآية: 6

و قال: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حسير﴾

سورة : الملك ، الآية : 4 -5.

و قال كذلك : ﴿ءانتم أشد خلقا ام السماء بناها، رفع سمكها فسويها﴾

سورة : النازعات ، الآية : 27-28.

قال ابن كثير : " يقول تعالى منبها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا منه مستبعدين لوقوعه "أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها" أي بالمصابيح "و مالها من فروج" قال مجاهد : يعني : شقوق، و قال غيره : فتوق، و قال غيره: صدوع و المعنى متقارب" [1]

و قال الإمام ابن عاشور: "و التزيين جعل الشيء زينا، أي حسنا، أي تحسين منظرها للرائي بما يبدو فيها من الشمس نهارا و القمر و النجوم ليلا... و التزيين يشترك في إدراكه جميع الذين يشاهدونه... ثم يتفاوت الناس في إدراك ما في خلق الكواكب و الشمس و القمر و نظامها من دلائل، على مقدار تفاوت علومهم و عقولهم. و الآية صالحة لإفهام جميع الطبقات... و الفروج جمع فرج و هو الخرق، أي يشاهدونها كأنها كرة متصلة الأجزاء ليس

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج : 6، ص : 234.

بين أجزائها تفاوت... و هذا من عجيب الصنع، إذ يكون جسم عظيم... مصنوعا كالمفروغ في القالب !... و نظير هذه الآية قوله في سورة الملك : "الذي خلق سبع سموات طباقا" إلى قوله : " هل ترى من فطور" [1]

و قال بن كثير في هذه الآية الأخيرة : " ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي بل هو مستو ليس فيه إختلاف، و لا تنافر و لا مخالفة، و لا نقص و لا عيب و لا خلل، و لهذا قال : "فارجع البصر هل ترى من فطور" أي انظر إلى السماء هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا. و قوله تعالى " ثم ارجع البصر كرتين" أي أنك لو كررت البصر مهما كررت لرجع إليك البصر "خاسئا" من أن يرى عيبا أو خللا "و هو حسير" أي : كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر، و لا يرى نقصا" [2]

و قال الزمخشري : "في خلق الرحمن : "وضع الإسم مكان الضمير تعظيما لخلقهن، و تنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت، و هو أنه خلق الرحمن، و أنه يباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب"[3]

و في قوله تعالى : "فسويها" قال ابن كثير : "جعلها مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء"[4]

هذه إذن بعض الآيات التي أشارت إلى تناسق السماء و جمالها، و تلك هي بعض أقوال المفسرين فيها، و نريد أن نؤكد على قول الإمام ابن عاشور أن الناس يتفاوتون في إدراك ما في خلق هذه السماء و أجرامها من دلائل، فـ "النظرة المجردة و الملاحظة العادية تشهد بهذا التناسق المطلق، و المعرفة بحقيقة القوانين التي تمسك بهذه الخلائق الهائلة التي لم يدرك الناس بعلومهم إلا أطرافا منها، فوقفوا تجاهها مبهورين تغمرهم الدهشة، و تأخذهم الروعة، و يعجزون عن تعليلها بغير افتراض قوة كبرى مدبرة مقدرة، و لو لم يكونوا مؤمنين بدين من الأديان إطلاقا" [5] و نذكر من أمثال هؤلاء ، أحد الملاحدة إذ يقول في كتاب خصصه لدراسة هذا التناسق في الكون :" إن المتأمل في الإجرام التي تكون السماء يجدها

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج :26، ص : 286 -287.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج : 7، ص : 38 .39.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج:4، ص :6.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج : 7، ص : 114

[5] سيد قطب، الظلال، مجلد:6، ص: 816

تسبَح في نظام دقيق عجيب لا يملك الإنسان أمامه مهما كان انتماءه إلا أن يرفع يديه... رغما عنه... مسلما بوجود منظم لهذا الكون" [1]

فلكل جرم في السماء مساره الخاص به الذي لا يحيد عنه مهما كان حجمه سواء كان في حبة الرمل كالشهب، أو كان حجمه يقاس بملايين السنين الضوئية كالمجرات، فهذه الشهب الصغيرة تخضع لمسار خاص بها،وتلك الأقمار تدور حول الكواكب، و الكواكب تشكل مجموعات كل مجموعة تدور حول الشمس خاصة بها،و المجموعات الشمسية تدور حول مركز المجرة،والمجرات تتجمع فيها بينها وتشكل تجمعات خاصة بها...كل هذا التعقيد في التنظيم إذا أضفنا له السرعات الهائلة التى تتحرك بها هذه الأجرام...كل ذلك يؤكد لنا عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

فالغرض من حديث القرءان عن تناسق السماء و جمالها ، هو تنبيه الكفار خصوصا والناس عموما إلى قدرة الله المطلقة في الخلق و الإبداع و أنه لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء، ف " هذه السماء صفحة من كتاب الكون تنطق بالحق الذي فارقوه، أفلم ينظروا إلى ما فيها من تشامخ و ثبات و استقرار؟ و إلى ما فيها بعد ذلك من زينة و جمال و برائة من الخلل و الإضطراب ! إن الثبات و الكمال و الجمال هي صفة السماء التي تتناسق مع السياق هنا، و مع الحق و مع ما فيه من ثبات و كمال و جمال، و من ثم تجيئ صفة البناء و صفة الزينة و صفة الخلو من الثقوب و الفروج. " [2]

فتقول كماابتدئت سورة الملك:"تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير" وهذا يدل على جمال المناسبة بين الآيات وقوه الترابط بينها.

و من الجمال في هذه الآيات كذلك التنويع في استعمال حروف العطف، إذا استعمل مرة "الفاء"ومرة "ثم" وليس الهدف في ذلك مجرد التنويع،ولكن لكل مقام مقال فقد استعمل في الأول"الفاء"التي تدل على التعقيب ليربط بين القضية ودليلها إذ أن تأخير الدليل عيب فناسب الاسراع به هنا،أما "ثم"التي تعبر عن التراخي فاستعملها وسط الدليل ليعطي للمتأمل مهلة يتأمل فيها الدليل ويقلبه على وجوهه،وذلك دليل على قوة الدليل وثقة صاحبه فيه.

---

[1] Thuan, La mélodie, p: 121-122.

[2] سيد قطب، الظلال، المجلد : 6، ص : 3359.

ونلاحظ كذلك الفصل بين الجملة الأولى والثانية وانعدام حروف الوصل بينهما وذلك لأن الثانيه توضيح للأولى فلاحاجة للمتكلم لأن يصل بينهما فالثانية تبين وجه الدليل في الأولى التي تحدثت عن السموات، فبينت الثانية أن الشاهد في ذلك هو انعدام التفاوت فيها.

ونفس الشئ بين الجملة الثالثة والرابعةوذلك لأن الأخيرة نتيجة مباشرة للأولى فمهما كرر البصر والنظر فالنتيجة هي انحساره عن رؤية العيوب في السماء لذلك ناسب كذلك عدم وضع حروف الصلة بين الجملتين.

أما في آيات سورة "ق" وسورة االنازعات فقدسبقت الاشارة إلى مافيهما من تناسب في الفواصل بحرف"الها"وذكرنا أقوال العلماء في ذلك.بمايغني عن إعادته .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مـــواقع النجـــوم

أقسم الله في كتابه على كرامة القرآن بمواقع النجوم ! إذ قال : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم. و إنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين**﴾ سورة الواقعة آ :75 -80 .

فما معنى هذا القسم، و فيم تكمن عظمته، و ما غرضه؟

ابتدئ هذا القسم بالفاء ، و " هي لتفريع القسم على ما سبق من أدلة وقوع البعث الذي كذبوا به، و لأجل لستحالته - في نظرهم القاصر- كذبوا القرآن، ففرع على تحقيق وقوع البعث تحقيق أن القرآن منزه عن النقائص" [1]

و "لا أقسم" قال الزمخشري : معناه: " فأقسم، و "لا" مزيدة مؤكدة مثلها في قوله "**لئلا يعلم أهل الكتاب**"[2] . و قرأ الحسن : "فلأقسم" [3]

و قال ابن عاشور أن المعنى : "أنه غير محتاج إلى القسم لأن الأمر واضح الثبوت"، و عن سعيد ابن جبير أنهم جعلوا حرف "لا" حرفا مستقلا عن فعل "أقسم" ردا على أقوالهم في القرآن، و جعلوا "أقسم" استئنافا.

و "**مواقع النجوم**" قال مجاهد : هي مواقع النجوم في السماء ، و كذا قال الحسن و قتادة، و هو اختيار ابن جرير" [4]

و قال الزمخشري : "أراد بمواقعها : منازلها و مسايرها. و له تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة و الحكمة ما لا يحيط به الوصف" [5]

---

[1] الطاهر ابن عاشور ، التحرير ، ج :27 ، ص: 329.

[2] سورة الحديد، الآية : 29.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج :4 ص : 468.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج : 6، ص : 314.

[5] الزمخشري ، الكشاف ، ج :4 ،ص: 468.

و قال ابن عاشور : "مواقع النجوم" جمع موقع يجوز أن يكون مكان الوقوع أي محالها من ثوابت و سيارة؛ أو مواضع غروبها، و ذلك يذكر بالنظام البديع المجعول لسير الكواكب فلا يختل و لا يتخلف، و تذكر بعظمة الكواكب و ذلك أمر عظيم يحق القسم به الراجع إلى القسم بمبدعه و ذكر "مواقع النجوم" على كلا المعنيين تنويه بها، و تعظيم لأمرها لدلالة أحوالها على دقائق حكمة الله تعالى في نظام سيرها، و بدائع قدرته على تسخيرها."[1]

و قد تسائل البعض : كيف أقسم بمخلوقاته و قد ورد النهي علينا ألا نقسم بمخلوق؟ و قد أجيب عن ذلك بأنه حذف مضاف أي " و رب الفجر"، "و رب التين" و كذلك هنا "و رب مواقع النجوم". و أجيب كذلك : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء و تقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفون، و لعل هذا الجواب لا ينطبق كلية على قسمنا هنا بدليل قوله " لو تعلمون" و "لو" هنا امتناعية.

و أجيب كذلك : أن الأقسام إنما تجب بأن يقسم الرجل بما يعظمه، أو بمن يجله، و هو فوقه، و الله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه، و تارة بمصنوعاته، لأنها تدل على البارئ الصانع، و قد استحسن هذا القول ابن خالويه" [2]

و جملة : "و إنه **لقسم لو تعلمون عظيم**" معترضة بين القسم و جوابه، و فيها اعتراضان القصد منهما تأكيد المعنى، فإنه اعترض بقوله : "و إنه لقسم" فكأنهم ما عهدوا مثل هذا القسم فهو ينبههم إليه، ثم اعترض بقوله : "لو تعلمون" بين الصفة و الموصوف" [3]

فهو ينبههم إلى أهمية العلم بهذه المواقع، و ختم الإعتراض بصفة القسم و هو أنه "عظيم" لعظمة المقسم به، و أعجب ما في هذا الإعتراض الثاني أنه اعتراض في إعتراض !!

أقول : إذا كانت العرب لم تعهد مثل هذا القسم فلا أظنهم عهدوا مثل هذا الإعتراض المركب الذي يراد به تعظيم شأن المقسم به من مواقع النجوم و تأكيد إجلاله في النفوس.

و قوله تعالى : "لو تعلمون" يثير الحيرة و التساؤل و الشوق إلى المعرفة في نفس السامع، فماذا يقول علماء الكون عن عظمة مواقع النجوم؟

---

[1] ابن عاشور ، التحرير ، ج :27 ،ص: 330، 331

[2] بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج :3، ص: 42 .

[3] نفس المصدر ،ج :3، ص :58 .

يقول الصابوني :" لم يكن المخاطبون يعلمون من مواقع النجوم إلا القليل، أما في هذا العصر فقد ظهرت معجزة القرآن، يقول الفلكيون : إن مجموعة واحدة من المجموعات التي لا تحصى في الفضاء الهائل الذي لا نعرف له حدودا، مجموعة واحدة هي "المجرة" التي تنسب إليها أسرتنا الشمسية تبلغ ألف مليون نجم، و إن من هذه النجوم و الكواكب التي تزيد على عدة بلايين نجم – منها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، و ما لا يرى إلا بالمجاهر و الأجهزة، و لا يوجد أي احتمال أن يقترب نجم من نجم آخر أو يصطدم بكوكب آخر" [1]

و يقول الدكتور منصور حسب النبي : "... و العظمة إن كانت وصفا من الله سبحانه و تعالى كان تقديرها فوق مقدور البشر، فالمسافات بين النجوم هائلة، كما أن النجوم التي تبدو ثابتة في السماء تتحرك بسرعات جبارة، فضلا عن أن موقع النجوم و تحركاتها مرتبطة بقوة الجذب الهائل بينها طبقا لقانون الجاذبية العامة(*) أي طبقا لتقدير الكتل الجبارة للنجوم و المسافات الشاسعة بينها، و غير ذلك من قوانين الفطرة و الطبيعة التي ما زال معظمها فوق مقدور العقل البشري... أما عن المسافات بين النجوم، فيكفي أن نشير إلى أن أقرب النجوم إلينا بعد الشمس هو نجم "ألفا قنطورس" و هو يبعد عنا مسافة 4.4 سنة ضوئية" [2] و السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة واحدة بسرعة تعادل : 300 000 كلم في الثانية الواحدة، و هذا يستلزم أن الضوء ينطلق من هذا النجم، و يصل إلينا بعد أربع سنوات و ثلاثة أشهر من لحظة انطلاقه !

و سديم "المرأة المسلسلة" يبعد عنا بـ 2,35 مليون سنة ضوئية [3] أي أن الضوء المنبعث منه يحتاج إلى 23500 قرن من الزمن لكي يصل إلينا بتلك السرعة الهائلة للضوء !!

ثم إن هذه المواقع غير ثابتة فلكل جرم مساره الذي يتحرك فيه في نظام عجيب، كل ذلك وسط حشود هائلة من النجوم و الكواكب فـ"مجموعة واحدة من مجموعات النجوم التي

---

[1] محمد علي صابوني، صفوة التفاسير، ج :3 ص :314 - 315.

(*) راجع موضوع "بناء السماء" في هذا الباب.

[2] منصور حسب النبي، الكون ... ، ص : 297.

[3] نفس المصدر.ص: 299.

التي لاتحصى في الفضاء الهائل الذي لانعرف له حدودا، بمجموعة واحدة هي المجرة التي تنتسب إليها أسرتنا الشمسية تبلغ ألف مليون نجم !" [1]

فما أعظم القرآن الذي أشار إلى كل ذلك يوم لم يكن يفكر فيه أو يعلمه أحد إلا الخالق سبحانه و تعالى.

و ما أعظم هذا التصوير البديع الذي صور به تلك الحقائق الهائلة ،تصوير يشي بعظمة المصور ، و علمه الواسع المحيط بكل شيء، بما يؤكد للسامع أن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن بشر أبدا بل هو كلام العزيز الحكيم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سيد قطب، الظلال ،المجلد : 6 ، ص : 3470.

كـــل في فـــلـــك يـــســـبـــحون

لقد تساءل الإنسان منـذ القـدم عـن النجـوم في السـماء كيـف هـي معلقـة و لـماذا لا تسقط؟ فكيف كانت إجابة القرآن عن هذا التساؤل ؟

قال الله تعالى : ﴿ **و هو الذي خلق الليل و النهار، و الشمس و القمر، كل في فلك يسبحون .**﴾ سورة الأنبـــياء، آ: 33.

و قـال: ﴿ **لا الشـمس ينبغي لهـا أن تدرك القمـر و لا الليـل سـابق النهـار و كـل في فلـك يسبحون**﴾ سورة يـس ،آ:40.

أمـا الآيـة الأولى فقـد قـال ابـن عبـاس في تفسـيرها : " كـل في فلـك يسـبحون" أي يدووون كما يدور المغزل في الفلكة" [1]

و قال الزمخشري : "كل" التنوين فيه عوض من المضـاف إليـه، أي كلهـم [في الفلـك يسبحون] ، و الضمير للشمس و القمر، جعلوها متكاثرة لتكـاثر مطالعهـا، و هـو السـبب في جمعها بالشموس و الأقمار، و إلا فالشمس واحدة و القمر واحد. و الجملة [يسبحون] محلهـا النصب على الحال من الشمس و القمر و قد استبد بهمـا دون الليـل و النهـار كمـا تقـول : رأيت زيدا و هندا متبرجة، و نحو ذلك إذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق بالعامل،

و منه قوله تعالى : ﴿ **و وهبنا له إسحق و يعقوب نافلة**﴾[2] . أو لا محل لها لإستئنافها. و

---

[1] ابن كثير ، تـفسير الـقرآن العظيم ، ج: 4 ، ص : 252.

[2] سورة العنكبوت الآية : 27.

قيل جميعهم يسبحون في فلك مع أن لكل واحد من القمرين فلك على حدة، كقولهم : " كساهم الأمير حلة و قلدهم سيفا " أي كل واحد منهم، فاكتفى بما يدل على الجنس إختصارا "[1]

و في تفسيره للآية الثانية زاد ابن كثير أن " كل في فلك يسبحون" ،" يعني الليل و النهار و الشمس و القمر "[2]

أما الزمخشري فقد أثبت ما قاله من قبل و أحال القارئ على ما سبق ذكره . [3]

و نقل الصابوني عن الحسن أنه قال : " الشمس و القمر و النجوم في فلك بين السماء و الأرض، غير ملتصقة بشيء، و لو كانت ملتصقة ما جرت" [4]

و قال ابن عاشور : تنوين " كلٌ " عوض من المضاف إليه المحذوف ، فالتقدير" و كل الكواكب "... و أصلح لهم ما توهموا بقوله "يسبحون" فبطل أن تكون أجرام الكواكب ملتصقة بأفلاكها... و هي حقيقية علمية سبق بها القرآن [5] و هو سبق كبير إذا علمنا أن القبط في مصر كانوا يتوهمون أن الشمس في سيرها مجرورة بسلاسل و كلاليب [6] و أن اليونان اعتقدوا منذ أفلاطون و أرسطوا أن الكواكب و النجوم محمولة على كرات من الكريستال، و حتى كوبر نيك الذي أحدث ثورة في علم الفلك عام 1543 لم يزد على أن قدم و أخر في هذه الكرات المزعومة. و ما بدأ هذا الوهم يتلاشى عندهم إلا مع الفلكي

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج : 3 ص : 115 باختصار.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج : 5 ، ص : 371.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج : 4 ص : 18.

[4] محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، ج : 3 ص : 15.

[5] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج : 23 ص : 26.

[6] المصدر السابق ج : 23 - ص : 25.

"جيوردانو برينو" الذي أنكر كرات الكريستال فحكمت عليه الكنيسة بالموت حرقا سنة 1600 [1] أي أن سبق القرآن للعلم الحديث يعادل ألف سنة تماما !!

و لقد اختيرت لفظة "يسبحون" بعناية، فهي أفضل - مثلا - من كلمة "يطيرون" فمن أهم صفات السابح أنه ذو حركة تموجية صعودا و نزولا مع موجات الماء، و كذلك حركة الشمس و القمر هي حركة تموجية جيبية ناتجة عن حركة الدوران. و مما توحي به هذه اللفظة أن السابح لا يسبح إلا وسط بحر بأمواجه وكذلك الشمس و القمر و النجوم كلهم يسبحون وسط أمواج الجاذبية، و وسط بحر من الأمواج اللاسلكية.

و في اصطلاح علماء البلاغة فإن هذه اللفظة هنا استعارة مكنية، و " الإستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه و تظهره، و تجيء إلى إسم المشبه به فتعتبره المشبه و تجريه عليه " [2] أما الإستعارة المكنية " فهي ألا يصرح بذكر الإستعارة بل تذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه" [3]

فالسباحة في الأصل للأسماك أو للإنسان أو سائر الكائنات القادرة عليه، و إنما تكون في الماء. فاستعار هذه الصفة للشمس و القمر و الكواكب من أجل إظهار المعاني الخفية السابقة الذكر.

قال سيد قطب في هذه الصورة البيانية : " و حركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفين في الخضم الفسيح، فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقط سابحة

---

(1) Thuan , La mélodie secrète , p :18 -33

(2) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 80.

(3) الزركشي ، البرهان، ج :3 ، ص :438.

في ذلك الفضاء المرهوب. و إن الإنسان ليتضائل و يتضائل، و هو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوارة و الكواكب السيارة، متناثرة في ذلك الفضاء سابحة في ذلك الخضم و الفضاء من حولها فسيح فسيح، و أحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح !!" [1]

و مما يؤكد هذا الفهم و هذا التصور، المناسبة اللطيفة بين هذه الآية و الآية التي تليها ﴿ و آية لهم أنا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون﴾ [2] إذ يقول السيد قطب : " إن في السياق مناسبة لطيفة بين النجوم و الكواكب السابحة في أفلاكها، و الفلك المشحون السابح في الماء يحمل ذرية بني آدم ! مناسبة في الشكل، و مناسبة في الحركة، و مناسبة في تسخير هذا و ذلك بأمر الله و حفظه بقدرته في السموات و الأرض سواء ."[3]

و في ختام هذا الموضوع أريد أن أقارن بين التعبير في آية سورة الأنبياء و آية سورة يس، و إذا فعلنا ذلك وجدنا أن الألفاظ هي تقريبا نفسها، و لكن توزيعها اختلف، فاختلفت بعض معانيها بإختلاف النظم و من ذلك :

تقديم "الليل" على "النهار" في سورة الأنبياء، ثم نفي سبق الليل للنهار في سورة "يس"، و قد تكلم في ذلك المفسرون كثيرا، و أشكل عليهم الأمر[4] إلا أننا نرى أن الآية

---

[1] سيد قطب ، الظلال، المجلد : 6 ، ص: 2969.

[2] سورة يس ، آ : 41.

[3] سيد قطب ، الظلال، المجلد : 6 ص :2369 .

[4] الزمخشري ، الكشاف ، ج : 4 ، ص : 17-18.

الأولى في سورة الأنبياء تتحدث عن الخلق إذ قال تعالى : " و هو الذي خلق الليل و النهار" و لا خلاف بين العلماء أن الليل سابق في الخلق على النهار. أما الآية الثانية الواردة في سورة يس فإنها تتحدث عما كان بعد الخلق من تنظيم لهذا الكون. فهو بإرادة الله تعالى و تدبيره فلا اختلال فيه، فالشمس لا تدرك القمر، و لا يمكن أن تصدمه في مسارها، و كذلك الليل لا يمكن أن يعتدي على صفحة النهار ثم يسبقه، فلكل مكانه، و لكل زمانه الخاص به.

و مما نستخلصه من هذه المقارنة كذلك، انعدام واو العطف في " كل في فلك يسبحون" من سورة الأنبياء، بينما نجد في سورة يس " و كل في فلك يسبحون" و هذا من باب الفصل و الوصل، و هو كما يقول عنه عبد القاهر الجرجاني " العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، و المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى، من أسرار البلاغة فقد مثل بعضهم عن البلاغة فقال : معرفة الفصل من الوصل " [1]

و يرى الباحث أن انعدام العطف في الآية الأولى كان لأجل إلصاق صفة السباحة بـ " الشمس و القمر"، و ذلك لأن الصفة لا تحتاج في إتصالها بالموصوف إلى أي شيء يصلها به.

أما في سورة يس فقد جيء بواو العطف لكي تكون فاصلة بين الجملتين المتتاليتين، فيعود المعنى على الجملة الأولى، فليست السباحة مختصة بالليل و النهار لأنهما عارضين على

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 219.

الأرض، و إنما السابح هو الشمس و القمر لأنهما جرمين قائمين بذاتهما. قال الجرجاني في توضيح هذا الأسلوب " هذا فن من القول خاص دقيق يقل نظر الناس فيه...

مثال ذلك قول المتنبي :

تولوا بغتة فكأن بيننا تهيبني ففاجأني اغتيالا

فكان مسير عيسهم ذميلا و سير الدمع إثرهم انهمالا

فقوله : "كان مسير عيسهم" معطوف على "تولوا بغتة" دون ما يليه من قوله " ففاجأني" لأنه إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى من حيث أنه يدخل في معنى "كأن" و ذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عسيهم حقيقة، و يكون متوهما "[1]

و نفس الأمر في الآية، فالسباحة فيها صفة أصلية في الشمس و القمر و ليس في الليل و النهار.

و دائما مع آية " كل في فلك " نشير إلى اللطيفة التي تحدث عنها علماء البلاغة و البيان و هي محسن الطرد و العكس و هو أن " حروفه تقرأ من آخرها على الترتيب كما تقرأ من أولها مع خفة التركيب و وفرة الفائدة و جريانه مجرى المثل من غير تنافر و لا غرابة "[2]

و هو محسن ترتاح له النفس بشكل عفوي ، و يحس الإنسان بجماله إذا تأمله بأذن موسيقية مرهفة.

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 233.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج : 17، ص : 60.

حـــركـــة الشـــمـــس

قال الله تعالى : ﴿و الشـمس تجـري لمسـتـقر لها، ذلك تقديـر العزيز العليـم﴾

يـس.38

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة : المراد بمستقرها هو منتهى سيرها، و هو يوم القيامة، يبدل سيرها، و تسكن حركتها.

قال قتادة "لمستقر لها" أي لوقتها و لأجل لا تعدوه و قرأ ابن مسعود" لا مستقر لها" أي لا قرار لها و لا سكون، بل هي سائرة ليلا و نهارا، لا تفتر و لا تقف، كما قال تبارك و تعالى: ﴿و سخر لكم الشمس و القمر دائبين﴾ [1] أي لايفتران و لا يقفان إلى يوم القيامة" [2]

و قال الزمخشري : "ذلك" الجري على ذلك التقدير و الحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن إستخراجه و تتحير الأفهام في إستنباطه ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علما بكل العلوم." [3]

و قال الصابوني : " أي و علامة أخرى لهم الشمس تسير بقدرة الله في فلك لا تتجاوزه و لا تتخطاه لزمن تستقر فيه، و لوقت تنتهي إليه، و هو يوم القيامة حيث ينقطع جريانها عند خراب العالم." [4]

و نلاحظ أن الآية قد عبرت عن حركة الشمس بلفظة " الجري" و الجري حقيقته : السير السريع، و هو لذوات الأرجل، و أطلق مجازا على تنقل الجسم من مكان إلى مكان تنقلا سريعا، و غلب هذا الإطلاق تساوي الحقيقة، و أريد به السير في مسافات متباعدة جد

---

[1] سورة إبراهيم، آ : 33.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج : 3 ، ص : 312.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج : 4، ص : 16.

[4] الصابوني، صفوة التفسير، ج : 3 ، ص :14.

التباعد فتقطعها في مدة قصيرة"[5] و من معانيه كذلك الإنسياب في الحركة بغير توقف و دون وجود معترض و ذلك كقولهم : جري الماء أي تحركه بحركته الإنسيابية المعروفة.

و قد يعترض معترض على هذا المعنى فيقول أن الشمس ثابتة و الكواكب من المجموعة الشمسية تدور حولها، و ما حركتها اليومية إلا حركة وهمية ناتجة عن دوران الأرض حول نفسها.

و الصحيح أن الشمس ذاتها ليست ثابتة كما سبق الإشارة إلى ذلك في الموضوع السابق (سباحة الأجرام السماوية) فالشمس متحركة تجري في فضاء مجرة درب التبانة بسرعة 19 كلم/ثا. و هي تتجه الآن في إتجاه نجم فيجا "النسر الواقع" و تقوم بدورة كاملة حول مركز المجرة في 225 مليون سنة، كما تدور الشمس حول نفسها دورة كاملة في خلال 25 يوما و 9 ساعات و 35 دقيقة[1]

و من هنا يتبين لنا أن كلمة " تجري" هي الأنسب في التعبير عن حركة الشمس سواء كان ذلك من ناحية السرعة أم من ناحية الأنسياب في الحركة.

لكن هذه الحركة مهما طالت فإنها ستتوقف يوما ما كما عبرت الآية عن ذلك بعبارة " لمستقر لها"، "و المستقر : مكان الإستقرار، أي القرار، أو زمانه، فالسين و التاء فيه للتأكيد مثل "استجاب" بمعنى أجاب، و اللام في "لمستقر" يجوز أن تكون لام التعليل"[2]

و يرى الباحث أنها قد تكون لام العاقبة كما في قوله تعالى : ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا و حزنا**﴾[3] .أما " اللام في قوله لها فهي لام الإختصاص و هو صفة "لمستقر" و عدل عن إضافة "مستقر" لضمير الشمس المغنية عن إظهار اللام إلى الإتيان باللام ليتأتى تنكير مستقر" تنكيرا مشعرا بتعظيم ذلك المستقر"[4] و هو حقا مستقر عظيم فيه ينهار بناء

---

[5] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج : 23 ، ص : 19

[1] جيمس ميتشال و آخرون، الكون، ص : 68 - L'Univers- p ... Jemes Mitchel

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير، ج : 23 ص : 19-20.

[3] سورة القصص، الآية:8.

[4] نفس المصدر، ج : 23، ص : 21 .

الكون كله و تفنى هذه الدنيا لتبدل الأرض غير الأرض و السموات.[*]

ثم ختمت الآية الكريمة بما يناسب بدايتها و مضمونها بتذييل حسن : "ذلك تقدير العزيز العليم" فتسخير الشمس و إجراؤها يحتاج إلى تقدير صاحب عزة و قدرة، و صاحب علم مدبر لنظام الكون البديع.

يقول سيد قطب " و حين نتصور حجم هذه الشمس... و أن هذه الكتلة الهائلة تتحرك، و تجري في الفضاء لا يسندها شيء ندرك طرفا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قدرة و عن علم"[1]

و هكذا ندرك في في هذه الآية بعض مظاهر الإعجاز البياني، فقد عبر عن حركة الشمس تعبيرا عجيبا يفهم منه العامي الحركة الظاهرية لها، بينما يفهم العالم و الباحث من ذلك الحركة الحقيقية لهذه الشمس، و كل يأخذ العبرة و يصل إلى المقصود الذي هو إدراك العظمة الإلهية من خلال التأمل في مدلول الآية.

---

[*] انظر موضوع إنهيار الكون فيما يأتي .

[1] سيد قطب، الظلال، مجلد : 5 ص : 2968.

قال الله تعالى : ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا**﴾ سورة يونس آ :5.

و قال جل جلاله : ﴿**و جعل القمر فيهن نورا، و جعل الشمس سراجا**﴾ سورة نوح آ:16

و قال سبحانه : ﴿**و جعل فيها سراجا و قمرا منيرا**﴾ سورة الفرقان آ : 61.

تنقلنا هذه الآيات الكريمات من القرآن الكريم إلى تأمل مشهدين من مشاهد الكون هما الشمس و القمر، و هما "مشهدان بارزان من مشاهد الكون، ننساهما لطول الألفة، و نفقد وقعهما في القلب بطول التكرار، و إلا كيف وهلة الإنسان، و هو يشاهد أول مرة أول شروق شمس و أول غروب، و أول مطلع قمر و أول مغيب؟ هذان مشهدان مكروران يردنا القرآن إليهما ليثير فينا مشاعر وهلة الجدة، و ليحيي في قلوبنا إحساس التطلع الحي و التأمل الذي لم يبلده التكرار، و التيقظ لما في خلقهما و طبيعة تكوينهما من التدبير المحكم" [1]

و لقد تأمل المفسرون هذه الآيات الكريمات، فقال الإمام ابن كثير فيها: " يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته و عظيم سلطانه، أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء و جعل شعاع القمر نورا، و هذا فن، و هذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها" [2] .

و قال الزمخشري : "الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها... و الضياء أقوى من النور"[3] .

و قال الطاهر ابن عاشور : " هو" ضمير عائد إلى إسم الجلاله، و في الآية استدلال على إلهيته ممزوج بالإمتنان على المحجوبين به، فهذا دليل قد تضمن أشياء يأخذ المحاطون بحظ

---

[1] سيد قطب، الظلال، مجلد :3 ، ص : 1750

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:3 ، ص: 12

[3] الزمخشري، الكاشف، ج:2 ، ص: 329.

عظيم من التمتع بها، و هو خلق الشمس و القمر على صورتهما و تقدير تنقلاتهما تقديرا مضبوطا ألهم الله البشر للإنتفاع به في شؤون كثيرة من شؤون حياتهم، فجعل الشمس ضياء لانتفاع الناس بضيائها أوقات أشغالهم، و جعل القمر نورا للانتفاع بنوره انتفاعا مناسبا للحاجة التي قد تعرض إلى طلب رؤية الأشياء في وقت الظلمة، و هو الليل... و من لم يفطن إلى الإنتفاع به لا يشعر بنوره و لا يصرفه ذلك عن سكونه" [1]

و قال كذلك: " و الإخبار عن القمر بأنه نور مبالغة في وصفه بالإنارة. و السراج: المصباح الزاهر نوره الذي يوقد بفتيلة من الزيت يضيء التهابها بمقدار بقاء مادة الزيت تغمرها.

و الإخبار به عن الشمس من التشبيه البليغ، و هو تشبيه القصد منه تقريب المشبه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل.

و جعل القمر نورا إيماء إلى أن ضوء القمر ليس من ذاته فإن القمر مظلم، و إنما يستضيء بإنعكاس أشعة الشمس على ما يستقبلها من وجهه، و بعكس ذلك جعلت الشمس سراجا لأنها ملتهبة، و أنوارها ذاتية فيها صادرة عنها إلى غيرها مثل أنوار السراج تملأ البيت و تلمع أواني الفضة و نحوها مما في البيت من الأشياء المقابلة له" [2]

و يعلق الرافعي على تفاوت الناس في فهم الآية فيقول : "... و هذه الآية سمعها العرب فبعضهم يفهم من نسقها أن القمر نور و الشمس نور، و لكن اختلف اللفظان ليكون في ذلك تنويع بليغ.

و يعلو آخر في المنزلة، فيفهم أن القمر أضعف نورا من الشمس لأن هذه عبر عنها بالسراج، و لفظ السراج يحضر في النفس شعاعه المتقد فكأنه نور منبعث من نار.

و يدقق بعضهم فيرى أن الغرض هو التعبير عن الشمس بأنها تجمع إلى النور الحرارة، و لذلك فائدة في الحياة، و لهذه فائدة أخرى. ثم يفهم أهل القلوب الحديثة مع كل هذه الوجوه،أن المراد من الآية إثبات ما تكشفته هذه العلوم من أن القمر جرم مظلم، و إنما يضيء

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج:10، ص :92

[2] نفس المصدر، ج: 29، ص :203 -204

ما ينعكس عليه من نور الشمس التي هي سراجه، إذ النور لا يكون من ذات نفسه ابتداء، و لابد من مصدر يبعثه" [1]

و لقد زادت الدراسات الكونية هذا المفهوم عمقا، إذ اكتشف أن الشمس ما هي إلا سراج ضخم يشتعل فيه الهيدروجين الذي يندمج مع بعضه في تفاعل نووري يعطي الهيليوم و يحرر طاقة نووية عظيمة تصلنا على شكل ضوء [2]

فمثل هذا التعبير الذي يشمل الناس جميعا على مر العصور هو تعبير فريد من نوعه لم نشهد له مثيلا من قبل و ليس في طاقة البشر أن يأتو بمثله، فهو الكلام المعجز المبين الذي لا يصل إليه كلام البشر

و لهذا ختمت الآية بما يناسبها : "يفصل الآيات لقوم يعلمون" فالمشاهد التي تعرض هنا في حاجة إلى العلم لإدراك التدبير الكامن وراء المشاهد و المناظر." [3]

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، ص : 207

[2] Jemes Mitchel - L'Univers p 68

[3] سيد قطب، الظلال، مجلد :3 ، ص : 1750

خسـوف القـمر

من الظواهر الملفتة للإنتباه في السماء ظاهرة الخسوف، فكيف كان تعبير القرآن عنها؟

قال الله تعالى : ﴿فإذا برق البصر، و خسف القمر و جمع الشمس و القمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر. كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر﴾ سورة القيامة آ 7 – 12.

قال الإمام ابن كثير : " فإذا برق البصر" : المقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة و تخشع و تحار و تذل من شدة الأهوال و عظم ما تشاهده يوم القيامة من أمور. "و خسف القمر" أي ذهب ضوؤه. " و جمع الشمس و القمر" روي عن ابن مسعود أنه قرأ : "و جمع بين الشمس و القمر"، "يقول الإنسان يومئذ أين المفر" : أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذ يريد أن يفر، و يقول أين المفر، أي هل من ملجأ؟! قال الله تعالى: "كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المتسقر" قال ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبير و غير واحد من السلف : أي لا نجاة. و كذا قال ههنا : "لا وزر" : أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه، و لهذا قال : "إلى ربك يومئذ المستقر" أي : المرجع و المصير"[1]

و قال ابن عاشور : "برق" قرأه الجمهور بكسر الراء، و معناه : دهش و بهت و هو من أحوال الإنسان، و إنما أسند في الآية إلى البصر على سبيل المجاز العقلي. و قرأه نافع و أبو جعفر بفتح الراء بمعنى اللمعان، أي لمع البصر من شدة شخوصه... و اسناده إلى البصر حقيقة.

و مآل معنى القراءتين واحد و هو الكناية عن الرعب و الفزع.. و التعريف في "البصر" للجنس المراد به الإستغراب، أي أبصار الناس كلهم"[2]

فهذه الآية الكريمة إذن تتناول مشهدا من المشاهد المؤثرة التي يواجه بها القرآن الكريم " القلب البشري مواجهة قوية.. مشهد يوم القيامة، و ما يجري فيه من انقلابات كونية و من

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج : 07 ، ص : 94

[2] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج: 29، ص :344-345.

اضطرابات نفسية و من حيرة في مواجهة الأحداث الغالبة حيث يتجلى الهول في صميم الكون، و في أغوار النفس و هي تروغ من هنا و من هناك كفأر في مصيدة ! و ذلك ردا علىٰ تساؤل الإنسان عن يوم القيامة في شك و استبعاد ليومها المغيب، و استهانة بها و لجاج في الفجور، فيجيء الرد في إيقاعات سريعة، و مشاهد سريعة، و ومضات سريعة : " بل يريد الإنسان ليفجر أمامه. يسأل أيان يوم القيامة، فإذا برق البصر..."، فالبصر يخطف و يتقلب سريعا سريعا تقلب البرق و خطفه، و القمر يخسف و ينطمس نوره، و الشمس تقترن بالقمر بعد افتراق، و يختل نظامهما الفلكي المعهود، حيث ينفرط ذلك النظام الكوني الدقيق.. و في وسط هذا الذعر و الإنقلاب يتساءل الإنسان المرعوب " أين المفر"، و يبدو في سؤاله الإرتياع و الفزع، و كأنما ينظر في كل إتجاه فإذا هو مسدود كونه مأخوذ عليه ! و لا ملجأ و لا وقاية، و لا مفر من قهر الله و أخده، و الرجعة إليه و المستقر عنده، و لا مستقر غيره : "كلا لا وزر. إلى ربك يومئذ المستقر" [1]

و للقارئ أن يتساءل : لماذا بالضبط " يقول الإنسان يومئذ أين المفر" أي يوم يخسف القمر و يجمع الشمس و القمر؟ فالإنسان يلاحظ بإستمرار أحداثا كونية هائلة، و لا يقول : أين المفر؟ فنحن نرى مثلا إلتهاب الشمس و تطاير فقاعات النار عليها، و أحيانا يصل إلينا شيء يسير من شواظها، و نحن آمنون مطمئنون، و نرى أجراما سماوية بأكملها تذهب نحو المجهول في ما يسمى بالثقوب السوداء و لا يصيبنا من ذلك الفزع. و رأينا في شهر جويلية 1994 اصطدام مذنب "شوخر ليفي" بكوكب المشتري ثم لم يصبنا الرعب. مع أن المشتري كوكب قريب منا نسبيا! فما ضرنا نحن على الأرض أن يجمع الله بين الشمس و القمر في السماء ؟

و تجيبنا الدراسات الكونية عن هذا التساؤل بأن معنى " خسف القمر" أي : توسطت الأرض بين الشمس و القمر، و منعت الأرض ضوء الشمس عنه. فإذا حدث هذا و حدث معه الجمع بين الشمس و القمر فهي الكارثة العظمى على الأرض الواقعة بينهما في هذه اللحظة. و حق للإنسان في الجهة المقابلة للقمر و هو متجه إليه، و للإنسان في الجهة المقابلة للشمس و هي متجهة إليه، حق له أن يقول " أين المفر" ؟!.

---

[1] سيد قطب، الظلال، مجلد :6 ، ص : 3766

لكن في مثل هذا الوضع بالضبط : لا مفر، بل إلى الله تعالى -يومئـد- المستقر. فهـي نهاية الإنسانية، فينبأ الإنسان يومئذ بما قدم و أخر فإنه يوم القيامة و يوم الحسـاب. فيالـه مـن مشهد هائل ضخم يضطرب الإنسان حتى لمجرد تصوره، فكيف بمن يعيشه حقا !؟.

و زيادة في التهويل جاء هذا السـجع في الفواصـل بحـرف الـراء المفخمـة الـتي تشـعر بضخامـة الموقف و هولـه و عظمتـه، "و جـاء كـل شـيء سـريع قصـير، الفقـر،و الفواصـل، و الإيقـاع الموسيقي، و المشاهد الخاطفة.. هكذا في سرعة و إجمال، ذلك أنه رد علـى اسـتطالة الأمـد و الإستخفاف بيوم الحساب" [1]

[1] سيد قطـب، الظـلال، مجلد :6 ، ص : 3766

إنشـقـــاق الـقـمـــر

قال الله تعالى :﴿ اقتربت الساعة و انشق القمر . و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر . و كذبوا و اتبعوا أهواءهم و كل أمر مستقر﴾ سورة القمـر آ : 1-3.

هكذا ابتدأت سورة القمر بهذا المطلع المروع الجليل، " مطلع باهر مثير، على حادث كوني كبير، و إرهاص بحادث أكبر، لا يقاس إليه ذلك الحادث الكونـي الكبير... فياله من إرهاص! و ياله من خبر، لقد رأوا الحادث الأول، فلم يبق إلا أن ينتظروا الحدث الأكبر." [1]

و لقد جاء القرآن الكريم ليقف بالقلب البشري في مواجهة الكون كله، و ما فيه من آيات الله القائمة الثابتة، و يصله بهذا الكون و آيات الله فيه في كل لحظة، لا مرة عارضة في زمان محدود يشهدها جيل من الناس في مكان محدود.

"إن الكون كله هو مجال النظر و التأمل في آيات الله التي لا تنفد و لا تذهب و لا تغيب، و هو بجملته آية، و كل صغيرة و كبيرة آية، و القلب البشري مدعو في كل لحظة لمشاهدة الخوارق القائمة الدائمة، و الإستماع إلى شهادتها الفاصلة الحاسمة، و الإستمتاع كذلك بعجائب الإبداع الممتعة، و التي يلتقي فيها الجمال بالكمال، و التي تستهيش انفعال الدهش و الحيرة مع وجدان الإيمان و الإقناع الهادئ العميق.

و في مطلع هذه السورة تجيء تلك الإشارة إلى اقتراب الساعة و انشقاق القمر إيقاعا يهز القلب البشري هزا، و هو يتوقع الساعة التي اقتربت و يتأمل الحادثة التي وقعت، و يتصور أحداث الساعة في ظل هذا الحدث الكوني الذي رآه المخاطبون بهذا الإيقاع المثير" [2]

فقد أورد ابن كثير عدة روايات حول هذا الحدث العظيم منها رواية البخاري عن أنس ابن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم آية، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما".

---

[1] سيد قطب - الظلال- مجلد :6 ، ص : 3425

[2] نفس المصدر - ج: 6 ، ص: 3427

و كذلك رواية الإمام أحمد عن أنس ابن مالك. و رواية مسلم عن قاتدة، و رواية أحمد عن جبير بن مطعم عن أبيه. و رواية البخاري و ابن جرير الطبري، و الطبراني عن ابن عباس. و رواية البيهقي و مسلم و الترميذي عن ابن عمر.

و رواية الإمام أحمد و البخاري و مسلم و ابن جرير و البيهتي عن ابن مسعود] و لذلك قال[: ... و هذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع زمان النبي صلى الله عليه و سلم و أنه كان إحدى المعجزات الباهرات."[1]

لكن بعض المفسرين رأوا أن هذا الإنشقاق يكون مع حدوث الساعة. قال الزمخشري : "... و عن بعض الناس أن معناه، ينشق يوم القيامة" [2] و قد نسب هذا القول إلى " الحسن، و عطاء، و القشيري، و البلخي، و الماوردي" [3]

و عليه فإن الفعل الماضي "انشق" إذا كان يقصد به المعنى الأول فهو على الحقيقة، و إذا كان المقصود به المعنى الثاني، فهو على المجاز، فأبدل المضارع بالماضي على سبيل التحقيق، فالأمر واقع لا محالة كما في قوله تعالى : **"أتى أمر الله فلا تستعجلوه"**[4] و إذا كان المقصود المعنيان معا فهو جمع بين الحقيقة و المجاز و عليه يكون المعنى أضخم و أكثر هولا.

" و قد صدر الحديث عن الإنشقاق بجملة "اقتربت الساعة" و ذلك للإهتمام بالموعظة من الحدث كما قال ابن كيسان: هو على التقديم و التأخير، و تقديره : انشق القمر و اقتربت الساعة" لأن الأصل في ترتيب الأخبار أن يجري على ترتيبها في الوقوع.

و انشق مطاوع شق، و الشق : فرج و تفرق بين أديم جسم ما بحيث لا تنفصل قطعة مجموع ذلك الجسم عن البقية، و يسمى أيضا تصدعا [كما في قوله تعالى : **"ثم شققنا الأرض شقا"**.[5]]

فإطلاق الإنشقاق على حدوث هوة في سطح القمر إطلاق حقيقي، و إطلاقه على تفرقته نصفين مجاز مرسل.

---

[1] إبن كثير، تفسير القرءان العظيم، ج : 06 ، ص : 276 – 277

[2] الزمخشري، الكشاف، ج:4 ، ص: 431.

[3] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج: 27، ص :168

[4] سورة النحل، الآية 01 .

[5] سورة عبس، الآية 26.

و الإقتراب أصله صيغة مطاوعة أي قبول فعل الفاعل و هو هنا للمبالغة في القرب، فإن حمل على حقيقة القرب فهو قرب اعتباري نسبي، بالنسبة لما مضى من الزمان ابتداء من خلق السماء و الأرض، و إن حمل القرب على المجاز أي الدلالة على الإمكان، فالمعنى : اتضح للناس ما كانوا يجدونه محالا "[1]

و "الساعة " موعد القيامة، و هي من الألفاظ التي أعطى لها القرآن دلالات جديدة بعد أن كانت لها دلالات أصلية في كلام العرب.

و قوله : و كذبوا و اتبعوا أهواءهم" فيه تقديم و تأخير فالأصل : "اتبعوا اهواءهم فكذبوا" فالتكذيب نتيجة لإتباع الهوى و المقصود هنا : "و كذبوا لأنهم اتبعوا أهواءهم".

" و كل أمر مستقر" أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها و إن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه الحق." [2]

و لقد جاءت هذه العبارة، موجزة قوية السبك فكانت كالمثل السائر أو الحكمة البليغة.

و من جمال الأسلوب كذلك في هذه الآيات السجع المرصع أو الفواصل غير المتكلفة و هو أسلوب مطرد في جميع سورة القمر أضفى عليها جمالا و إيقاعا رائعا.

و إذا كان القرآن كتاب لا تنقضي عجائبه فلا يفوتنا هنا أن نشير إلى ما نقلته جريدة الإنسان العربية الصادرة في الأستانة نقلا عن الصحف الأجنبية من خبر العثور في ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه أنه حدث حادث سماوي عظيم هو إنشقاق القمر نصفين. و حرر التاريخ فوافق سنة انشقاقه لرسول الله صلى الله عليه و سلم [3]

و لعل تسجيل الظواهر الفلكية الغريبة عادة مطردة عند الصينيين و من اشهر ما سجلوه : ظهور نجم جديد في السماء سنة 1054 و هو عبارة عن سوبر نوفا" [4]

---

[1] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج: 27، ص :170 - 171

[2] الزمخشري، الكشاف، ج:4 ، ص: 431.

[3] دفع المدني، معجزات قلب القرآن، ص : 343 - 344

[4] Gautier Villars , L'Encyclopédie Scientifique de l'Univers,p:3

و لعل هذا الخبر ينطبق مع الأحاديث المروية في وصف الحادثة التي ذكرت معاينة القوافل المتجهة إلى مكة حادثة الإنشقاق قبل أن تصل إليها [1]

كما أن العلماء اكتشفوا أن جرم القمر بارد نسبيا و صلب قابل للإنشقاق و توجد على سطحه شقوق كبيرة منها أخدود سبلغ طوله 130 كلم تقريبا من جبال الألب القمرية، و كذلك شق هيجينوس بعرض 6 كلم [2] و شق هيرودتس بـ 170 كلم [3] و هذا يؤكد أن قضية الإنشقاق ليست غريبة عن القمر.

و أخيرا فإن من العلماء من يرى أن انشقاق القمر سيحدث يوما ما في المستقبل و منهم العالمان : جون برندت و ستيفن ماران [4] و هذا نتيجة حسابات فلكية قاما بها.

و لا يفوتنا هنا أن نشير إلى جمال الفاصلة في آخر الآيات : " القمر"، "مستمر"، "مستقر"، و قد نتج عن هذا الجمال المناسق في آخر الآيات تلاحمها بينها فكأنها كتلة واحدة فلا يشعر القارئ لها بأي تنافر مثل ما يمكن أن يحس به أثناء قراءة أي سجع من نظم البشر.

نجد كذلك في الآيتين الأخيرتين جناس تناقص بين "مستمر" و "مستقر"، و بينهما كذلك طبقا، فهما متعاكستان في معنى، فالأولى قالها كفار قريش، و الثانية هي رد إلهي عليهم، و في ذلك الرد تبكيت لهم إذ جاءهم كالرد المباشر الرادع على الهجوم المباغت، فجأءهم على نفس الوزن في الشكل، و لكن على العكس تماما في المضمون و جاء على شكل حكمة أو مثل سائر. و ها قد استقر الأمر و تحقق الوعد، و أنتصر الرسول صلى الله عليه و سلم، و هذا يؤكد أن بقية الإرهاصات الكونية في الآية ستتحقق لا محالة.

---

[1] انظر مثلا حديث الترميذي عند الصابوني، صفوة التفاسير، ج : 3 ، ص : 284.

[2] جيمس ميتشال ، الكون ص : 34 -35 Jemes Mitchel, L'Univers p

[3] F- Ziguel , Voyage à travers les astres - p : 402

[4] انظر منصور النبي، الكون- ص : 373.

خـــلـــــق الأرض

قال الله تعالى : ﴿قل انظروا ماذا في السموات و الأرض﴾ يونس 101.

بعد أن تحدثنا عن ماذا في السموات و كيف تحدث القرآن عن ذلك، نرجع الآن إلى ما في الأرض لنبحث كيف تحدث القرآن عنه، و نبدأ بخلق الأرض في بدايتها.

قال تعالى : ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾ الأنبياء 30.

و قال كذلك : ﴿ قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين و تجعلون له اندادا ذلك رب العالمين (9) و جعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها و قدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (10) ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للأرض إيتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين (11)﴾ فصلت.

أما قوله تعالى : " أو لم ير الذين كفروا..." فقد قال عنه ابن كثير : "المعنى : ألم يروا أن السموات و الأرض كانتا رتقا، أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض، متلاصقا متراكما بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه، فجعل السموات سبعا، و الأرض سبعا، و فصل بين السماء الدنيا و الأرض بالهواء، فأمطرت السماء و أنبتت الأرض.

و عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما. فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعالى فأخبرني بما قال لك. قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله. فقال ابن عباس : نعم كانت السموات رتقا لا تمطر، و كانت الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر، و فتق هذه بالنبات. فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر : الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتي في

القرآن علما، صدق، هكذا كانت. قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علما".

و قال سعيد بن جبير " بل كانت السماء و الأرض ملتزقين فلما رفع الله السماء و أبرز منها الأرض كان ذلك فتقها الذي ذكر الله في كتابه".

و قال الحسن و قتادة : " كانتا جميعا ففصل بينهما بهذا الهواء." [1]

و قال الإمام الطاهر بن عاشور : " الإستفهام في الآية إنكاري، توجه للإنكار على إهمالهم النظر... لأن إهمال النظر في المشاهدات الدالة على علم ما ينقذ علمه من التورط في العقائد الضالة حقيق بالإنكار ...

و الرتق : الإتصال و التلاصق بين أجزاء الشيء.

و الفتق : ضده و هو الإنفصال و التباعد بين الأجزاء.

و الإخبار عن السموات و الأرض بأنهما "رتق" إخبار بالمصدر للمبالغة في حصول الصفة.

ثم إن قوله "كانتا" يحتمل أن تكونا معا رتقا واحدا بأن تكون السموات و الأرض جسما ملتئما متصلا.

و إنما لم يقل نحو : فصارتا فتقا [أي على نفس الأسلوب السابق في التعبير] لأن الرتق متمكن منهما أشد التمكن - كما قلنا- ليستدل به على عظيم القدرة في فتقها، و لدلالة الفعل على الحدثان، و يجوز أن يكون معنى الجملة : أي كانت السموات و الأرض رتقا واحدا أي كانتا كتلة واحدة، ثم انفصلت السموات عن الأرض... و هذا كقوله تعالى : **" قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين..."** في سورة فصلت "[2]

و في هذه الآية قال ابن كثير : أن الأرض خلقت قبل السماء، و قد روي في ذلك أحاديث كثيرة بعضها مرسلة و أخرى موقوفة و لم يرفع واحدا منها إلى الرسول صلى الله

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 04 ، ص : 251-252.

[2] ابن عاشور ، التحرير و التنوير، ج: 17، ص :52-54 .

عليه و سلم، و أصح ما ذكره ما رواه البخاري عن ابن عباس : " خلق الأرض و ما فيها من شيء في أربعة أيام، و خلق السموات في يومين".[1]

و واضح في قول ابن عباس أنه لم يتحدث عن الترتيب، و لكن تحدث عن مدة الخلق في كل من السموات و الأرض، و قد سبق أن ذكرنا قول ابن عاشور أن البدأ بالحديث عن الأرض لأن آثاره أظهر للعيان، و هي في متناول الإنسان (*).

و يمكننا بالتالي أن نلخص مراحل حلق الأرض في مرحلتين :

أ- مرحلة الفتق : و فيها فصلت السماء عن الأرض بعدما كانتا رتقا.

ب- مرحلة إتمام الخلق : و فيها جعلت الرواسي على الأرض و تمت مباركتها و تقدير أقواتها .

"فتقريره أن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقتا مسألة جديرة بالتأمل كلما تقدمت النظريات الفلكية في محاولة تفسير الظواهر الكونية فحامت حول هذه الحقيقة التي أوردها القرآن الكريم منذ أكثر من أربع مئة و ألف عام." [2]

و من أشهر هذه النظريات "نظرية العالم الألماني كانط أن المجموعة الشمسية كانت عبارة عن سديم، ثم بدأ ينفصل عن بعضه إلى أن تكونت الكواكب منه، و منها الأرض، و قد جاء بعده العالم الفرنسي لابلاس فصاغ هذه النظرية بأسلوب رياضي."[3]

هذا ما في هذا النص من المعاني ، أما الموسيقى فإننا نجد فيه أمرا عجبا، فهي تجمع بين الضخامة و الفخامة و بين الرقة و العذوبة. الضخامة في هذه الهاءات المتتالية في الكلمات : "فيها"، "فوقها"، "فيها"، "فيها" ، "أقواتها"، "لها"، "كرها".

و الرقة في فواصل الآيات "العالمين"، "السائلين" ، "طائعين" و نرى أن هذا مناسب جدا لجو الآيات الذي هو جو الإستنكار الذي يناسبه رفع الصوت و ضخامته، و جو الدعوة الذي يتطلب اللين و الرفق، فحين يتحدث عن عظمة الخلق و استنكار الكفر بالخالق يستعمل

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 04 ، ص : 251-252.

[*] إرجع إلى موضوع "أطوار الكون".

[2] سيد قطب ، الظلال، مجلد :4، ص : 2370.

[3] حسب النبي ، الكون ، ص : 332، 334 بإختصار.

الألفاظ و الحروف الضخمة، و حين يدعو إلى الحق يستعمل الألفاظ و الحروف الرقيقة اللينة. و ذلك واضح لمن يتأمله.

فالإعجاز هنا متحقق في الشكل كما في المضمون، فالمضمون سام ورفيع ، والشكل جميل و رائع ، و الأعظم من كل ذلك التناسق و التكامل بينهما.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كـرويـــة الأرض

اعتقد كثير من الناس قديما أن الأرض مسطحة ! فهل تحدث القرآن عن هـذه القضية و كيف كان رأيه فيها، و كيف هي صورة الأرض فيه ؟

قال تعالى : ﴿ **يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل** ﴾ الزمـــر ، آ:5.

قال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة : " أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفـتران، كـل منهما يطـلب الآخـر طلبـا حثـيثا، كـقوله تبـارك و تعـالى : ﴿**يغشـى الليـل النهـار يطلبـه حـثيثا**﴾ [1]

أما الزمخشري فقد قال : " و التكوير : اللف و اللي، يقال : كار العمامة علـى رأسـه و كورها، و فيه أوجه، منها أن الليل و النهار خلفة، يذهب هذا، و يغشي مكانه هـذا، و إذا غشي مكانه فكأنما ألبسه و لف عليه كما يلف اللباس على اللابس..." [2]

و لعل هذا المعنى اللغوي للآية هو الذي جعل ابن باديس يقول في تفسـيره : " يكـور الليل على النهار بأن يحل محله في جـزء مـن الكـرة [يقصـد الأرض]، و جـزء الكـرة مكـور، فيكون النهار الحال مكورا بحكم تكور المحل، و هكذا الليل." [3]

و يزيد الشـعراوي هـذا المعنـى وضوحـا بـإبدال كلمـة يكـور بـأخرى فيقـول: "لمـاذا استخدم الله سبحانه كلمة "يكور"، و لم يقل :"يبسط الليـل علـى النهـار" ؟ و لم يقـل " ثـم يكور النهار على الليل" [بل قال "و يكور..."] ليدل على أنهما مكوران حول الكرة الأرضية في نفس الوقت"[4]

و يقـول رادا علـى مـن لا يـزال يعتقـد إلى اليـوم بانبسـاط الأرض :" ... إذا بحثنـا في القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليـه و سـلم، فإننـا نجـده يعـبر عـن هـذه القضيـة التعبـير

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 06 ، ص : 49 ، و الآية من سورة الأعراف رقم 54.

[2] جار الله الزمخشري ،الكشاف، ج : 04 ، ص : 112.

[3] مجلة الأصالة ، 1981، ج : 1، ص : 261 ، أحمد حماني(تفسير ابن باديس و مناهجه).

[4] الشعراوي ، المحتار في تفسير القرآن ، ج :1 ، ص : 35.

المناسب و الدقيق الذي لا يلغي فكر المتلقين للقرآن حين النزول، و لا فكر المتلقين له في القرن العشرين، فيقول: " و الأرض مددناها" و يعتقد البعض أن معنى ذلك أنها مسطحة، فالأرض إذا كانت مسطحة لا تخرج عن أشياء : إما مربعة أو مستطيلة أو متوازية، و إما شبه منحرف أو شكل مختلف الأضلاع، و ما دامت مسطحة فلا بد أن يكون لها حيز، فإذا جئت في آخر السطح... لا بد أن تصل إلى حافة ... لكن الله يقول " مددناها" و معنى ذلك : أينما ذهبت فوق الأرض تجدها ممدودة أمامك... أي مبسوطة أمامك... و هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية"[1]

و لنا أن نشير هنا أن الإنسان لم يدرك فكرة كروية الأرض إدراكا تجريبيا إلا مع رحلة ماجلان عام 1520 الذي قام بأول دورة حول الأرض، ثم كانت المعاينة البصرية لكروية الأرض سنة 1961م من طرف الملاح السفياتي يوري جارجرين من ارتفاع 327 كلم عن سطح الأرض [*]

أما القرآن الكريم فقد عبر عن الفكرة و صورها ابدع تصوير و أوضحه و بني عليه معاني إيمانيه رفيعة تتمثل في فكرة توحيد الخالق تعالى، و هذا منذ عشرات القرون قبل إدراك الإنسان لهذه الحقيقة.

و من شدة وضوح هذا التصوير القرآني حتى قال فيه سيد قطب : " و هو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسرا على الإلتفات إلى ما كشف حديثا عن كروية الأرض، و مع أنني في هذه الظلال حريص على أن لا أحمل القرآن على هذه النظريات التي يكشفها الإنسان لأنها نظريات تخطيء و تصيب، و تثبت اليوم و تبطل غدا، و القرآن حق ثابت يحمل آية صدقه في ذاته، و لا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما يكشفه البشر الضعاف المهازيل.

مع هذا الحرص فإن هذا التعبير يقسرني قسرا على النظر في موضوع كروية الأرض، فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض : فالأرض كروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس، فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء و يكون

---

[1] نفس المصدر ج : 1، ص : 32-33.

[*] انظر تطور الفكرة عند الجميلي، الإعجاز الكوني في القرآن – ص : 25.

وكذلك - Thuan - La Mélodie Secrète - p : 18

- James Mitchel - L'Univers - p : 116

نهارا، و لكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور، و كلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار، و هذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكورا و الليل يتبعه مكورا كذلك، و بعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل، و هكذا في حركة دائبة " يكور الليل على النهار، و يكور النهار على الليل" و اللفظ يرسم الشكل، و يحدد الوضع، و يعين نوع طبيعة الأرض و حركتها. و كروية الأرض و دورانها يفسران هذا التعبير تفسيرا أدق من أي تفسير آخر لا يستصحب هذه النظرية " [1]

هذا و لقد تناول بعض الدارسين المحدثين آية أخرى من القرآن اعتبروها من الآيات الكونية التي تزيد هذا المعنى تفصيلا هي قوله تعالى : " ... **أو لم يروا أنا ناتي الأرض ننقصها من أطرافها** " [2]

فقالوا : " أنها تدل على شكل الأرض المفلطح المنقوص من جهة القطبين" [3]

و لعل في هذا بعض المبالغة لأن الآية ذكرت "أطرافها" و لم تقل "طرفيها" ثم إن الفعل "ننقصها" جاء في زمن المضارع الذي يدل على الحال و الإستقبال بينما هذا الإنقاص من جهة القطبين قد كان و تم منذ زمن بعيد جدا.

و قد فسر الزمخشري : " ننقصها من أطرافها" : بما يفتح على المسلمين من بلادهم، ننقص دار الحرب و نزيد في دار الإسلام" [4]

و أخيرا فإن من جمال الأسلوب في الآية استعمال الإستعارة في كلمة "يكور" التي هي في الأصل تستعمل للشيء المادي الذي يقبل اللف و اللي كالعمامة مثلا، حيث استعير هذا اللفظ لليل و النهار لوجه المشابهة مع ما يكون أصلا فيه حركة لف و دوران حول الكرة، و في ذلك معنى خفي مدخر لآخر هذه الأمة، و قد سبق تفصيله آنفا.

---

[1] سيد قطب ، الظلال، مجلد :5، ص : 3038.

[2] سورة: الرعد، آ : 41.

[3] الجميلي ، الإعجاز العلمي في القرآن، ص : 25 – 26.

[4] جار الله الزمخشري ، الكشاف، ح : 02، ص : 534-535.

و كذلك استعمال الطباق بين "الليل" و "النهار"، و الطباق أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل كالبياض و السواد، و الليل و النهار. " [1]

و كذلك استعمال المقابلة في "يكور الليل" مقابل "يكور النهار" و المقابلة ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته و يخالفه في بعضها " [2] كل هذا زاد المعنى جمالا و جلالا و وضوحا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] الزركشي ، البرهان ، ج : 03، ص : 455.

[2] نفس المصدر ،ج : 03، ص : 458.

دوران الأرض

اعتقد الفلاسفة اليونان و رجال الدين المسيحي أن الإنسان و الأرض التي يعيش عليها هي مركز الكون و أنها ثابتة ، و كل شيء يدور حولها !

فهل يوافق القرآن هذه الفكرة ؟ و ما رأيه في هذه القضية ؟

قال تعالى : ﴿ **و ترى الجبال تحسبها جامدة، و هي تمر مر السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء**﴾ النحل، آ:88.

قال ابن كثير : " أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، و هي تمر مر السحاب، أي تزول عن مكانها" [1]

و قال الزمخشري : "**جامدة**" من جمد في مكانه إذ لم يبرح "**و هي تمر**" مرا حثيثا كما يمر السحاب و هكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذ تحركت لا تكاد تتبين حركتها. كما قال النابغة في صفة الجيش :

بأرعَن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج و الركاب تَهملج [2]

و يعلق الإمام الطاهر بن عاشور على مثل هذا الفهم إذ يقول : " و ليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة، و لا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب، و لا توجيه التذييل بقوله تعالى : " **صنع الله الذي أتقن كل شيء**" ."[3]

فهو بهذا يرد على من قال باختصاص هذه الآية باليوم الآخر مشبهين لها بقوله

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 05 ، ص : 157.

[2] الزمخشري ،الكشاف ، ج : 03، ص : 388.

[3] ابن عاشور، التحرير و التنوير ، ج : 14 ، ص : 48 .

تعالى:"**و تكون الجبال كالعهن المنفوش**"[1] و قوله : "**و يوم نسير الجبال**"[2] و قوله عن الجبال : "**فقل ينسفها ربي نسفا**"[3] إذ يعتبر أن الوصف مختلف تماما بين هذه الآية وتلك. و يؤكد هذا الفهم بالتذييل الوارد في الآية " **صنع الله الذي أتقن كل شيء**"، " المقتضي أنه اعتبار بحالة نظامها المألوف لا بحالة انخرام النظام، لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن، و لكنه يوصف بالأمر العظيم، أو نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت التصور." [4]

لذلك فهو يرى أن " لهذه الآية وضع دقيق، و معنى بالتأمل خليق[ففيها] استدعاء لأهل العلم و الحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة، و بديع الصنعة، و هذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي، و يدركها أهل العلم، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي... فإن الناس كانوا يحسبون أن الشمس تدور حول الأرض فينشأ من دورانها نظام الليل و النهار، و يحسبون الأرض ساكنة، و اهتدى بعض علماء اليونان أن الأرض هي التي تدور حول الشمس... و ما تحققت هذه النظرية إلا في القرن السابع عشر بواسطة الرياضي (غاليلي)... و إنما ناط دلالة تحرك الأرض بتحرك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية، فظهور تحرك ظلالها متناقصة قبل الزوال إلى منتهى نقصها ثم أخذه في الزيادة بعد الزوال، و مشاهدة تحرك تلك الظلال تركا يحاكي دبيب النمل أشد وضوحا للراصد...

و لهذا الإعتبار غير أسلوب الإستدلال في قوله [قبل ذلك] " **ألم يروا أنا جعلنا الليل يسكنوا فيه**" فجعل هنا بطريق الخطاب " **و ترى الجبال**" ، و الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم تعليما له لمعنى يدرك هو كُنهه، و لذلك خص الخطاب به و لم يعمم كما عمم من قبل...و ادخار لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة الدقيقة... حتى إذا كشف العلم عنه نقابه وجد أهل القرآن ذلك حقا في كتابه، فاستلوا سيف الحجة به و كان في قرابه."[5]

---

[1] سورة القارعة، الآية : 5.

[2] سورة الكهف، الآية : 47.

[3] سورة طه، الآية : 105.

[4] ابن عاشور، التحرير و التنوير ، ج: 14 ، ص : 50.

[5] نفس المصدر ، ج : 14 ، ص : 5049.

و تؤكد الدكتورة نعمت صدقي هذا الفهم إذ تقول : " معنى **جامدة** أي ساكنة لا تتحرك، و "**المر**" : المضي في السير و الإبتعاد. و بما أن الجبال جزء من الأرض ثابت فوقها، فتكون الآية قد صرحت بأن الأرض و ما عليها تتحرك في الفضاء." [1]

و زاد الإمام الشعراوي نكتة أخرى فقال : " إن الآية قالت : **تحسبها**، و ليس في يوم القيامة حسبان، ففيها ترى الحقائق، ترى فيها كل شيء عين اليقين " **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**"، كما عبرت الآية بقوله تعالى : " مر السحاب" و هذا اختيار دقيق للألفاظ فالسحاب لا يتحرك بنفسه، بل يتحرك بحركة الهواء الذي يحمله، و كذلك الجبال لا تتحرك بنفسها بل تتحرك بحركة الأرض التي تحملها" [2]

و هو" تشبيه مؤكد حذفت أداة تشبيهه " [3] و وجه الشبه كذلك، و نرى أن أوجه الشبه قد حذفت للإعتبارات المذكورة أعلاه، إذ " لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة" [4] حين نزول القرآن.

و على ذكر غاليلي نشير إلى أن الأمر كان قبله و إنما اشتهر هو بقوله "أنها لتدور" أي الأرض. و قدصرح من قبله بحركة الأرض **نيكولاس كوبرنيك** في كتابه "**ثورة الكرات السماوية**" سنة 1543م و خوفا من غضب الكنيسة فقد جعل في أول كتابه أنه لا يعتقد بحركة الأرض و إنما ذلك مجرد فرضية رياضية لتفسير حركة الكواكب فقط !!

و لما جاء بعده **جيوردانو برونو** صرح بحركة الأرض فأتهم بالزندقة و الهرطقة و حكم عليه بالموت حرقا سنة 1600 م !! [5]

و لما جاء غاليلي بعده في 1640م و قال ما قال حكم عليه بالإقامة الجبرية !! ولقد كانت كل هذه الأحكام تصدر باسم الإنجيل ، و للقارئ أن يقارن بين كتاب معجز تكفل الله بحفظه و بين كتاب عمل فيه التحريف ما عمل.

---

[1] د. نعمت صدقي ، معجزة القرآن ، ص : 27 ،و انظر كذلك: الجمليلي ، الإعجاز العلمي ، ص : 79.

[2] الشعراوي – المختار من تفسير القرآن – ج : 01 ، ص : 37.

[3] السيوطي – الإتقان في علوم القرآن – ج : 2 – ص: 49.

[4] ابن عاشور – التحرير و التنوير – ج : 14 ، ص : 49.

[5] توان – التناغم السري – ص : 29–33. Thuan - La Mélodie Secrète p ..

و أخيرا فقد جاءت الآية الكريمة في شكل مقابلة بين صورتين، صورة متخيلة في ذهن السامع، و هي صورة هذه الجبال الرواسي الشامخة التي لا يستطيع أن يحركها شيء، بل إنها لقادرة على شد النجوم و منعها من الحركة إذا ربطت إليها كما قال أمرؤ القيس :

فيالك من ليل كأن نجومه ❋ بكل مغار الفتل شدت بيذبل[1]

و من جهة أخرى صورة حقيقية هائلة هي أن هذه الجبال ما هي إلا مخلوقات بسيطة كسائر المخلوقات، فهي في حركة دائبة مستمرة. و كل ما طرأت عليه الحركة فهو لا يلبث أن يزول و يذهب و يفنى.

ففي هذه الآية – إذا – ثورةٌ على الفكر الوثني الجاهلي الذي يخاف بل و يقدس مظاهر الطبيعة، و في الآية إنشاء لفكر جديد يعتبر كل مخلوق في هذا الكون عبدا لله تعالى. و كلما كان هذا المخلوق عظيما كان دليلا على عظمة الخالق تعالى الذي أتقن كل شيء.

---

[1] د. نوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ،بيروت، لبنان ،ط:2، 1404-1984 ص:67.

إنـــزال الحـــديـــد

كثيرا ما تساءل الإنسان عن مصدر الأشياء التي فوق الأرض، و من ضمنهـا المعـادن. و تأكد هذا السؤال خصوصا في العصر الحديث فماذا كانت إجابة القرآن عن هذا التساؤل ؟

قال تعالى : " **و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد**" الحديد آ : 25.

قال ابن كثير : " أنزلنا" أي جعلنا، و روى ابن جرير و ابن أبي حاتم عـن ابـن عبـاس أنه قال : ثلاثة أنزلت مع آدم، السندان، و الكلابتان و المطرقة" [1]

و قال أبو حيان في البحر : " عبر تعالى عن إيجاده بـالإنزال كمـا قـال : " **و أنزل لكـم مـن الأنعام ثمانية أزواج**" لأن الأوامر لما كانت تُلقى من السماء، جعل الكـل نـزولا منهـا. و أراد بالحديد جنسه من المعادن، قاله الجمهور" [2]

و على هذا فهو يريد أن الذي أُنزل هو الأمر بإيجـاد الحديـد و ليـس الحديـد ذاتـه، و على هذا فهو إيجاز بالحذف أي : أنه قد حذف لفظ الأمر إذ أن المحصلة تكون : "... و أنزلنا الأمر بإيجاد الحديد"

و يرى الطاهر بن عاشـور أن في التعبـير هنـا اسـتعارة إذ يقـول : "و أنـزال الحديـد : مستعار لخلق معدنه... أي خلق لأجلكم... و يجوز أن يراد بالحديد خصوص السلاح المتخـذ منه من سيوف و أسنة و نبل، فيكون إنزالـه مستعارا لمجـرد إلهـام صنعـه، فعلـى الوجـه الأول يكون ضمير " فيه بأس شديد" عائدا إلى الحديد بإعتبار إعداده للبأس، فكأن البـأس مظـروف فيه.

و لكن القاعدة البلاغية تقول أن الأصل في الكـلام الحقيقـة، إلا إذا اقـترنت بـه قرينـة تنقله إلى المجاز، و لعل المفسرين قد استعظموا نزول الحديد من السماء و رأوا ذلك قرينة كافية لصرف المعنى إلى المجاز الذي هو عندهم : الإيجاد و الخلق.

---

[1] ابن كثيـر ،تفسـير القرآن ، ج : 6 ، ص : 332.

[2] الصابوني ، صفـوة التفاسير ، ج : 03 ، ص : 329 -330.

إلا أن العلوم الكونية المعاصرة تستبعد هـذا الفهـم، فـالحديد حسـب الفيزيـاء الفلكيـة منزل من السماء كما عبرت الآية عن ذلك صراحة، و لا يمكن أن يكون مخلوقا على الأرض، و بالتالي فلا حاجة لإيراد المعنى المجازي هنا.

و ملخص ما يقوله الفيزيائيون الفلكيون أن أصل العناصر هو الهيدروجين المتكون مـن بروتون واحد و إلكـترون واحـد. و إذا حـدث و ان اجتمعـت أربـع ذرات منـه في ضغـط و حرارة هائلين فإن ذلك يعطينا غاز الهليوم محررا طاقة حرارية كبيرة جدا و هـذا مـا يحـدث في الشمس و هو الذي سبق الحديث عنه آنفا حـين حديثنـا عنهـا... و إذا توفـرت لدينـا ثـلاث ذرات "هيليوم 4" في ضغط و حرارة هائلين كذلك تكون لنا "الكاربون 12" و هكـذا إلى أن يتكون لنا أشد عناصر الطبيعة بأسا :" الحديد 56".

و كل هذا لا يمكن أن يحدث على الأرض و لا في باطنها و لكنه يحدث على مستوى النجوم و الشموس الضخمـة في الفضـاء الـتي تسـتطيع أن توفـر هـذه الحـرارة و هـذا الضغـط الهائلين، ثم مع انفجار هـذه النجـوم تتنـاثر مكوناتـها في الفضـاء ثـم يصـلنا على الأرض نصيبنا منـها .(*)

و على هذا فإن البأس الشديد في الحديد لا يقتصر علـى هـذا البـأس الظـاهري لـه، و لكن كذلك البأس الموجود في ذراته التي تحمل طاقة هائلة لا يمكن تصورها.

و مهما يكن هذا الفهم الحقيقي للفظة فإنه لا يلغي فهم سلفنا المحاذي لها، و هـم لهـم عذرهم في ذلك من جهة. و من جهة أخرى فإنهم لم يصرحوا بـأن معنـى الخلـق قـد تم علـى الأرض، فقالوا أن " أنزل" بمعنى خلق و أوجد و لكن لم يحددوا مكان هذا الخلق و الإيجـاد و لعل هذا من إلهام الله لهم في فهم كتابه و تفسيره، و إن المؤمن لينظر بنور الله تعالى.

(*) انظر التفاصيل عند : حسب النبي ، الكـون ، ص : 123-124.

و كذلك : توان ، التناغم السري ، ص : Thuan , La Mélodie Secrète , p : 213-207

و كذلك : ممدوح عبد الغفور ، الحديد و بأسه الشديد من خلال القرآن الكريم ، مجلة : الإعجاز العدد : 01 صفر 1416 هـ ، يوليو 1995، ص : 18-19.

و من جمال التعبير في الآية الجناس الناقص بين "حديد" و "شديد" فإلى جانب النغمة الموسيقية التي نحسها حين سماع الآية فإننا نشعر بهذا التناسب بين اللفظتين من ناحية المعنى فيربط في الذهن بين "الشدة" و بين" الحديد " بإعتبارهما اللفظين المتميزين في السياق من حيث الموسيقى.فتصبح هذه الشدة كأنها مقتصرة على هذا الحديد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

الإعجاز البياني في وصف مصير الكون

1- انطماس النجوم.

2- طي السماء و انهيار الكون.

3- عودة السموات و الأرض.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنطـمـاس النـجـوم

قد ينظر أحدنا إلى السماء في ليلة صافية لا قمر فيها، فتبهره أنوار نجومها المتلألئة كالدرر، و يستبد به و يأسره جمالها... لكن المؤمن دائما يتساءل عن مصير الأشياء، فهل هذه النجوم دائمة، و هل سيبقى بريقها يلمع بغير نهاية إلى الأزل ؟

نجد في كتاب الله تعالى قوله : ﴿ **فإذا نجوم طمست**﴾ المرسلات، آ: 8.

و نجد قوله : ﴿**و إذا الشمس كورت، و إذا النجوم انكدرت**﴾ التكوير ، آ:21.

و قد قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى : " إذا النجوم طمست" :" أي ذهب ضوؤها ." [1]

و قال الزمخشري :" محيت و محقت، و قيل : ذهب بنورها و محقت ذواتها، موافق لقوله : " انتثرت" و " انكدرت."[2]

و قال ابن عاشور : "طمس النجوم : زوال نورها." [3]

أما قوله تعالى : " إذا الشمس كورت" فقال عنه ابن كثير : قال علي ابن طلحة عن ابن عباس : " يعني أظلمت" ، و قال العوفي عنه : " ذهبت" ، و قال مجاهد : "اضمحلت و ذهبت" و كذا قال الضحاك.

و قال قتادة : " ذهب ضوؤها" و قال سعيد بن جبير : "غورت" و قال ابن جرير : " و الصواب من القول عندنا أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، و منه تكوير العمامة، و جمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى : "كورت" جمع بعضها إلى

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 07 ، ص : 105.

[2] الزمخشري ، الكشاف ، ج : 4 ، ص : 678.

[3] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج : 29 ، ص : 424..

بعض ثم لفت"[1] و قوله تعالى " **و إذا النجوم انكدرت**" أي : و إذا النجوم تساقطت من مواضعها و تناثرت."[2]

و قال ابن عاشور : "**إذا النجوم انكدرت**" أي حصل للنجوم انكدار، و الكدرة : ضد الصفاء كتغير لون الماء و نحوه، و فسر الإنكدار بالتساقط و الإنقضاض، و معنى تساقطها : تساقط بعضها على بعض و اصدامها بسبب اختلال نظام الجاذبية الذي جعل الله لامساكها إلى أمد معلوم." [3]

فقد جاءت هذه الآيات الكريمات لترسم لنا " مشهد الإنقلاب العام لكل معهود، و الثورة الشاملة لكل موجود، الإنقلاب الذي يشمل الأجرام السموية و الأرضية" [4] فهي "صورة حادة الملامح عنيفة المشاهد، شديدة الإيقاع كأنها سياط من نار، و هي تقف القلب وقفة"[5] المشدوه المرعوب المرهوب.

و هي توحي بانفراط عقد الكون المنظور انفراطا مصحوبا بقرقعة و دوي انفجارات هائلة لا عهد للناس بها فيما يرونه من الأحداث الصغيرة التي يستهولونها و يروعون بها من أمثال الزلازل و البراكين و الصواعق... و ما إليها... فالهول الذي ينشأ من تفجير هذا الكون و تناثره على هذا النحو أكبر من التصور البشري على الإطلاق."[6]

و هذه الأحداث الكونية الضخام تشير بجملتها إلى أن هذا الكون الذي نعهده، الكون المنسق و الجميل الموزون الحركة، و المضبوط النسبة، المتين الصنعة، المبني بأيد و إحكام، أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه، و تتناثر أجزاؤه، و تذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها، و ينتهي أجله المقدر حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون و من الحياة و من الحقائق غير ما عهدت نهائيا في الكون المعهود.

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 07 ، ص : 120.

[2] الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج : 9 ، ص : 524.

[3] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج : 30، ص : 141-142.

[4] سيد قطب، الضلال - المجلد : 6 ، ص : 3837.

[5] نفس المصدر ، مجلد : 6 ، ص : 3789.

[6] نفس المصدر ، مجلد : 6 ، ص : 3792.

[5] نفس المصدر ، مجلد : 6 ، ص : 3837.

"و هذا ما يستهدف [القرآن الكريم] إقراره في المشاعر و القلوب كي تنفصل من هذه المظاهر الزائلة مهما بدت لها ثابتة، و تتصل بالحقيقة الباقية.. حقيقة الله الذي لا يحول و لا يزول حين يحول كل شيء من الحوادث و يزول" [1]

و إذا كان القرآن قد تحدث عن تكوير الشمس و انطماس النجوم منذ زمن بعيد فما أدرك الإنسان صدق ذلك إلا في أيامنا المتأخرة هذه ، فقد سبق و أن تحدثنا عن طبيعة الشمس و سائر النجوم فقلنا أنها عبارة عن مصابيح توقد بغاز الهيدروجين الذي يتفاعل مع نفسه مشكلا غاز الهيليوم و محررا طاقة نووية هائلة تصلنا نحن على شكل طاقة ضوئية... لكن مع مرور الوقت ينفذ هذا الهيدروجين أو يقل فتقل حرارة الشمس فتنعكس الشمس على بعضها بفعل جاذبيتها فترتفع حرارتها مرة أخرى بفعل هذا الإنكماش و الضغط الناتج عنه، فتعود إلى الإنفجار فيتضخم حجمها لتملأ السماء بلون أحمر لعل هذا هو قوله تعالى " **فكانت وردة كالدهان**" [2] ثم تعود فتبرد فتنكمش و يخبو نورها، و كذلك الأمر بالنسبة لباقي النجوم[3]

هذا من جانب المعنى أما من ناحية اللفظ فنلاحظ الإبتداء بلفظة "إذا" التي تتكرر كل مرة مع ذكر كل حادثة عظيمة يوم القيامة و هو " افتتاح مشوق لأن "إذا" ظرف يستدعي متعلقا، لأنه أيضا شرط يؤذن بذكر جواب بعده. فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال التمكن، و خاصة بالأطناب بتكرير كلمة " إذا"، و هذا إطناب اقتضاه قصد التهويل. و قد دخلت "إذا"، هنا على إسم و ليس على فعل، و هذا الأسلوب لقصد الإهتمام بذكر ما أسند إليها "[4] و لعل الأمر كان كذلك لأن الناظر الآن يرى النجوم و يرى الشمس أما الإنكدار و الإنطماس و التكوير فهو أمر يحدث في المستقبل لذلك أخر ذكره في الجملة، فالمهم الآن هو أن ينظر الإنسان إلى هذه النجوم و هذه الشمس و يتأمل مصيرها، و يتساءل عنه إلى أن يدرك أنها تدخل كغيرها تحت قوله تعالى " **كل من عليها فان**" الرحمن آ

---

[1] نفس المصدر ، مجلد : 6 ، ص : 3837.

[2] سورة الرحمن، آ :37.

[3] حسب النبي ، الكون... ، 380-389 .

و أنظر كذلك: Serge Brunier - L'architecture de l'Univer ,p 62-67 -

[4] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج : 30، ص : 140-141.

أما الأفعال فقد جاءت في صيغة الماضي و هي بمعنى الإستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط[3]

و نلاحظ الإستعارة في لفظة "كورت" فقد استعيرت من العمامة لأنها لازمة لها و نسبت إلى الشمس للدلالة على ما سيحدث لها حين فناء الدنيا من لف و طي لها، و في هذا إشارة إلى سهولة هذا الأمر على الله تعالى فهو عنده يسير مثلما أن طي العمامة و لفها أمر يسير على الإنسان و لله المثل الأعلى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[3] نفس المصدر ، ج : 30 ، ص : 141.

طي السماء وانهيار الكون

كم تساءل الإنسان عن الهدف من خلقه، وعن مصيره، وكم تساءل عن مصير هذا الكون من حوله، فكيف أجابه القرآن عن سؤاله المحير هذا ؟

قال الله تعالى:﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب. كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا . إنا كنا فاعلين ﴾ الأنبياء ، آ :104.

وقال كذلك: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه﴾ الزمر، آ:67.

وقال كذلك: ﴿ إليه مرجعكم جميعا، وعد الله حقا . إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ يونس، آ:4.

وقال: ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ الإنفطار، آ:2.

وقال: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ القصص، آ: 88.

قال ابن عباس في تفسيره للآية الأولى: "يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليقة، والأراضي السبع بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كله بيمينه، يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة".

أما "**السجل**" فقد روي عن ابن عباس وعلي بن أبي طلحة و العوفي و مجاهد وقتادة وابن جرير أنه هو: الصحيفة.

و بعد تحقيق طويل قال ابن كثير : "...فعلى هذا يكون معنى الكلام : يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب، أي على الكتاب بمعنى : المكتوب.

أما قوله تعالى : " كما بدأنا أول خلق نعيده" قال عنه ابن عباس: يهلك كل شيئ

كما كان أول مرة "[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى : " **و السماوات مطويات بيمينه**" نقل ابن كثير ماروا ه الإمام مسلم عن عبيد ا لله بن عمر أنه نظر إلى عبد ا لله بن عمر كيف يحكي النبي صلى ا لله عليه و سلم : يأخذ ا لله تبارك و تعالى سمواته وأرضيه بيده. ويقول : أنا الملك، ويقبض أصابعه ويبسطها، أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء حتى إني لأقول : أساقط هو برسول ا لله صلى ا لله عليه و سلم"[1] ؟!.

وقال الزمخشري : "الكتاب : أصله المصدر كالبناء، ثم يوقع على المكتوب ...والمعنى: نعيد أول الخلق كما كما بدأناه، تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة على السواء. فإن قلت : وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت : أوله إيجاده عن العدم، فكما أوجده أولا عن عدم : يعيده ثانيا عن عدم. فإن قلت : مابال "الخلق" منكرا؟ قلت هو كقولك أول رجل جاءني تريد أول الرجال، ولكنك وحدته و نكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى "أول الخلق": أول الخلق بمعنى : أول الخلائق، لأن الخلق مصدر لايجمع..."**وعدًا**" مصدر مؤكد، لأنه قوله "**نعيده**" عدة للإعادة. "**إنا كنا فاعلين**" أي قادرين على أن نفعل ذلك[2] .

أما ما في هذه الآية من النظم فيقول عنه الإمام الطاهر بن عاشور: "أصل الجملة هو : نعيد الخلق كما بدأنا أول خلق، يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعدا علينا. وقد رتب نظم الجملة على التقديم و التأخير لأغراض بليغة، فحول النظمَ فقدم الظرف بادئ ذي بدء للتشويق إلى متعلقة، ولما في الجملة التي أضيف إليها الظرف من الغرابة و الطباق، إذ جعل ابتداء خلق جديد و هو البعث مؤقتا بوقت نقض خلق قديم، وهو طي السماء، وقدم "**كما بدأنا أول خلق**" وهو حال من الضمير المنصوب في "**نعيده**" [أي قدم الحال على ماهومتعلق بها] للتعجيل بإيراد الدليل قبل الدعوى [التي هي القيامة] لتتمكن في النفس فضل تمكن، وكل ذلك وجوه للإهتمام بتحقيق البحث ووقوعه، وعقب ذلك بمايفيد تحقق حصول البعث من

---

[1] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، ج: 4، ص: 276 – 277 .

[1] نفس المصدر السابق، ج،06، ص: 67.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج: 3، ص:138.

كونه وعدًا على الله بتضمين الوعد معنى الإيجاب [أي واجب الحدوث]، فعدي بحرف على في قوله "وعدا علينا" أي حقا واجبا.

وجملة "إنا كنا فاعلين مؤكدة بحرف التوكيد لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر قدرة الله لأنهم لما نفوا البعث بعلة تعذر إعادة الأجسام بعد فنائها فقد لزمهم إحالة في جانب قدرة الله.

و المراد بقوله: "**فاعلين**" أنه الفاعل لما وعد به، أي القادر، و المعنى: إنا كنا قادرين على ذلك.

وفي ذكر فعل الكون [أي الفعل الماضي "كان"] إفادة أن قدرته قد تحققت بما دل عليه دليله قوله : " **كما بدأنا أول خلق نعيده** ".

والطي : رد بعض أجزاء الجسم على بعضه الآخر، وضده: النشر. و اللام في قوله: "**للكتاب**" لتقوية العامل، فهي داخلة على مفعوله "**طي**" [أي كان من الممكن أن يقول: كطي السجل الكتابَ]. وهذا مظهر من مظاهر انفراط النظام الحالي [للكون].

وظاهر ماأفاده الكاف من التشبيه في قوله تعالى: "**كما بدأنا أول خلق نعيده**" أن إعادة الأجسام شبهت بابتداء خلقها، ووجه الشبه هو إمكان كليهما و القدرة عليهما، وهو الذي سيق له الكلام" [1].

فهذه الآية الكريمة إذا قد جاءت لتصور لنا نهاية الكون المشهود تصويرا عظيما عنيفا. فبعد أن رأينا في الفصل الأول ميلاد هذا الكون، ثم رأينا في الفصل الثاني حياة هذا الكون بمختلف مظاهرها البديعة، هاهو ذا العرض يتوقف فجأة، والستار ينزل بغتة، بل و المسرح العظيم كله ينهار على من فيه من شخوص كانت تمثل أدوارا بديعة ، بل و ينهار كذلك على النظارة والمشاهدين ، "فإذا السماء مطوية كما يطوي خازن الصحائف صحائفه، وقد قُضي الأمر وانتهى العرض، وطوي الكون الذي كان يألفه الإنسان..وإذا عالم جديد و كون جديد"[2] "**كما بدأنا أول خلق نعيده**".."**وعدا علينا، إنا كنا فاعلين**".

ونفس الصورة الهائلة نجدها في سورة الزمر: "**والسماوات مطويات بيمينه**".

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج:17، ص:157-160.

[2] سيد قطب، الظلال، مجلد: 4 ، ص: 2399.

قال الزمخشري في تفسيره لها: "والغرض من هـذا الكـلام إذا أخذتـه كمـا هـو بجملتـه ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله...والمراد بالأرض: الأرضون السبع، يشـهد لذلك شاهدان: قوله "**جميعا**" وقوله : " **والسماوات**"، ولأن الموضع موضـع تفخيـم وتعظيـم، فهو مقتض للمبالغة، ومع القصد إلى الجمع، وتأكيده بـ"جميع" [فقد] أتبع "جميع" مؤكدَهُ قبـل مجيئ الخبر [**قبضته**] لـيُعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لايقع عـن أرض واحـدة، ولكـن عـن الأراضـي كلهـن [أي أنـه لم يقـل: "والأرض قبضتـه جميعـا" لأن في ذلـك إيهـام بـالإقلال في المعنى].

و"القبضة" : المرة من القبض "**فقبضت قبضة من أثر الرسول**"[1] و"القُبضـة" : بـالضم المقدار من المقبوض بالكف ، ويقال أيضا : أعطني قبضة من كذا: تريد معنـى القبضـة تسـمية بالمصدر، وكلا المعنيين محتمل ، والمعنى: والارضون جميعا قبضته، يقبضهن قبضة واحدة، يعني أن الأرضيين مع عظمهن وبسطتهن لايبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته، كأنه يقبضهـا قبضـة بكف واحدة...

"**مطويات**" من الطي الذي هو ضد النشر، كما قال تعالى:" **يوم نطوي السـماءكطي السجل للكتاب**" وعادة طاوي السجل ان يطويـه بيمينـه وقيـل "**قبضتـه** " ملكـه بـلا مدافـع ولامنازع. و"**بيمينه**"، بقـدرته. وقيـل :"**مطويات بيميـنه**" مفنيـات بقسـمه لانـه أقسـم أن يفنـيها ." [2]

ويؤكد هذا الفهم لهذه الصورة الكونية الشيخ ابن عاشور إذ يقـول " **القُبضـة** : بفتـح القاف، المرة من القبض، و الإخبار عن الأرض بهذا المصدر الذي هو بمعنى المفعـول، للمبالغـة في الإتصاف بالمعنى المصدري كالخلق بالنسبة للمخلوق، و إنما صيغ لها وزن المرة تحقيرا لها في جانب عظمة ملك الله تعالى. و إنما لم يجأ بها مضمومـة القـاف بمعنـى الشـيء المقبـوض لئـلا تفوت المبالغة في الإتصاف و الدلالة على التحقير، فالقبضة مستعارة للتناول استعارة تصريحية، و القبضة تدل على التمكن من المقبوض، و أن المقبوض لا تصرف له و لا تحرك.

---

[1] سورة طه، آ:96.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج:4،ص:142-144.

و طي السموات، استعارة مكنية لإختلال أبعاد أجرامها. و اليمين : كناية عن القدرة، لأن العمل يكون باليد اليمين. و المقصود من هاتين الجملتين تمثيل عظمة الله تعالى بحال من أخذ الأرض في قبضته، و من كانت السموات مطويات بيمينه، تشبيه المعقول بالمتخيل، و هي تمثيلية تنحل أجزاؤها إلى استعارتين " [1]

فهذه إذن - كما يقول سيد قطب - "طريقة التصوير القرآنية التي تقرب للبشر الحقائق الكلية في صورة جزئية، يتصورها إدراكهم المحدود ... و كل ما يرد في القرآن و في الحديث من هذه الصور و المشاهد، إنما هو تقريب للحقائق التي لا يملك البشر إدراكها بغير أن توضع لهم في تعبير يدركونه، و في صورة يتصورونها، و منه هذا التصوير لجانب من حقيقة القدرة المطلقة التي لا تتقيد بشكل، و لا تتحيز في حيز و لا تتحدد بحدود" [2]

و مهما يكن فإن الإنسان بتطور دراساته الكونية بدأ يدرك جانبا من هذه الحقائق العظمى، فقد تأكد للإنسان - اليوم - بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الكون آيل إلى الفناء، و هذا خصوصا مع إدراكه أن طاقة الكون الحرارية في تناقص مستمر، و لا بد أن يأتي يوم تفنى فيه هذه الطاقة فناء تاما، فيتلاشى هذا الكون و يندثر، و هذا ما يسمى بالقانون الثاني في علم الديناميكا الحرارية [*]

ثم مع ظهور فكرة الإنفجار الأعظم و توسع الكون، تساءل العلماء هل هذا التوسع دائم أم مؤقت؟ و أغلب الظن عندهم أن هذا التوسع لا بد له من نهاية يعود فيها الكون إلى الإنكماش على نفسه إلى أن ينتهي بانهيار أعظم يعود فيها الكون إلى حالته الأولى التي ولد منها [3] " **كما بدأنا أول خلق نعيده**"

و إن من مظاهر هذا الإنهيار كما يقول هؤلاء الدارسون - تساقط النجوم و الكواكب و اظطراب مساراتها [4]، و لعل ذلك هو المقصود من قوله تعالى : " **و إذا الكواكب انتثرت**" فهذه الآية تتحدث عن ما سيحدث يوم القيامة من انقلاب كوني.. و من

---

[1] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج :17، ص : 157-160.

[2] سيد قطب ، الظلال ، المجلد : 05 ، ص : 3061 .

[*] راجع موضوع " بداية الكون "في هذا الباب.

[3] حسب النبي ، الكون ، ص : 389.

[4] - توان ، التناغم السري ، ص: Thuan - La Melodie Secret - p 270

و كذلك : Lavrance Krauss, La matière sombre dans l'univers, pour la science, Fevrier 1987 p:83

مظاهره .. انتثار الكواكب بهد تماسكها... و إذا انتثرت كما سيقع لها يوم ينتهي أجلها و أفلتت من ذلك الرباط الوثيق الذي يشدها و يحفظها، لذهبت في الفضاء بددا كما تذهب الذرة التي تنفلت من عقالها" [1]

هذا من جهة المعاني، و إضافة إلى ذلك فإن الموسيقى الداخلية التي جاءت على نسقها هذه الآيات، ليس فيها جمال فقط، بل و دلالات كذلك، و تصوير لتلك المعاني العظيمة.

فنجد مثلا المد في آخر كلمة "بدأنا" في قوله تعالى : "**كما بدأنا أول خلق**" فإنه مد يجوز مدّه إلى ستة حركات، و هو مد طويل يشعر بهذه المدة الطويلة التي تفصل ما بين بداية الخلق و إعادته. كما أن فيها تأكيد على نون المتكلم الموجودة بين الهمزة و الألف و في ذلك إشعار بعظمة الخالق الذي بدأ هذا الخلق : بينما نجد لفظة " **نعيده**" لفظة سريعة النطق هينته، و في ذلك إشعار ببساطة الإعادة على الله سبحانه و تعالى.

كما نجد في لفظة "**خلق نعيده**" إدغام للنون الساكنة في تنوين كلمة " **خلق**" بالنون المتحركة في كلمة " **نعيده**" فتُنطق هذه الأخيرة نونا مشددة بغنة، و في هذا التشديد تأكيد على أمر إعادة الخلق، و في تلك الغنة الناشئة تغن للمؤمن بهذه الحقيقة التي بني عليها كل حياته.

و هكذا يتجلى لنا مظهر من مظاهر التناسق الفني في القرآن الكريم، فهو لا يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا و يتناسق أوله مع آخره، فالصورة التي رسمها لبداية الكون تنطبق تماما مع الصورة التي وصف بها نهايته، و هكذا تنطبق الصورتان، و تتكاملان و تتناسقان بشكل عجيب غريب، و أعجب ما فيه بساطته و وضوحه.

و أخيرا فإن تصوير نهاية الكون في القرآن قد حَشدت له الآيات أدوات بيانية جمة من التشبيه، إلى الإستعارة، إلى التصوير، إلى الموسيقى الخاصة، إلى أساليب التوكيد المختلفة، كل ذلك تأكيدا على هذه الحقيقة العظيمة، حقيقة يوم القيامة الذي كذب به المكذبون و غالوا في أمره، فوجب و حق أن تحشر عليهم كل هذه الأساليب لإيقاظ ضمائرهم الميتة و إحياء عقولهم المحنطة، و إلهاب مشاعرهم الخامدة.

---

[1] سيد قطب ، الظلال ، مجلد : 06 ، ص : 3845 .

عـودة السـموات و الأرض

قال الله تعالى :﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض و السموات** ﴾ إبراهيم آ : 48.

و قال سبحانه : ﴿ **الله يبدؤ الخلق ثم يعيده، ثم إليه ترجعون** ﴾ الـروم آ : 11.

و قال عز وجل : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة** ﴾

النازعات آ : 13-14.

بعد أن أسدل الستار على فناء الكون و انهيـاره على بعضه، و طي صفحتـه كطي السجل للكتاب، ها هو ذا الستار يرفع للمرة الأخيرة على المشهد الأخير، إنه مشـهد البعث بعد الموت، مشهد الحساب الأخير، لتجزى كل نفس بما كسبت، على ما قدمـت و أخـرت، فياله من يوم عظيم " **يوم تبدل الأرض غير الأرض و السموات**".

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنـه قـال : " يبـدل الله الأرض غير الأرض و السموات فيبسطها و يمدها مد الأديم العكاضي، لا ترى فيهـا عوجـا و لا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة" [1]

و قال ابن مسعود في وصف هذه الأرض الجديـدة : " أرض بيضـاء لم يسـفك عليهـا دم، و لم تعمل عليها خطيئة" [2]

فهذه السموات و الأرض التي نشهدها اليوم، الله عز و جل سـ" يخلق بدلها أرضـا، و سموات و أخر" [3]

و لقد جاءت جملة " **يوم تبدل الأرض** ..." استئنافا لزيادة الإنذار بيوم الحساب، لأن في هذا تبيين بعض ما في ذلك اليـوم مـن الأهـوال، فلـك أن تجعـل " **يـوم تبـدل الأرض** ..."

---

[1] ابن كثـير ، تـفسير القرآن العظيم ، ج : 03 ، ص : 463 .

[2] نفـس المصـدر ج : 03 ص : 464.

[3] الزمخشري ، الكـشاف ، ج : 2 ، ص: 567.

متعلقا بقوله "**سريع الحساب**" [1] قدم عليه للإهتمام بوصف ما يحصل فيه، فجاء على هذا النظم ليحصل من التشويق إلى وصف هذا اليوم لما فيه من التهويل.

و لك أن تجعله متعلقا بفعل محذوف دل عليه قوله : " **ليجزي كل نفس ما كسبت**" [2]

و التقدير : " **يجزي الله كل نفس بما كسبت يوم تبدل الأرض** "... و تجعل جملة " **إن الله سريع الحساب**" تذييلا " [3] في آخر الكلام و لعل فهم الكلام على هذا السياق الذي ورد به القرآن خصوصا و قد ورد قبل هذه الآية قوله تعالى : " **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام**" [4] " أي ينتقم الله من أعدائه يوم الجزاء، يوم تبدل الأرض أرضا أخرى، و تبدل السموات سموات أخرى " [5]

" و التبديل : التغيير في الشيء، إما بتغيير صفاته، و إما بتغيير ذاته و إزالتها بذات أخرى.

و تبديل الأرض و السموات يوم القيامة : إما بتغيير الأوصاف التي كانت لها و إبطال النظم المعروفة فيها في الحياة الدنيا، و إما بإزالتها و وجدان أرض و سموات أخرى في العالم الأخروي، و حاصل المعنى : استبدال العالم المعهود بعالم جديد" [6]

" فهذا النص يلقي ظلال القدرة القادرة التي تبدل الأرض و تبدل السموات في مقابل ذلك المكر الذي مهما اشتد فهو ضئيل عاجز حسير" [7]، كما يلقي هذا النص ظلال الإنتقام من أولئك الظالمين الذين طالما أفسدوا في الأرض و مكروا، و لم يأخذوا جزاءهم المناسب، و تحايلوا على الناس بمختلف الأساليب، ففي هذه الأرض الجديدة البيضاء لن ينفعهم مكرهم، و لن تسعفهم حيلتهم، و ليس هناك شيء يختفون وراءه، فكل شيء مكشوف، و كل شيء

---

[1] سورة ابراهيم ، آ : 51

[2] سورة ابراهيم ، آ : 51 .

[3] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج : 13 ، ص : 252.

[4] سورة إبراهيم ، آ : 47.

[5] الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج : 02 ، ص : 102.

[6] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير ، ج : 13 ، ص : 252-253.

[7] سيد قطب ، الظلال ، مجلد : 4 ، ص : 2113.

واضح، و كل أمر بارز، و لذلك ختمت الآية بقوله تعالى : " **و برزوا لله الواحد القهار**" [1]

و إعادة البعث بعد الموت و الفناء أمر يسير سهل على الله تعالى إذ قال : " **الله يبدؤ الخلق ثم يعيده**" ،" أي كما هو قادر على بدائته فهو قادر على إعادته يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله"[2] ، "و هي حقيقة بسيطة واضحة، و الترابط و التناسق بين جزئيها أو بين حلقتيها واضح كذلك، فالإعادة كالبدء لا غرابة فيها، و هما حلقتان في سلسلة النشأة، مترابطتان لا إنفصام بينهما، و الرجعة في النهاية إلى رب العالمين الذي أنشأ النشأة الأولى و النشأة الآخرة لتربية عباده و رعايتهم و مجازاتهم في النهاية على ما يعملون.

و عبارة "**الله يبدأ الخلق**..." استئناف إبتدائي، و هو شروع فيما أقيمت عليه [سورة الروم] من بسط دلائل انفراد الله تعالى بالتصرف في الناس بإيجادهم و إعدامهم، و أطوار حياتهم... و قد فصلت هذه الدلائل على أربعة استئنافات متماثلة الأسلوب ابتدئ كل واحد منها بإسم الجلالة مجرى عليه إخبار عن حقائق لا قبل لهم بدحضها لأنهم لا يسعهم إلا الإقرار ببعضها أو العجز عن نقض دليلها.

فالإستئناف الأول : المبدوء بقوله : " **الله يبدؤ الخلق ثم يعيده**"، و الثاني : المبدوء بقوله : "**الله الذي خلقكم ثم رزقكم**" [3]، و الثالث : المبدوء بقوله : " **الله الذي يرسل الرياح**" [4] و الرابع المبدوء بقوله : " **الله الذي خلقكم من ضعف**"[5]

فأما قوله : " **الله يبدء الخلق ثم يعيده** "، فاستدلال بما لا يسعهم إلا الإعتراف به، و هو بدء الخلق، و أما قوله : " **ثم يعيده**" فهو إدماج لأنه إذا سلم له بدء الخلق، كان تسليم إعادته أولى و أجدر.

و حَسن موقع الإستئناف وروده بعد ذكر أمم غابرة، و أمم حاضرة خلف بعضها البعض، و إذا كان مثالا لإعادة الأشخاص بعد فنائهم، و ذكر عاقبة و مصير المكذبين للرسل

---

[1] سورة ابراهيم آ : 48.

[2] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 05 ، ص : 212.

[3] سورة الروم ، آ : 40.

[4] سورة الروم ، آ : 48.

[5] سورة الروم ، آ : 54.

في العاجلة، ناسب مقام الإعتبار أن يقام لهم الإستدلال على إمكان البعث ليقع ذكر ما يعقبه من الجزاء موقع الإقتناع.

و الخطاب في "**تُرجعون**" للمشركين على طريقة الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب" [1]

و لقد صور الله كيفية حدوث هذا البعث المحتوم بقوله : "**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**".

قال مجاهد : " **زجرة واحدة** " صيحة واحدة، و قال الحسن البصري : زجرة من الغضب، و قال أبو مالك و الربيع بن أنس : هي النفخة الآخرة.

و قال ابن عباس : " **فإذا هم بالساهرة**" الأرض كلها، و قال مجاهد : هي المكان المستوي. و قال ابن كثير في معنى الآيتين: " أي فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه و لا تأكيد فإذا الناس قيام ينظرون"[2]

و تساءل الزمخشري عن قوله تعالى : " **فإنما هي زجرة واحدة** " بم تعلق؟، و أجاب بقوله : "قلت : بمحذوف، معناه : لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة، يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز و جل، فإنها سهلة هينة في قدرته، ما هي إلا صيحة واحدة، يريد النفخة الثانية " فإذا هم " أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتا في جوفها. من قولهم "زجر البعير" إذا صاح عليه، و الساهرة : الأرض البيضاء المستوية، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها، من قولهم، عين ساهرة جارية الماء، و في ضدها : نائحة، قال الأشعث بن قيس :

و ساهرة يضحى السراب مجللا ❁ لأقطارها قد جُبتها متلثما.

و قال ابن المنير الأسكندري في تعليقه على الكشاف :" أو وصفت بالسهر لأن السائر فيها لا ينام خوف الهلكة، فهو مجاز عقلي" [3]

فكأن هذه اللفظة قد استعملت هنا لتدل على حالة البشر و هم فوق هذه الأرض المبدلة فأعينهم ساهرة شاخصة لا تطرف من هول ما ترى و من هول ما قد يلحقها حين يأتي دورها للحساب.

---

[1] ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج : 21 ، ص : 60.

[2] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : 07 ، ص : 114.

[3] الزمخشري ، الكشا ف ، ج : 04 ، ص : 694 – 695.

و قال صاحب التحرير و التنوير : " الفاء للتفريغ على ما يفيده قولهم : " **إننا لمردودون في الحافرة إذا كنا عظام نخرة**" [1] ؟ من إحالتهم الحياة بعد البلى و الفناء، فتقدير الكلام : لا عجب في ذلك فما هي إلا زجرة واحدة، فإذا أنتم حاضرون في الحشر. و الضمير " **هي**" ضمير القصة، و هو ضمير الشأن، و اختير الضمير المؤنث ليحسن عودهُ إلى زجرة، و هذا من أحسن استعمالات ضمير الشأن. و القصر [إنما] حقيقي مراد منه تأكيد الخبر، بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أن زجرة واحدة غير كافية لإحيائهم.

و فاء " **فإذا هم بالساهرة**" للتفريع على الجملة" **إنما هي زجرة واحدة**" و "**إذا**" للمفاجأة أي : الحصول دون تأخير.

و عبر بالزجرة عن أمر الله بتكوين أجساد الناس الأموات تصويرا لما فيه من التسخير لتعجيل التكون، و فيه مناسبة لإحياء ما كان هامدا كما يبعث البعير البارك بزجرة ينهض بها سريعا خوفا من زاجره.

و إذا الفجائية هنا.. عطفها على الفاء لتحقيق المعنى .. لأن الجمع بين المفاجأة و التفريع أشد ما يعبر به عن السرعة من إيجاز اللفظ" [2]

فما أروع هذا التناسق بين هذا اللفظ و هذه الحروف " فالزجرة هي الصيحة، و لكنها تقال هنا بهذا اللفظ العنيف تنسيقا لجو المشهد... و التعبير بها فيه سرعة، و هي ذاتها توحي بالسرعة، و إيقاع السورة كلها في هذا اللون من الإسراع و الإيجاف، و القلوب واجفة تأخذ صفتها هذه من سرعة النبض، فالتناسق ملحوظ في كل حركة، و في كل لمحة و في كل ظل في السياق" [3]

هذا و إذا كان القرآن الكريم قد أكد على سهولة إعادة السموات و الأرض بعد فنائها و أنه لا استحالة في ذلك، فإن كثيرا من العلماء المعاصرين الدارسين لشؤون الكون

---

[1] سورة النازعات ، آ : 11.

[2] ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج: 04 ، ص : 694- 695.

[3] سيد قطب ، الظلال، مجلد : 06 ، ص : 3811.

يؤكدون أن ذلك هو ما سيحدث فعلا بعد انهيار الكون، و هذا ما يطلق عليه عندهم بـ : " الكون الدوري" و دليلهم على ذلك أن الكون إذا انهار فإن عناصره الأولية التي انطلق تكوينه منها أول مرة كفيلة بإعادة تكوينه كما حدث ذلك في البداية" [1]

و نعلق على هذا بتعليق النجاشي من قبل : إن حديث القرآن و حديث العلم ليخرجان من مشكاة واحدة" [2] أليس قد قال الله تعالى في كتابه : " الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" [3]

لكن القرآن إذا كان يشتمل على حقائق العلم فإنه يجمع إليه جمال الفن ،و هذا أمر اختص به القرآن دون غيره من كلام البشر ، و ذلك هو أهم مظهر للإعجاز البياني للآيات الكونية في القرءان الكريم.

---

[1] توان ،التناغم السري ، ص : 270 و كذلك د. جمال ميموني، و د. نضال قسوم ، قصة الكون ، دار المعرفة، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط : 1 ، 1998 م ، ص : 183.

[2] عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هاشم،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:5 ، ص:85-148.

[3] سورة العلق ، آ : 05.

الخاتمـــة

بعد هذا الجهد العلمي الذي حاولنا به أن نـدرس الإعجـاز البيـاني في إطـار العلاقـة بينـه و بـين الكون الفسيح، من خلال بعض آيات القرآن الكريم التي تناولت موضوع السموات و الأرض... و بعد كل هذا نصل إلى ختام هذا البحـث، و ختامـه استخلاص للإستنتاجات المهمـة فيـه، و الـتي يمكـن أن نجملها في ما يلي :

1- أن الإعجاز البياني هو من أهم أوجه الإعجاز في القرآن الكريـم باعتبـار أن العـرب الذيـن أُنزل القرآن بلغتهم قد برعوا في فن البيـان أكـثر مـن غـيرهم مـن الأمـم، لذلـك كـان التحـدي لهـم بمـا يحسنونه، و بما برعوا فيه. و بما أنهم قد عجزوا عن رفع هذا التحدي، فغيرهم من الأمـم أعجـز و أقصـر عن رفعه.

2- أن دراسة الإعجاز البياني في القرآن قد تطورت من دراسة اللفظة الواحدة إلى دراسـة الآيـة إلى دراسة القرآن الكريـم كلـه جملـة واحـدة و محاولـة استخلاص خصـائص الإعجـاز البيـاني في جميـع الكتاب. و لعل دراسة الموضوع الواحد في جميع القرآن دراسة بيانية هـي مـن أهـم مـا طبعـت بـه هـذه الدراسات في العصر الحديث، و ما الموضـوع الـذي تناولنـاه في هـذا البحـث إلا حلقـة في هـذا السـياق التاريخي للجهد العلمي لهذه الأمة في دراسة كتابها المعجز.

3- أن القرآن الكريم قد تناول مظاهر الكـون بسـمائه و أرضـه في معظـم سـوره، و خصوصـا المكية منها، كما لم تخل السور المدنية من مثل هذه الآيات الكونية، لذلـك كـانت دراسـة هـذه الآيـات حاجة ملحة في إطار البحث العلمي، فهذا الموضوع يمثل - حقا- أولوية مقارنة بمواضيـع كثـيرة أخـرى تناولها القرآن الكريم.

4- أن الدراسـات السـابقة لهـذه الآيـات في مختلـف المؤلفـات القديمـة مبنيـة في معظمهـا علـى الإسرائيليات، و المعطيات المعرفية القديمة المستمدة من فكر اليونان و الهنود، لذلك وجب إعادة النظر في هذه الآيات نظرة مبنية على أساس النص القرآني ذاته مع الإستئناس بالحقائق الكونية المكتشفة حديثا، و استجلاء مظاهر الجمال و الروعة في التصوير القرآني لهذه الحقائق الكونية.

5- أن الآيات الكونية في القرآن الكريم لم تأت لتصف لنا الكون وصفـا شـكليا، و تقـف عنـد هذا الحد، و لكن جاءت لتؤسس على هذا الوصف منهجا في الحياة مبنيا على أساس التفكر في خلق الله و الوصول من خلال ذلك إلى إدراك وجوده تعالى و وحدانيته و عظمته ثم السلوك في الحيـاة بنـاء علـى ذلك.

6- أن قصة الكون في القرآن هي أطول القصص القرآني على الإطلاق، فقد صوّر القرآن الكون كإنسان يولد ثم يشب و يعيش و يتحاور و يتفاعل إلى أن يصل إلى الموت ثم لا يلبث أن يبعث بعد ذلك من جديد !

و هذا تصَوُر و تصوير فريد من نوعه يجعل الإنسان المسلم ينظر إلى هذا الكون نظرة إنسانية رقيقة و رحيمة، و يسعى لأن ينسجم معه، و يعيش فيه و معه في تناسق و إنسجام.

و هذا التصور يختلف تماما عن التصورات الجاهلية الأخرى التي ترى في هذا الكون تارة إله يعبد، و تارة عدوا يتقى، و اليوم تنظر إليه الجاهلية الغربية على أنه عبد يستغل و يضرب بالسياط و يعذب، و نتائج هذا التصور الأخير فساد كبير في البر و البحر و حتى في الجو و السماء.

7- أن هذه الآيات الكونية في القرآن بهذا الوصف المتفرد للكون قد أحدثت في العرب خصوصا، و المسلمين عموما إنقلابا كبيرا في نظرتهم لهذا الكون، و دفعتهم للبحث في ميدان الكونيات، و الإستلهام من دراسات السابقين في هذا الميدان، و الزيادة عليها و الإبداع فيها، و لولا هذا لما كان للإنسانية - اليوم - هذه الإنجازات العظيمة في كشف أسرار الكون، و حل الكثير من ألغازه، إذ أنه ما بنيت هذه الإنجازات إلا على أساس ما خلفه المسلمون من بحوث و علوم، كانت آيات الكتاب الكريم هي الدافع الأول للقيام بها.

8- أن القرآن الكريم في آياته الكونية قد خاطب الجميع على قدر عقولهم، فقد خاطب العربي البدوي بما يفهم و يدرك، كما خاطب الخاصة من الناس بما يشبع تفهمهم الفكري و العلمي، فلم يكن تناول القرآن للكون تناولا ساذجا بسيطا - كما قال بذلك البعض- و لكنه تناول هذا الكون بأسلوب عجيب فريد معجز، يفهمه العامي فهما سطحيا، لكن كلما كان عقل الإنسان أكبر كان تعمقه في فهم الآيات أشد، و كان إدراكه لمعاني جديدة ممكنا، فالعامي يأخذ المعنى العام من مجموعة الآيات، و لربما من السورة بأكملها، لكن الخاصة من الناس تجدهم يدققون في الجمل أكثر، بل و مع الألفاظ، بل و يصل بهم التدقيق إلى الحروف و إعرابها، و الموسيقى و دلالاتها، و يقارن بين هذا و ذاك، حتى تتفتق له الآيات عن آيات و عجائب في باطنها.

و ليس هذا غريبا ما دام هذا القرآن قد نزل بلسان عربي مبين قال عنه الشاعر :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟!.

9- أن أسلوب القرآن الكريم في تناوله لمظاهر الكون كان فريدا من نوعه كذلك، فلم يكن هذا كأسلوب الشعراء الذين لا يحسنون إلا خطاب العاطفة بالآهات، و بث الزفرات و استعمال صيغ التعجب المختلفة... كما لم يكن كأسلوب العلماء و الباحثين الذين لا يحسنون إلا خطاب العقل بالمصطلحات و نشر الأرقام و المعادلات. و لكنه جاء بحقائق كونية عجيبة و دقيقة، مجسدة في تعبير بياني جميل جذاب و رائق، فجمع بذلك بين الأسلوبين في محاسنهما و تجنب مساوئهما.

10- أن القرآن الكريم في تناوله الكون في سوره الأربعة عشر و المئة، و على مدى ثلاث و عشرين سنة من النزول، لم يصدم بعضه بعضا في أي فكرة أو عبارة، بل إن المتأمل لآياته الكونية جملة واحدة لا بد أن يخلص بأمرين :

بنظرة كونية متكاملة الأطراف من ميلاد الكون إلى حياته إلى فنائه إلى بعثته.

و بلوحة فنية متناسقة الألوان، و نغمة موسيقية تنساب إيقاعاتها في إنسجام لا مثيل له.

و هذا هو الإعجاز الذي لم يتمكن أن يرفع تحديه أحد من الجن و الإنس من قبل القرآن و لا من بعده.

و أخيرا فإن أهم ما استنتجته من هذا الجهد العلمي : أن موضوع هذا البحث هو موضوع ذو أهمية كبيرة لعمقه و دقته.

و أن الحاجة لمواصلة البحث فيه حاجة ماسة لكن بتظافر جهود مختصين في ميادين مختلفة من بيان، و إعجاز، و كونيات...

و حسب هذا البحث أن اثار القضية، و طرح الإشكال، و أجاب عن بعض السؤال، و عسى أن تتاح الفرصة لي و لغيري أن يجيب على بعضه الآخر، و الله المستعان.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصـــادر و المراجـــع

المصـــادر و المراجـــع العربيـــة :

القرءان الكريم ، براويـــة ورش عن نافع ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، .. 19 م .

1. ابن سعـــد ، العشـــرة المبشـــرون بالجنـــة (من الطبقـــات)، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط :/.س :/ .
2. ابن سيده الأندلسي، المخصص، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط : / ، 1978 م.
3. ابن قتيبـــة، الشعر و الشعراء، دار إحياء العلـوم، بيـروت، لبنـان، ص: 3، 1407هـ.
4. ابن القيم، الأمثال في القرءان، تحقيق سعد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط : 3، 1409هـ، 1989هـ .
5. ابـــن العمـــاد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان ، ط:/. س: /.
6. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرءان العظيم، دار الثقافـة ، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط : 1، 1410هـ – 1990م .
7. ابـــن منظـــور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف، القاهرة ، مصر ، ط : /، س : /.
8. أبو الوفـاء الغنـيمي التفتازاني، الإنســـان و الكـون في الاسلام، دار الثقافة، القاهـرة، مصر ، ط :/، 1995م.
9. أحمد أمين، فجـر الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط :10، 1969م.
10. أحمد بن فارس اللغوي، مجمل اللغة ، تحقيق عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، البلد: / ، ط :2، 1406هـ – 1986 م
11. أحمـد جمال العمري؛ المباحث البلاغية في ضـوء قضية الإعجاز القرءاني، مكتبة الخانجي، القاهـرة، مصر، ط : / ، 1410هـ – 1990 م. .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

12. أحمد مطلوب، فنون بلاغية: البيان، البديع ، دار البحوث العلمية، الكويت، دولة الكويت، ط : 1، 1375هـ، 1975 م.

13. الأخفش الأوسط سعد بن مسعدة، معاني القرءان. تحقيق عبد الأمير محمد أمين، الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط : 1، 1405هـ، 1985م.

14. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح : تاج اللغة و صحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط : 3، 1404هـ، 1984م.

15. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرءان، دار الشروق، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر، ط : 4، 1400هـ - 1980م.

16. الجرجاني عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن : أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط : /، س /.

17. الجميلي أ : الإعجاز العلمي، دار الشهاب، باتنة، الجمهورية الجزائرية، ط : /، 1991م.
ب : الإعجاز الكوني، دار الشهاب، باتنة، الجمهورية الجزائرية، ط : /، 1988م.

18. الجوهري : تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط : 3، 1404 هـ، 1984م.

19. حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار الهداية، قسنطينة،الجزائر، ط : 1، 1990م.

20. حسن عاصي، المنهج في تاريخ العلوم عند العرب، دار المدائن، بيروت، لبنان، ط : 1، 1411هـ،1991م.

21. حنفي أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرءان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط :1، 1980م.

22. دفتر المدني، معجزات قلب القرءان، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط : 4، 1409هـ، 1989 م.

23. الذهبي محمد حسين، التفسير و المفسرون،دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط : 1، 1396هـ، 1976م.

24. د- رابح دوب، الدرس البلاغي عند المفسرين حتى نهاية القرن الربع الهجري، (أطروحة دكتوراه) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ، الجمهورية الجزائرية ، 1997.

25. الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ن مكتبة رحاب ، الجزائر العاصمة ، الجمهورية الجزائرية ، ط: /، س: / .

26. الزرقاني محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت، لبنان، ط : /، 1408 هـ - 1988م.

27. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط :2، 1391 هـ - 1972م .

28. الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ط :5 ، 1980م .

29. زغريد هونكه (عائشة) شمس العرب تطلع على الغرب ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ، مكتبة رحاب ، الجزائر العاصمة ، الجمهورية الجزائرية ، ط: /، 1406 هـ 1986 م .

30. الزمخشري محمود بن عمر أ - أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط :/ ، س : / .

ب - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط :3، 1407 هـ - 1987م

31. الزندائي أ - كتاب التوحيد ، منشورات دحلب ، الجزائر العاصمة ، الجمهورية الجزائرية ، ط: /، 1992 م .

ب - المعجزة العلمية (ضمن كتاب : تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن و السنة) مطابع رابطة العالم الإسلامي ، مكة ، المملكة العربية السعودية ، ط : / ، 1987 م .

32. السيد سابق ، العقائد الإسلامية ، الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط :/، س : / .

33. سيد قطب ، أ - التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة، مصر ، بيروت ، لبنان ، ط: 13 ، 1413 هـ ، 1993م .

ب - في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة، مصر، بيروت ، لبنان ، ط: 10 ، 1402 هـ ، 1982م .

34. سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، دار السلامة للطباعة و النشر ، القاهرة، مصر، بيروت ، لبنان ، ط: 1 ، 1405هـ - 1985 م .

35. السيوطي جلال الدين ، أ - الإتقان في علوم القرآن ، دار الفكر للطباعة و النشر ، القاهرة، مصر ، ط: / ، 1968م.

ب - تناسق الدرر في ترتيب السور ، تحقيق عبد القادر أحمد عطاء ، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع ، تونس ، الجمهورية التونسية ، ط: / ، 1983م .

ج - طبقات المفسرين،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط:/ ، س: /.

35. السيوطي جلال الدين ، أ – الإتقان في علوم القرآن ، دار الفجر للطباعة و النشر القاهرة، مصر ، ط: / ، 1968م.

ب – تناسق الدرر في ترتيب السور ، تحقيق عبد القادر أحمد عطاء ، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع ، تونس ، الجمهورية التونسية ، ط: / ، 1983م .

ج – طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط:/ ، س: /.

36. الشعراوي محمد متولي ، أ – إعجاز القرآن ، معجزات الرسول ، القضاء والقدر ، تقديم أحمد فراج ، دار الشروق ، القاهرة، مصر، ط: 1 ، 1400 هـ ، 1980م .

ب– المختار في تفسير القرءان الكريم، دار الشهاب، باتنة، الجمهورية الجزائرية، ط : /، س:/ .

37. شفيع السيد ، التعبير البياني ، رؤية بلاغية نقدية ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، مصر ، ط: 4، 1415هـ – 1995 م.

38. الصابوني محمد علي ، أ – روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ،[illegible] 1990 .

ب – صفوة التفاسير ، قصر الكتاب ، البليدة ، الجزائر العاصمة ، الجمهورية الجزائرية، ط: / ، 1411هـ ، 1990 م.

39. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، دار الشهاب، باتنة، الجمهورية الجزائرية، ط : /، 1988 م.

40. طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرءان الكريم ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، المدينة :/، مصر ، ط:/ ، 1354 هـ، 1935 م.

41. طه الدسوقي ، عقيدتنا و صلتها بالكون و الإنسان و الحياة ، دار الهدى للطباعة ، المدينة :/، مصر ، ط:/ ، 1405هـ، 1935 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

42. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، أ- التفسير البياني للقرءان الكريم ، مطبعة دار المعارف ، المدينة :/، مصر ، ط:/ ،1962 م.

ب - القرءان وقضايا الإنسان ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط: 2 ، 1975 م.

43. عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرءان دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط: 2، 1985م.

44. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط : /، 1405هـ، 1985.

45. عفيف عبد الفتاح طباره، روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ، ط:19 ، 1979م .

46. عمار ساسي ، في إعجاز القرءان الكريم ، دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات القرآن الأحكام ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف د.جعفر دك الباب.

47. عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرءان، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله ، تونس العاصمة، الجمهورية التونسية ، ط: / ،1980م.

48. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار الثقافة، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط:1، 1411 هـ .

49. غازي عناية، منهجية البحث العلمي عند المسلمين، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط : /، 1985م.

50. الكواكبي عبدالرحمن، طبائع الإستبداد و مصارع الإستعباد، مطبعة الأمة، المدينة :/، مصر ، ط:/، س: /.

51. مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب البناني، بيرو، لبنان، ط :/،س:/

52. مالك بن نبي، الظاهرة القرءانية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، لبنان، س :/، ط : /.

53 محمد بن سعد الدبل ، النظم القرءاني في سورة الرعد، عالم الكتب، شبرا، مصر، ط :/، 1981م .

54. محمد جميل الحبال و مقداد مرعي الجواريّ : العلوم في القرءان، دار النفائس، بيروت لبنان، ط :1، 1418هـ - 1998م.

55. محمد جميل الحبال و ميض رمزي العمري : الطب في القرءان، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط : 1، 1418هـ - 1997م.

56. محمد الخضري بك : نور القين في سيرة سيد المرسلين، الشركة الجزائرية مرزاقة و بوداود، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط : /، س :/.

57 محمد صالح صديق : مقاصد القرءان، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ، ط :2، 1403هـ،1983م.

58. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير ، الدار التنوسية لنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط : /،1984م.

59. محمد خلف الله و محمد زغلول، ثلاث رسائل غي إعجاز القرءان(للرماني و الخطابي و عبد القاهر) دار المعارف، القاهرة، مصر، ط : 4، 1991م

60. محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم و المدنية، م.و.ف.م الرغاية، الجزائر، ط : /،1987م

61. محمد العفيفي، القرءان القول الفصل بين كلام الله و كلام البشر، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط : /،1406هـ-1986 م.

62. محمد الغزالي أ- المحاور الخمسة في القرءان الكريم، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، ط :/،1990م.

ب- نحو تفسير موضوعي لسور القرءان الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان، ط : /، 19945م.

63. محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرءان الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دار إحياء التراث العربي

64. محمد قطب، واقعنا المعاصر، مكتبة رحاب، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط :/،1989م.

65. محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرءان، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط:/، 1410هـ - 1990م.

66. محمد محدة، مختصر علم أصول الفقه الإسلامي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط :/،س :/.

67. مصطفى صادق الرفعي، إعجاز القرءان و البلاغة النبوية، مكتبة رحاب، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط:/، س :/ .

68. منصور محمد حسب النبي، الكون و الإعجاز العلمي في القرءان ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر . ط : /، 1981م.

69. منير سلطان، إعجاز القرءان بين المعتزلة و الأشاعرة، دار نشأه المعارف، الإسكندرية، مصر، ط :3،1986م.

70. ميتشل ويلسن و آخرون، الطاقة، ترجمة:/ ، منشورات لايف العلمية، الولايات المتحدة الأمريكية، ط:/، س :/.

71. د. ميموني جمال، د. نضال قسوم، قصة الكون، دار المعرفة، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط : 1، 1998م.

72. نعمت صدقي، معجزة القرءان، دار بوسلامة، تونس، الجمهورية التنوسية، ط :2، 1985م.

73. نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرءان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط :2، 1400هـ، 1980م.

74. نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتاب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط:2، 1404هـ، 1984م.

75. النووي، بن شرف الدين، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط : 3، س : /.

76. هند شلبي، التفسير العلمي للقرءان الكريم بين النظرية و التطبيق، مطبعة تونس، قرطاج، الجمهورية التونسية ط:1،1406هـ

77. يوسف خليف، دراسات في القرءان و الحديث، مكتبة غريب، القاهرة مصر، ط :/،س:/.

78. يوسف القرضاوي، بينات الحل الإسلامي، مكتبةرحاب، الجزائر العاصمة، الجمهورية الجزائرية، ط :/ س:/.

الدوريات العربية

- مجلة الأصالة، ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر حول القرءان الكريم 1981م.
- مجلة الإعجاز، العدد : 1 صفر 1416هـ ، يوليو 1995م.

المراجـع بالفرنسيـة

1. F. Ziguel , Voyage à travers les astres. traduit du Russe par Valentin Polanski, Edition Mir Moscow U.R.S.S 1895, N° d'edition : / .
2. Jaques de Marêt, Univers, les Théories de la cosmologie contemporaine, Edition le Mail Aix en Provence, France, N° / .1991.
3. Maurice Bucaille, la Bible, le Coran et la Science. S.N.E.D Alger, Algérie, 1980
4. M..Kassab, Gloire à Dieu, ou les Mille Verités scientitifiquede Coran, Edition, Salament et Sarri, Alger, Algérie. N° : / .1990
5. Serge Brunier, Architecture de l'Univers. Edition, Fayards Paris, France N° : / 1985.
6. Trinh Xuan Thuan, La Méthode secrête, Edition Fayards, Poitiers, France N° / 1989.

الدوريات بالفرنسية

1 Pour la Science. Fevrier 1977

2 Science et Vie. N° 944, Mai 1996

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
02	البقـرة	22	" الذي جعل لكم الأرض فراشا . . . "	95
		23	" و إن كنتم في ريب . . . "	05
		28	"كيف تكفرون بالله . . . "	24
		29	" هو الذي خلق لكم ما في الأرض . . . "	93،91،24
		41	" و لا تشتـروا بآياتي ثمنا قليلا . . . "	18
		127	" ربنا تقبل منا . . . "	ب
		129	"ربنا و ابعث فيهم رسولا . . . "	18
		164	" إن في خلق السموات و الأرض . . . "	32 ،21
		189	" يسألونك عن الأهلة"	24
		228	"و المطلقات يتربصن . . . "	25
		248	" إن آية ملكه . . . "	17
03	آل عمـران	103	"إذ كنتم أعداء . . . "	28
		122	" إذ همت طائفتان منكم . . . "	07
		133	" جنة عرضها . . . "	99
		138	" هذا بيان للناس . . . "	20
04	النسـاء	24	" إن الله كان عليما حكيما"	24
06	الأنعـام	35	" فتاتيهم بآية . . . "	17
		75	"وكذلك نري إبراهيم . . . "	30
		76	" فلما جن عليه الليل . . . "	73
		77	" فلما رءا القمر . . . "	73
		78	" فلما رءا الشمس . . . "	73 ،30
		79	" إني وجهت وجهي . . . "	30
		99	" و هو الذي أنزل من السماء ماء . . . "	38

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
07	الأعراف	54	" إن ربكم الله . . . "	83، 133
		57	" و هو الذي يرسل الرياح. . . "	21
		106	" قال إن كنت جئت بآية . . . "	17، 97
		133	" فأرسلنا عليهم الطوفان . . . "	48
		176	" فمثله كمثل الكلب"	57
08	الأنفال	07	"و إذ يعدكم الله . . . "	07
10	يونس	04	" إليه مرجعكم . . . "	149
		05	" هو الذي جعل الشمس ضياء . . . "	119
		37	" أم يقولون افتراه . . . "	05
		53	" و يستنبؤونك أحق هو . . . "	04
		101	" قل أنظروا ماذا في السموات . . . "	25، 129
11	هود	01	" كتاب احكمت آياته . . . "	58
		13	" أم يقولون افتراه . . . "	05
		14	" فإن لم يستجيبوا . . . "	05
		49	" تلك من أنباء الغيب . . . "	07
12	يوسف	01	" الر"	12
		02	" تلك آيات الكتاب "	12,95
13	الرعد	16	" قل من رب السموات . . . "	29
		17	" أنزل من السماء ماء . . . "	29
		31	" و لو أن قرءانا . . . "	50
		41	" أو لم يروا أنا نأت الأرض . . . "	135
		33	" و سخر لكم الشمس و القمر . . . "	116
14	إبراهيم	47	" فلا تحسبن الله مخلف وعده . . . "	156
		48	" يوم تبدل الأرض . . . "	155، 157
		51	" ليجزي كل نفس . . . "	156

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
15	الحجر	15	" و انبتنا فيها من كل شيء . . . "	65
		16	" و لقد جعلنا في السماء بروجا . . . "	37
		22	" و أرسلنا الرياح لواقح . . . "	65
16	النحل	01	" أتى أمر الله . . . "	128
		06	" و لكم فيها جمال . . . "	38
		10	" هو الذي أنزل من السماء ماء . . . "	24
		11	" ينبت لكم به الزرع . . . "	24
		16	" و علامات و بالنجم يهتدون . . . "	74
		17	" أفمن خلق كمن لا يخلق . . . "	24
		18	" و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . . . "	24
		78	" و الله أخرجكم . . . "	69
		103	" و لقد نعلم أنهم يقولون . . . "	12
17	الإسراء	12	" و جعلنا الليل و النهار آيتين . . . "	64،30،19
		59	" و ما منعنا أن نرسل بالآيات . . . "	19
		78	" أقم الصلاة . . . "	25
		79	" و من الليل فتهجد . . . "	25
		88	" قل لئن اجتمعت . . . "	06،05
17	الكهف	47	" و يوم نسير الجبال . . . "	138
19	مريم	04	" قال رب إني وهن العظم في . . . "	54
		10	" قال رب اجعل لي آية . . . "	17
		35	" إذ اقضى أمرا فإنما . . . "	28
20	طه	14	" إنني أنا الله . . . "	77
		96	" قال بصرت . . . "	152
			" و يسألونك عن الجبال . . "	138

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
21	الأنبياء	30	" أو لم ير الذين كفروا . . . "	125،79
		33	" و هو الذي خلق الليل . . . "	114،110
		104	" يوم تطوى السماء . . . "	151،149،
				149،148
22	الحج	05	" و انبتت من كل زوج . . . "	37
23	المؤمنون	17	" و لقد خلقنا فوقكم . . . "	81
24	النور	39	" و الذين كفروا أعمالهم كسراب . . . "	50
		55	" و عد الله الذين آمنوا . . . "	07
25	الفرقان	61	" تبارك الذي جعل في السماء . . . "	119
27	النمل	60	" أمن خلق السموات . . . "	76،38
		86	" ألم يروا أنا جعلنا الليل . . . "	134
		88	" و ترى الجبال . . . "	134،137،34
28	القصص	08	" فالتقطه آل فرعون . . . "	117
		88	" و لا تدع مع الله إله آخر . . . "	149
29	العنكبوت	22	" و ما أنتم بمعجزين في الأرض . . . "	02
		27	" و وهبنا له إسحاق . . . "	110
		49	" بل هو آيات . . . "	12
30	الروم	01	" ألم "	07
		02	" غلبت الروم . . . "	07
		11	" الله يبدؤ الخلق . . . "	155
		40	" الله الذي خلقكم . . . "	157
		48	" الله الذي يرسل الرياح	157،18
		49	" و إن كانوا من قبل أن ينزل . . . "	18
		50	" فانظر إلى أثر . . . "	18
		54	" الله الذي خلقكم من ضعف . . . "	157
31	لقمان	11	" هذا خلق الله . . . "	91

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
32	السجدة	03	" أم يقولون افتراه . . . "	77
		04	"الله الذي خلق السموات"	77،76
35	فاطر	41	" إن الله يمسك السموات"	96
36	يس	33	" و آية لهم الأرض . . . "	22
		37	" و آية لهم الليل . . . "	19
		38	" و الشمس تجري . . . "	116،63
		40	" لا الشمس ينبغي لها . . . "	110
		41	" و آية لهم أنا حملنا ذرياتهم . . . "	113
		77	" أو لم ير الإنسان . . . "	19
		81	" أو ليس الذي خلق . . . "	19
		82	" إنما أمره إذا أراد شيئا . . . "	83،19
		83	" فسبحان الذي . . . "	19
37	الصافات	06	" إنا زينا السماء . . . "	92،88
		07	" لا يسمعون إلى الملأ الأعلى . . . "	86
		08	" و حفظا من كل شيطان . . . "	88
		64	" إنها شجرة . . . "	47
		88	" ننظر نظرة في النجوم . . . "	25
		89	" فقال إني سقيم . . . "	25
		90	" فتولوا عنه مدبرين . . . "	26
39	الزمر	05	" خلق السموات و الأرض بالحق . . . "	139،76،34
		23	" الله نزل أحسن الحديث . . . "	ج
		67	" و الأرض جميعا قبضته . . . "	151،150،149
41	فصلت	05	" و قالوا قلوبنا في أكنة . . . "	84
		09	" قل أينكم لتكفرون . . . "	130،129،83
		10	" و جعل فيها رواسي . . . "	129،83
		11	" ثم استوى إلى السماء . . . "	129،83،87،80

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
41	فصلت	12	" فقضهن سبع سموات . . . "	92،86،83،80،86
		22	" و ما كنتم تستترون . . . "	65
		53	" سنريهم آياتنا . . .	19
3	الزخرف	52	" أم أنا خير من هذا . . . "	11
45	الجاثية	03	" إن في السموات و الأرض لآيات . . . "	33
		06	" تلك آيات الله . . . "	39
48	الفتح	16	" قل للمخلفين من الأعراب . . . "	06
		28	" لقد صدق الله رسوله . . . "	07
50	ق	06	" أفلم ينظروا إلى السماء . . . "	102،34
		22	" لقد كنت في غفلة . . . "	139
51	الذاريات	07	" و السماء ذات الحبك"	87
		20	"و في الأرض آيات . . . "	87،19
		21	" و في أنفسكم . . . "	87،19
		22	" و في السماء رزقكم . . . "	87،19
		47	" و السماء بنيناها . . . "	87
		49	"و من كل شيء خلقنا زوجين . . . "	87
52	الطور	06	" و البحر المسجور . . . "	62
		34	"فليأتوا بحديث . . . "	05
53	النجم	13	" و لقد رءاه . . . "	99
		14	" عند سدرة المنتهى"	99
		15	" عندها جنة المأوى"	99
		49	" و أنه هو رب الشعرى"	32
54	القمر	01	" اقتربت الساعة . . . "	125
		02	" و إن يروا آية . . . "	125
		03	" و كذبوا و اتبعوا أهواءهم . . . "	125
		17	" و لقد يسرنا القرآن . . . "	78

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
		45	" سيهزم الجمع . . . "	06
55	الرحمن	01	" الرحمن"	11
		02	" علم القرآن"	11
		03	" خلق الإنسان"	11
		04	"علمه البيان"	11
		26	" كل من عليها فان"	147
		37	" فإذا انشقت السماء . . . "	147
56	الواقعة	75	" فلا أقسم بمواقع النجوم"	106
		77	" إنه لقرآن كريم "	106
		79	" لا يمسه إلا المطهرون"	106
57	الحديد	25	" لقد أرسلنا رسلنا . . . "	141
58	المجادلة	08	" ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى . . . "	07
62	الجمعة	02	" هو الذي بعث في الأميين . . . "	18
64	التغابن	03	" خلق السموات و الأرض . . . "	38
65	الطلاق	12	" الله الذي خلق سبع سموات . . . "	91
67	الملك	01	" تبارك الذي بيده الملك . . . "	76
		02	" الذي خلق الموت و الحياة . . . "	76
		03	" الذي خلق سبع سموات . . . "	91،76
		04	" ثم أرجع البصر . . . "	102،37
		05	" و لقد زينا السماء الدنيا . . . "	102،92،37
70	المعارج	04	" تعرج الملائكة و الروح . . . "	99
71	نوح	15	" ألم تروا كيف خلق الله . . . "	73
		16	" و جعل القمر فيهن . . . "	119،73
74	المدثر	24	" إن هو إلا سحر يوثر"	43
		50	" كأنهم حمر مستنفرة"	57
		51	" فرت من قسورة"	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
75	القيامة	07	" فإذا برق البصر "	122
		08	" و خسف القمر"	122
		09	" و جمع الشمس و القمر"	122
		10	" يقول الإنسان يومئذ أين المفر"	122
		11	"كلا لا وزر"	122
		12	" إلى ربك يومئذ المستقر"	122
77	المرسلات	08	" فإذا النجوم طمست"	145
79	النزعات	11	" إنا لمردودون . . ."	159
		13	" فإنما هي زجرة واحدة"	155
		14	"فإذا هم بالساهرة"	155
		27	" ءانتم أشد خلقا . . ."	102،95،83،63
		28	" رفع سمكها . . ."	99،95،83،63
				102
		29	" و أغطش ليلها . ."	83
		30	"و الأرض بعد ذلك . . ."	85،83
		31	" أخرج منها ماءها . . ."	83
		32	" و الجبال أرساها . . ."	83
		47	" و السماء بنيناها بأيد . . ."	95
80	عبس	26	" أنا شققنا الأرض شقا "	126
		31	" و فاكهة و أبا"	45
81	التكوير	01	" إذا الشمس كورت"	145
		02	" و إذا النجوم انكدرت"	146،145
		15-18	" فلا أقسم لالخنس . . ."	د
82	الإنفطار	02	" و إذا الكواكب انتثرت . . ."	153،149
		07	"الذي خلقك . . ."	38

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم السورة	السورة	رقم الآية	رأس الآية	الصفحة
83	المطففين	01	"ويل للمطففين. . ."	44
		06	" يوم يقوم الناس لرب العلمين"	44
88	الغاشية	18	" و إلى السماء كيف رفعت"	95
91	الشمس	05	" و السماء و ما بناها"	95
95	التين	04	" لقد خلقنا الإنسان. . ."	38
96	العلق	05	" علم الإنسان. . ."	150
101	القارعة	05	"و تكون الجبال كالعهن. . ."	138

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة.	ج
الباب الأول : مباحث نظرية	1
الفصل الأول: مفاهيم ودلالات	22
أ – الإعجاز .	33
ب – البيان .	1111
ج –الآية .	17
د – الكون .	27
هـ – الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم .	37
الفصل الثاني : المبحث التاريخي	40
أ – لماذا الإعجاز البياني ؟	41
ب – كيف استقبل العرب معجزة القرءان البيانية ؟	43
ج –بدايات الدراسات البيانية في القرآن الكريم.	45
د – العصر العباسي و ظهور دراسات الإعجاز البياني .	46
هـ – عصر الضعف .	56
و – عصر النهضة .	62
الباب الثاني : الكون و صيغ الإعجاز البياني في القرءان	72
الفصل الأول: بداية الكون و صيغ القرءان المعجزة	75
1– بداية الكون .	
2– مادة خلق الكون .	
3– مراحل خلق الكون.	
4– توسع الكون.	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : الإعجاز البياني في وصف بنية الكون 90

1 – السموات السبع . 2 – بنية السماء . 91

3 – هل الكون محدود أم لانهائي. 4 –تناسق السماء. 99

5 – مواقع النجوم 6 –كل في فلك يسبحون 106

7 – حركة الشمس 8 – ضياء الشمش 116

9 – خسوف القمر 10 – إنشقاق القمر 122

11 – خلق الأرض 12 – كروية الأرض 129

13 – دوران الأرض 14 – إنزال الحديد . 137

الفصل الثالث : الإعجاز البياني في وصف مصير الكون 144

1– انطماس النجوم. 145

2– طي السماء و انهيار الكون. 149

3 – عودة السموات و الأرض. 155

الخاتمة. 161

المصادر و المراجع.

فهرس الآيات

فهرس الموضوعات .16

presentation 16

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Définir les principaux termes du titre de l'ouvrage pour bien expliquer son but et pouvoir poser la problématique.

Suivre la courbe historique de l'évolution de l'étude littéraire du Coran depuis sa révélation jusqu'à ce dernier siècle.

- Section appliquée (Pratique) :

Cette section apparaît dans les points suivants :

Faire l'inventaire des versets Coranique qui décrive l'univers.

Mettre ces versets en ordre thématique de façon est – ce que chaque groupe constitue un thème.

Mettre les thèmes en ordre chronologique depuis la naissance de l'Univers jusqu'à sa fin et puis sa résurrection.

Etudier les versets Coraniques des thèmes de façon littéraire et artistique.

- A la fin, on a terminé l'étude par un résumé des plus importantes conclusions.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Présentation

Il ne nous échappe pas que l'étude du miracle littéraire coranique revête un intérêt capital, et présente un certain nombre d'avantages qu'ils nous font obligation de l'étudier.

Il s'agit là du meilleur moyen pour défendre la religion, et préservé la foie des musulmans envers leurs livre sacré : Le Coran.

C'est encore un moyen pour défendre la langue arabe, et révéler sa grande puissance d'expression dans tous les domaines, et sa beauté littéraire inimitable.

Et le présent ouvrage, a pour fin d'étudier se miracle littéraire dans description de l'univers, dans la forme et le fond des versets qui ont fait cette description.

On a voulu extraire du Coran ses belles images de l'Univers, dispersés dans les divers verset Coranique, puis les réunir pour former un tableau complet qui présente cet Univers depuis sa naissance et sa vie, jusqu'à sa mort et puis sa résurrection.

Aussi, on a voulu étudier ses belles expressions dans le Coran a employer pour décrire ces belles images de l'Univers dans sa terre et ses cieux.

Et aussi on voulu étudier comment est - ce que le Coran qui à été révélé depuis Quatorze siècles, s'est exprimé pour décrire Univers de façon explicite pour les gens qui l'ont reçu pour la première fois, et pour les gens de ces derniers siècles ? et chaqu' un trouve dans ces versets des révélations inédites ?

A cet égard, l'étude et la recension de cet ouvrage a comporté le plan à suivre représenté par un préface, deux sections qui sont :

Section étude théorique : cette section apparaît dans les points suivants :